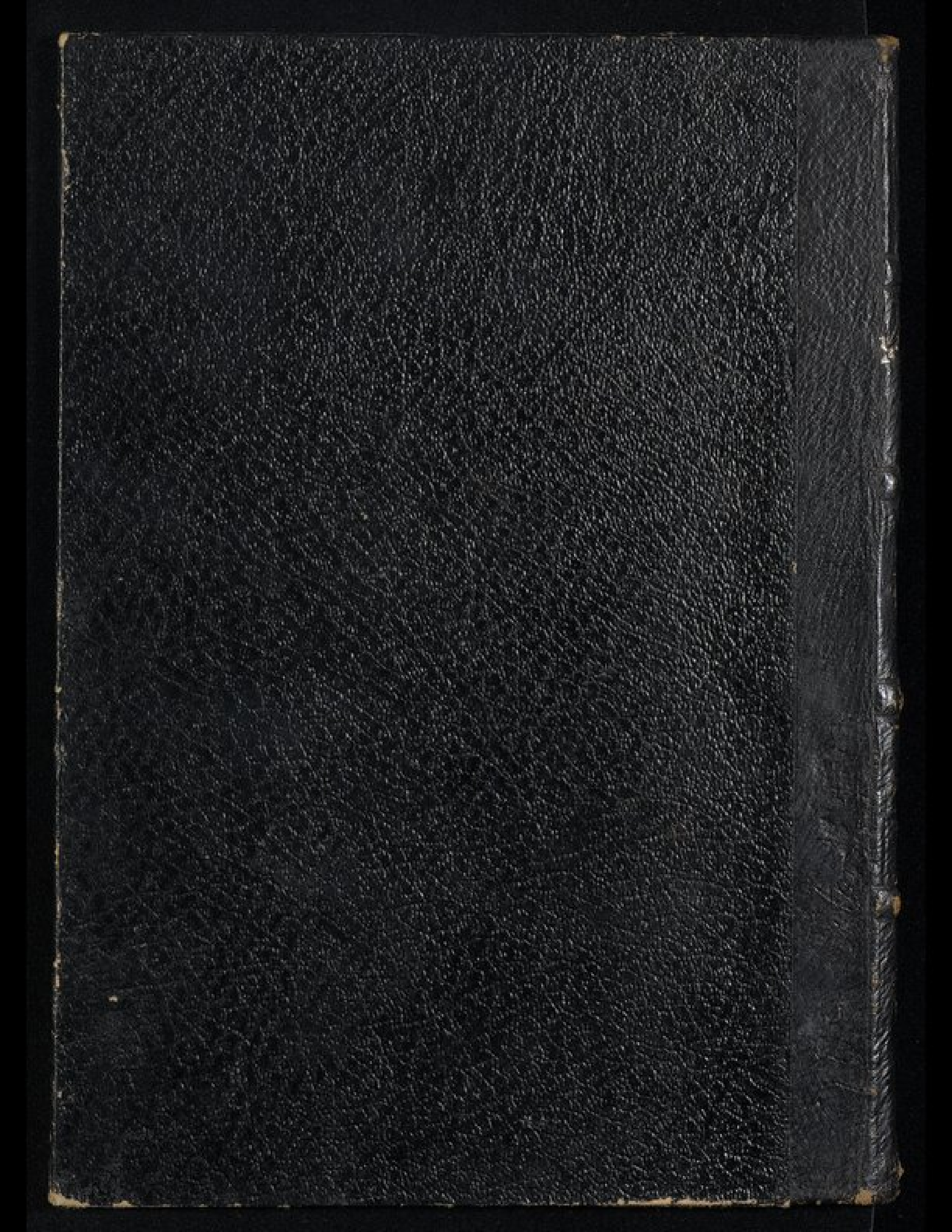
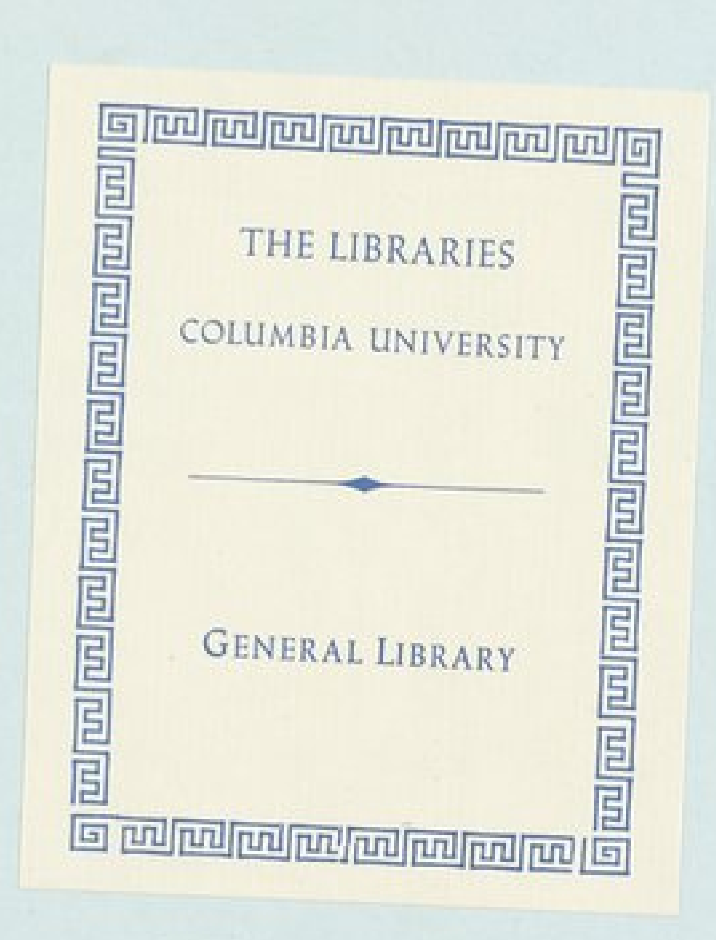




ساعدت جامعة بغداد على نشره

تاريخ
الإمامية وأسلافهم من الشيعة
منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري

تأليف

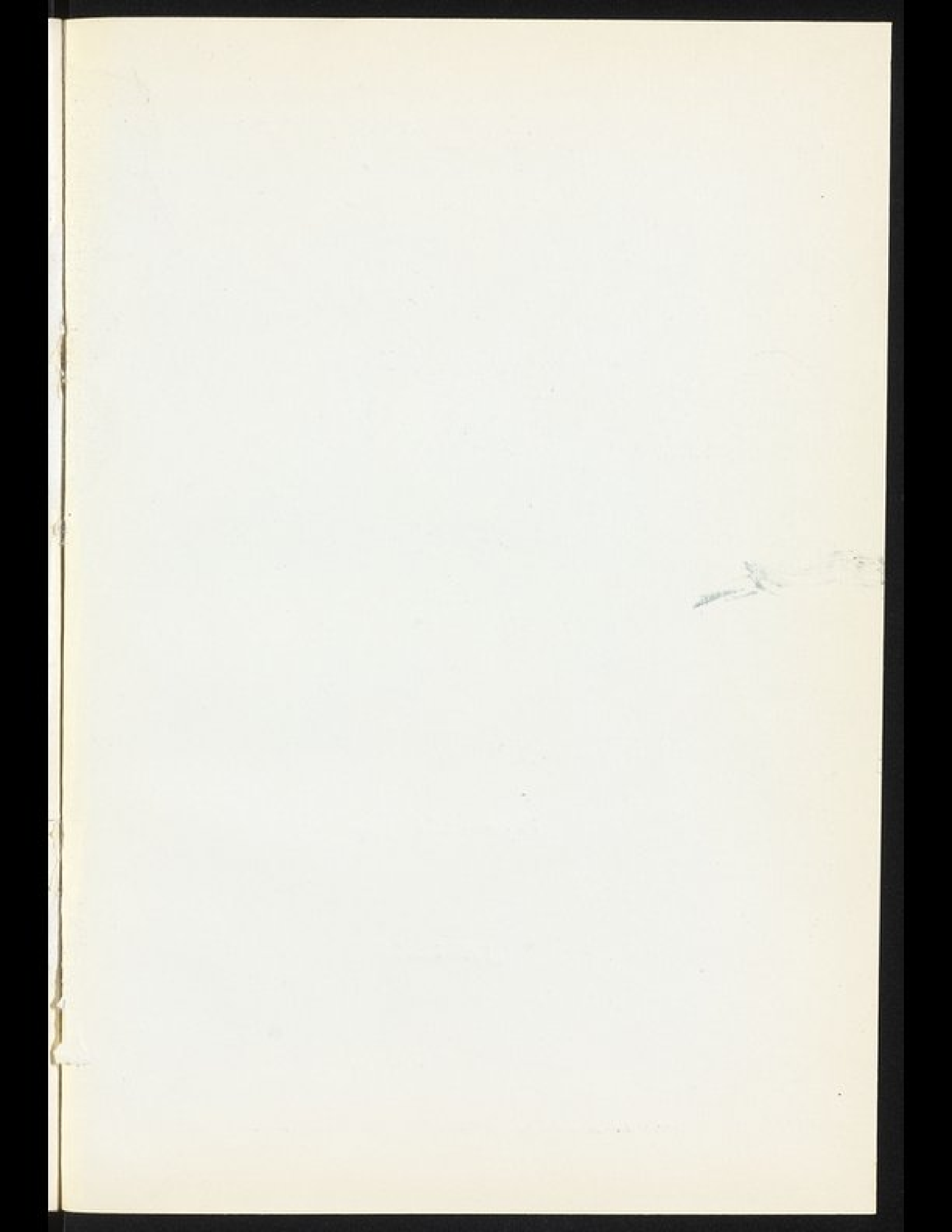
الدكتور عبد الله فياض

استاذ مساعد بكلية الآداب ـ جامعة بغداد وعميد كلية أصول الدين وكالة

الطبعة الاولى

الثمن ـ نصف دينار

مطبعة أسعد ـ بغداد ١٩٧٠



ساعدت جامعة بغداد على نشره

تاريخ
الإمامية وأسلافهم من الشيعة
منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري

تأليف

الدكتور عبد الله فياض

استاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد
وعميد كلية أصول الدين وكالة

مطبعة اسعد ـ بغداد

٥/١٠٠٠/١٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم سماحة العلامة السيد محمد باقر الصدر

جرى بعض الباحثين المحدثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي والنظر الى القطاع الشيعي من جسم الامة الاسلامية باعتباره قطاعا تكون على مر الزمن نتيجة لاحداث وتطورات اجتماعية معينة أدت الى تكوين فكري ومذهبي خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج .

وهؤلاء الباحثون بعد أن يفترضوا ذلك يختلفون في تلك الاحداث والتطورات التي أدت الى نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك الجزء . فهناك من يفترض أن عبدالله بن سبأ ونشاطه السياسي المزعوم هو الأساس لقيام ذلك التكتل الشيعي . وهناك من يرد ظاهرة التشيع الى عهد خلافة الامام عليه الصلاة والسلام وما هيأه هذا العهد للامام من مقام سياسي واجتماعي على مسرح الاحداث . ومنهم من يزعم أن سبب ظهور الشيعة يكمن في أحداث متأخرة عن ذلك في التسلسل التاريخي للمجتمع الاسلامي .

والذي دعا ـ فيما أظن ـ كثيرا من هؤلاء الباحثين الى هذا الافتراض والاعتقاد بأن التشيع ظاهرة طارئة في المجتمع الاسلامي هو أن الشيعة لم يكونوا يمثلون في صدر الاسلام الا جزءا ضئيلا من مجموع الامة الاسلامية فقد أوحت هذه الحقيقة شعورا بأن اللاتشيع كان هو القاعدة في المجتمع الاسلامي وان التشيع هو الاستثناء والظاهرة الطارئة التي يجب اكتشاف أسبابها من خلال تطورات المعارضة للوضع السائد .

ولكن اتخاذ الكثرة العددية والضآلة النسبية أساسا لتمييز القاعدة والاستثناء او الاصل والانشقاق ، ليس شيئا منطقيا فمن الخطا اعطاء الاسلام اللاشيعي صفة الاصالة على أساس الكثرة العددية واعطاء الأسلام الشيعي صفة الظاهرة الطارئة ومفهوم الانشقاق فان هذا لايتفق مع طبيعة الانقسامات العقائدية اذ كثيرا مانلاحظ انقساما عقائديا في اطار رسالة واحدة يقوم على أساس الاختلاف في تحديد بعض معالم تلك الرسالة وقد لايكون القسمان العقائديان متكافئين من الناحية العددية ولكنهما متكافئان في اصالتهما ومعبران بدرجة واحدة عن الرسالة المختلف بشانها •

فلا يجوز بحال من الاحوال أن نبني تصوراتنا عن الانقسام العقائدي داخل اطار الرسالة الاسلامية الى شيعة وغيرهم على الناحية العددية • كما لايجوز أيضا أن نقرن ولادة الاطروحة الشيعية في اطار الرسالة الاسلامية بولادة كلمة الشيعة او التشيع كمصطلح واسم خاص لفرقة محددة من المسلمين لان ولادة الاسماء والمصطلحات شيء ونشوء المحتوى وواقع الاتجاه والاطروحة شيء آخر فاذا كنا لانجد كلمة الشيعة في اللغة السائدة في حياة الرسول (ص) أو بعد وفاته فلا يعني هذا أن الاطروحة والاتجاه الشيعي لم يكن موجوداً • فبهذه الروح يجب أن نعالج قضية التشيع والشيعة ونجيب على السؤالين التالين :ـ

كيف ولد التشيع وكيف ولد الشيعة ؟

أما فيما يتعلق بالسؤال الاول كيف ولد التشيع فنحن نستطيع أن نعتبر التشيع نتيجة طبيعية للاسلام وممثلا لاطروحة كان من المفروض للدعوة الاسلامية أن تتوصل اليها حفاظا على نموها السليم ، ويمكننا أن نستنتج هذه الاطروحة استنتاجا منطقيا من الدعوة التي كان الرسول الاعظم يتزعم قيادتها بحكم طبيعة تكوينها ونوع الظروف التي عاشتها • فأن النبي صلى الله عليه وآله كان يباشر قيادة دعوة انقلابية ويمارس عملية تغيير شامل للمجتمع وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه ولم يكن الطريق قصيرا أمام عملية

التغيير هذه بل كان طريقا طويلا وممتدا بأمتداد الفواصل المعنوية الضخمة بين الجاهلية والاسلام فكان على الدعوة التي يمارسها النبي أن تبدأ بأنسان الجاهلية فتنشئه انشاءً جديدا وتجعل منه الانسان الاسلامي الذي يحمل النور الجديد الى العالم وتجتذ منه كل جذور الجاهلية ورواسبها وقد سار القائد الاعظم (ص) بعملية التغيير خطوات مدهشة في برهة قصيرة وكان على العملية أن تواصل طريقها الطويل حتى بعد وفاة النبي (ص) •

وكان النبي يدرك منذ فترة قبل وفاته أن أجله قد دنا واعلن ذلك بوضوح في حجة الوداع ولم يفاجئه الموت مفاجأة وهذا يعني انه كان يملك فرصة كافية للتفكير في مستقبل الدعوة بعده حتى اذا لم تدخل في الموقف عامل الاتصال الغيبي والرعاية الالهية المباشرة للرسالة عن طريق الوحي •

وفي هذا الضوء يمكننا أن نلاحظ أن النبي (ص) كان أمامه ثلاثة طرق بالامكان اتهاجها تجاه مستقبل الدعوة •

الطريق الاول أن يقف من مستقبل الدعوة موقفا سلبيا ويكتفي بممارسة دوره في قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته ويترك مستقبلها للظروف والصدف •

وهذه السلبية لايمكن افتراضها في النبي (ص) لانها انما تنشأ من أحد أمرين كلاهما لاينطبقان عليه (ص) •

الامر الاول

الاعتقاد بأن هذه السلبية والاهمال لاتؤثر على مستقبل الدعوة وان الامة التي سوف يخلف الدعوة فيها قادرة على التصرف بالشكل الذي يحمي الدعوة ويضمن عدم الانحراف • وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع اطلاقا بل ان طبيعة الاشياء كانت تدل على خلافه لان الدعوة بحكم كونها عملاً تغييرياً انقلابياً في بدايته يستهدف بناء أمة واستئصال كل جذور الجاهلية منها تتعرض لاكبر الاخطار اذا خلت الساحة من قائدها وتركها دون أي

تخطيط • فهناك الاخطار التي تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أي تخطيط سابق وعن الضرورة الآنية لاتخاذ موقف مرتجل في ظل الصدمة العظيمة بفقد النبي فأن الرسول اذا ترك الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف تواجه الامة ولاول مرة مسؤولية التصرف بدون قائدها تجاه أخطر مشاكل الدعوة وهي لاتملك أي مفهوم مسبق بهذا الصدد وسوف يتطلب منها الموقف تصرفا سريعا آنيا بالرغم من خطورة المشكلة لان الفراغ لايمكن أن يستمر وسوف يكون هذا التصرف السريع في لحظة الصدمة التي تمنى بها الامة وهي تشعر بفقدها لقائدها الكبير هذه الصدمة التي تزعزع بطبيعتها سير التفكير وتبعث على الاضطراب حتى انها جعلت صحابيا معروفا يعلن بفعل الصدمة أن النبي (ص) لم يمت ولن يموت • وهناك الاخطار التي تنجم عن عدم النضج الرسالي بدرجة تضمن للنبي مسبقاً موضوعية التصرف الذي سوف يقع وانسجامه مع الاطار الرسالي للدعوة وتغلبه على التناقضات الكامنة التي كانت لاتزال تعيش في زوايا من نفوس المسلمين على أساس الانقسام الى مهاجرين وأنصار أو قريش وسائر العرب أو مكة والمدينة • وهناك الاخطار التي تنشأ نتيجة لوجود القطاع المتستر بالاسلام والذي كان يكيد له في حياة النبي باستمرار وهو القطاع الذي كان يسميه القرآن بالمنافقين واذا أضفنا اليهم عددا كبيرا ممن أسلم بعد الفتح استسلاما للامر الواقع لا انفتاحا على الحقيقة نستطيع أن نقدر الخطر الذي يمكن لهذه العناصر أن تولده وهي تجد فجأة فرصة لنشاط واسع في فراغ كبير مع خلو الساحة من رعاية القائد •

فلم تكن اذن خطورة الموقف بعد وفاة النبي شيئا يمكن أن يخفى على أي قائد ممارس للعمل العقائدى فضلا عن خاتم الانبياء • واذا كان أبو بكر لم يشأ أن يترك الساحة دون أن يتدخل تدخلاً ايجابيا في ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط للامر واذا كان الناس قد هرعوا الى عمر حين ضرب قائلين ياأمير المؤمنين لو عهدت عهدا[1] خوفا من الفراغ الذي سوف يخلفه

---

(١) تاريخ الطبري : ج٥ ص٣٤

الخليفة بالرغم من التركز السياسي والاجتماعي الذى كانت الامة قد بلغته بعد عقد من وفاة الرسول (ص) واذا كن عمر قد أوصى الى ستة تجاوبا مع شعور الآخرين بالخطر واذا كان عمر يدرك بعمق خطورة الموقف في يوم السقيفة وما كان بالامكان أن تؤدي اليه خلافة أبي بكر بشكلها المرتجل من مضاعفات اذ يقول ان بيعة أبي بكـر كانت فلتة غير أن الله وقى شرهـا[٢] واذا كان أبو بكر نفسه يعتذر عن تسرعه الى قبول الحكم وتحمل المسؤوليات الكبيرة بأنه شعر بخطورة الموقف وضرورة الاقدام السريع على حل ما اذ يقول وقد عوتب على قبول السلطة ان رسول الله (ص) قبض والناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا وأن أصحابي حملونيها[٣] .

اذا كان كل ذلك صحيحا فمن البديهي اذن أن يكون رائد الدعـوة ونبيها أكثر شعورا بخطر السلبية واكبر ادراكا واعمق فهما لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييري الذى يمارسه في أمة حديثة عهد بالجاهلية عـلى حد تعبير أبي بكـر .

والامر الثاني

الذى يمكن أن يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ومصيرها بعد وفاته أنه بالرغم من شعوره بخطر هذه السلبية لايحاول تحصين الدعـوة ضد ذلك الخطر لانه ينظر الى الدعوة نظرة مصلحية فلا يهمه الا أن يحافظ عليها مادام حيا ليستفيد منها ويستمتع بمكاسبها ولا يعنى بحماية مسـتقبلها بعد وفـــاته .

وهذا التفسير لايمكن أن يصدق على النبي (ص) حتى اذا لم نلاحظه بوصفه نبيا ومرتبطا بالله سبحانه وتعالى في كل مايرتبط بالرسالة وافترضناه قائدا رساليا كقادة الرسالات الاخرى لان تأريخ القادة الرساليين لايملك نظيرا للقائد الرسول في اخلاصه لدعوته وتفانيه فيها وتضحيته من أجلهـا

---

(٢) تاريخ الطبري : ج٣ ص٢٠٠

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد : ج٦ ص٤٢

الى آخر لحظة من حياته وكل تأريخه يبرهن على ذلك وقد كان صلى الله عليه وآله على فراش الموت وقد ثقل مرضه وهو يحمل هم معركة كان قد خطط لها وجهز جيش اسامة لخوضها فكان يقول جهزوا جيش اسامة انفذوا جيش اسامة ارسلوا بعث اسامة يكرر ذلك[1] ويغمى عليه بين الحين والحين . فاذا كان اهتمام الرسول (ص) بقضية من قضايا الدعوة العسكرية يبلغ الى هذه الدرجة وهو يجود بنفسه على فراش الموت ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل أن يقطف ثمار تلك المعركة عن تبنيه لها وان تكون همه الشاغل وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة فكيف يمكن أن نتصور ان النبي لايعيش هموم مستقبل الدعوة ولا يخطط لسلامتها بعد وفاته من الاخطار المرتقبة .

وأخيرا فأن في سلوك الرسول (ص) في مرضه الاخير رقما واحدا يكفي لنفي الطريق الاول وللتدليل على أن القائد الاعظم كان أبعد مايكون عن فرضية الموقف السلبي تجاه مستقبل الدعوة لعدم الشعور بالخطر او لعدم الاهتمام بشأنه وهذا الرقم أجمعت صحاح المسلمين جميعاً سنة وشيعة على نقله وهو أن الرسول لما حضرته الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال (ص) ائتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا[2] .

فأن هذه المحاولة من القائد الكريم المتفق على نقلها وصحتها تدل بكل وضوح على أنه كان يفكر في أخطار المستقبل ويدرك بعمق ضرورة التخطيط لتحصين الامة من الانحراف وحماية الدعوة من التميع والانهيار فليس من الممكن افتراض الموقف السلبي بحال من الأحوال .

الطريق الثاني

أن يخطط الرسول القائد لمستقبل الدعوة بعد وفاته ويتخذ موقفا ايجابيا فيجعل القيمومة على الدعوة وقيادة التجربة للامة ممثلة على أساس نظام الشورى في جيلها العقائدي الاول الذي يضم مجموع المهاجرين

---

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير وغيره .

(٢) مسند أحمد : ج١ ص٣٥٥ وصحيح مسلم : ج٢ في آخر الوصايا وصحيح البخاري الجزء الاول كتاب العلم .

والانصار فهذا الجيل الممثل للامة هو الذي سيكون قاعدة للحكم ومحوراً لقيادة الدعوة في خط نموها .

وهنا أيضا نلاحظ أن طبيعة الاشياء والوضع العام الثابت عن الرسول والدعوة والدعاة يرفض هذه الفرضية وينفي أن يكون النبي قد انتهج هذا الطريق واتجه الى ربط قيادة الدعوة بعده مباشرة بالامة ممثلة في جيلها الطليعي من المهاجرين والانصار على أساس نظام الشورى .

وفيمايلي بعض النقاط التي توضح ذلك :

١ ـ لو كان النبي (ص) قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفاً ايجابيا يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة واسناد زعامة الدعوة الى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام لكان من أبده الاشياء التي يتطلبها هذا الموقف الايجابي أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للامة والدعاة على نظام الشورى وحدوده وتفاصيله واعطائه طابعاً دينياً مقدسا واعداد المجتمع الاسلامي اعدادا فكريا وروحيا لتقبل هذا النظام وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر لم تكن قد عاشت قبل الاسلام وضعا سياسيا على أساس الشورى وانما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة الى حد كبير .

ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبي (ص) لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى وتفاصيله التشريعية أو مفاهيمه الفكرية لان هذه العملية لو كانت قد انجزت لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الاحاديث المأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وفي ذهنية الامة أو على اقل تقدير في ذهنية الجيل الطليعي منها الذي يضم المهاجرين والانصار بوصفه وهو المكلف بتطبيق نظام الشورى ، مع اننا لا نجد في الاحاديث المأثورة عن النبي (ص) أي صورة تشريعية محددة لنظام الشورى . واما ذهنية الامة أو ذهنية الجيل الطليعي منها فلا نجد فيها أي ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذلك القبيل .

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك أن أبا بكر حينما اشتدت به العلة عهد الى عمر بن الخطاب فأمر عثمان أن يكتب عهده وكتب (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله الى المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله اما بعد فاني قد استعملت عليكم عمر ابن الخطاب فاسمعوا واطيعوا) ودخل عليه عبدالرحمن بن عوف فقال كيف أصبحت ياخليفة رسول الله فقال أصبحت موليا وقد زدتموني على ما بي اذ رأيتموني استعملت رجلا منكم فكلكم قد أصبح ورما أنفه وكل يطلبها لنفسه[1] .

وواضح من هذا الاستخلاف وهذا الاستنكار للمعارضة ان الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى وانه كان يرى من حقه تعين الخليفة وان هذا التعين يفرض على المسلمين الطاعة ولهذا أمرهم بالسماع والطاعة فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه بل هو الزام ونصب . ونلاحظ أيضا أن عمر رأى هو الآخر أيضا أن من حقه فرض الخليفة على المسلمين ففرضه في نطاق ستة أشخاص وأوكل أمر التعين الى الستة أنفسهم دون أن يجعل لسائر المسلمين أى دور حقيقي في الانتخاب ، وهذا يعني أيضا أن عقلية نظام الشورى لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر كما لم تتمثل من قبل في الطريقة التى سلكها الخليفة الاول .

وقد قال عمر حين طلب منه الناس الاستخلاف (لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الامر اليه لوثقت به سالم مولى أبى حذيفة وابي عبيدة الجراح ولو كان سالم حيا ماجعلتها شورى[2] . وقال أبو بكر لعبد الرحمن بن عوف وهو يناجيه على فراش الموت وددت أني كنت سألت رسول الله لمن هذا الامر فلا ينازعه أحد[3] .

وحينما تجمع الانصار في السقيفة لتأمير سعد بن عبادة قال منهم قائل

---

(١) تاريخ اليعقوبى : ج٢ ص١٢٦ ــ ١٢٧

(٢) طبقات ابن سعد : ج٣ ص٢٤٨

(٣) تاريخ الطبري : ج٤ ص٥٢

ان أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون ونحن عشيرته وأوليائه نقلت طائفة منهم اذا نقول منا أمير ومنكم أمير لن نرضى بدون هذا منهم ابدا . وحينما خطب أبو بكر فيهم قال كنا معاشر المسلمين المهاجرين اول الناس اسلاما والناس لنا في ذلك تبع ونحن عشيرة رسول الله وأوسط العرب أنسابا . وحينما اقترح الانصار أن تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والانصار رد أبو بكر قائلا ان رسول الله لما بعث عظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه ... فهم أول من عبدالله في الارض وهم اولياؤه وعترته واحق الناس بالامر بعده لاينازعهم فيه الا ظالم . وقال الحباب بن المنذر وهو يشجع الانصار على التماسك أملكوا عليكم أيديكم انما الناس في فيئكم وظلكم فأن أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير . ورد عليه عمر قائلا ، هيهات لايجتمع سيفان في غمد ... من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته الا مدل بباطل أو متجانف لاثم أو متورط في هلكة[1] .

ان الطريقة التي مارسها الخليفة الاول والخليفة الثاني للاستخلاف وعدم استنكار المسلمين لتلك الطريقة والروح العامة التي سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعي المهاجرين والانصار يوم السقيفة والاتجاه الواضح الذى بدأ لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة بهم وعدم مشاركة الانصار في الحكم والتأكيد على المبررات الوراثية التي تجعل من عشيرة النبي اولى العرب بميراثه واستعداد كثير من الانصار لتقبل فكرة أميرين أحدهما من الانصار والآخر من المهاجرين واعلان أبي بكر الذى فاز بالخلافة في ذلك اليوم عن أسفه لعدم السؤال من النبي عن صاحب الامر بعده ، كل ذلك يوضح بدرجة لاتقبل الشك ان هذا الجيل الطليعي من الامة الاسلامية بما فيه القطاع الذى تسلم الحكم بعد وفاة النبي لم يكن يفكر بذهنية الشورى ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام فكيف

(١) راجع في نصوص يوم السقيفة شرح النهج : ج٦ ص ٦ ــ ٩

يمكن أن نتصور أن النبي مارس عملية توعية على نظام الشورى تشريعيا وفكريا واعد جيل المهاجرين والانصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على اساس هذا النظام ثم لا نجد لدى هذا الجيل تطبيقا واعيا لهذا النظام أو مفهوما محددا عنه كما اننا لايمكن أن نتصور من ناحية أخرى ان الرسول القائد يضع هذا النظام ويحدده تشريعيا ومفهوميا ثم لايقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به •

٢ ـ ان النبي لو كان قد قرر أن يجعل من الجيل الاسلامي الرائد الذي يضم المهاجرين والانصار من صحابته قيما على الدعوة بعده ومسؤولا عن مواصلة عملية التغيير فهذا يحتم على الرسول القائد (ص) أن يعبيء هذا الجيل تعبئة رسالية وفكرية واسعة يستطيع أن يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق على ضوئها بوعي ويضع للمشاكل التي تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة خصوصا اذا لاحظنا ان النبي (ص) كان وهو الذي بشر بسقوط كسرى وقيصر يعلم بأن الدعوة مقبلة على فتوح عظيمة وان الامة الاسلامية سوف تضم اليها في غد قريب شعوبا جديدة ومساحة كبيرة وتواجه مسؤولية توعية تلك الشعوب على الاسلام وتحصين الامة من أخطار هذا الانفتاح وتطبيق أحكام الشريعة على الارض المفتوحة واهل الارض ، وبالرغم من أن الجيل الرائد من المسلمين كان أنظف الاجيال التي توارثت الدعوة واكثرها استعدادا للتضحية لا نجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيمومة على الدعوة والتثقيف الواسع العميق على مفاهيمها والارقام التي تبرر هذا النفي كثيرة لا يمكن استيعابها في هذا المجال •

ويمكننا بهذا الصدد أن نلاحظ أن مجموع مانقله الصحابة من نصوص عن النبي (ص) في مجال التشريع لايتجاوز بضع مئات من الاحاديث بينما كان عدد الصحابة يناهز اثني عشر ألفا على ما أحصته كتب التأريخ وكان النبي (ص) يعيش مع آلاف من هؤلاء في بلد واحد وفي مجلس واحد صباحاً ومساءا فهل يمكن أن نجد في هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص •والمعروف عن الصحابة أنهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي بالسؤال حتى أن أحدهم

كان ينتظر فرصة مجيء اعرابي من خارج المدينة يسأل ليسمع الجـواب ، وكانوا يرون ان من الترف الذى يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد ومن أجل ذلك قال عمر على المنبر احرج بالله على رجل سـأل عما لم يكن فان الله قد بين ماهو كائن[١] • وقال لا يحل لاحد أن يسـأل عما لم يكن ان الله قد قضى فيما هو كائن • وجاء رجل يوما الى ابن عمـر يسأله عن شيء فقال له ابن عمر لاتسأل عما لم يكن فأني سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن[٢] • وسأل رجل أبي بن كعب عـن مسألة قال يابني أكان الذي سألتني عنه قال لا قال أما فأجلني حتى يكون[٣] وقرأ عمر يوما القرآن فانتهى الى قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبـا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا) فقال كل هذا عرفناه فما الاب • ثم قال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لاتدري ما الاب اتبعوا مابين لكم هذه من الكتاب فأعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه •

وهكذا نلاحظ اتجاها لدى الصحابة الى العزوف عن السؤال الا في حدود المشاكل المحددة الواقعة وهذا الاتجاه هو الذى أدى الى ضآلة عدد النصوص التشريعية التي نقلوها عن الرسول وهو الذي أدى بعد ذلك الى الاحتياج الى مصادر اخرى غير الكتاب والسنة كالاستحسان والقياس وغيرها من ألوان الاجتهاد التي يتمثل فيها العنصر الذاتي للمجتهد الامر الذي أدى الى تسرب شخصية الانسان بذوقه وتصوراته الخاصة الى التشريع •

وهذا الاتجاه أبعد مايكون عن عملية الاعداد الرسالي الخـاص التي كانت تتطلب تثقيفا واسعاً لذلك الجيل وتوعية له على حلول الشريعة للمشاكل التي سوف يواجهها عبر قيادته • وقد أثبتت الاحداث بعد وفاة النبي (ص) ان جيل المهاجرين والانصار لم يكن يملك أي تعليمات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة التي كان من المفروض أن تواجهها الدعوة بعد النبي حتى

---

(١) سنن الدارمى : ج١ ص٥٠
(٢) سنن الدارمى : ج١ ص٥٦
(٣) مستدرك الحاكم : ج٢ ص٥١٤

ان المساحة الهائلة من الارض التي امتد اليها الفتح الاسلامي لم يكن لدى الخليفة والوسط الذي يسنده اي تصور محدد عن حكمها الشرعي وعما اذا كانت تقسم بين المقاتلين او تجعل وقفا على المسلمين عموما فهل يمكننا ان تصور ان النبي يؤكد للمسلمين انهم سوف يفتحون ارض كسرى وقيصر ويجعل من جيل المهاجرين والانصار القيم على الدعوة والمسؤول عن هذا الفتح ثم لايخبره بالحكم الشرعي الذي يجب ان يطبقه على تلك المساحة الهائلة من الدنيا التي سوف يمتد اليها الاسلام .

بل اننا نلاحظ اكثر من ذلك ان الجيل المعاصر للرسول (ص) لم يكن يملك تصورات واضحه محددة حتى في مجال القضايا الدينية التي كان النبي يمارسها مئات المرات وعلى مرأى ومسمع من الصحابة ونذكر على سبيل المثال لذلك الصلاة على الميت فانها عبادة كان النبي قد مارسها عادة مئات المرات واداها في مشهد عام من المشيعين والمصلين وبالرغم من ذلك يبدو ان الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة لضبط صورة هذه العبادة ما دام النبي يؤديها وما داموا يتابعون فيها النبي فصلاً بعد فصل ، ولهذا وقع الاختلاف بينهم بعد وفاة النبي في عدد التكبيرات في صلاة الميت فقد اخرج الطحاوي عن ابراهيم قال قبض رسول الله والناس مختلفون في التكبير على الجنازة لا تشاء ان تسمع رجلا يقول سمعت رسول الله (ص) يكبر سبعا واخر يقول سمعت رسول الله يكبر خمسا وآخر يقول سمعت رسول الله يكبر اربعا فاختلفوا في ذلك حتى قبض أبو بكر فلما ولي عمر ورأى اختلاف الناس في ذلك شق عليه جدا فأرسل الى رجال من أصحاب رسول الله فقال ، انكم معاشر أصحاب رسول الله متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه فانظروا أمرا تجتمعون عليه فكأنما أيقظهم فقالوا نعم مارأيت ياأمير المؤمنين الخ ...[1] .

وهكذا نجد ان الصحابة كانوا في حياة النبي (ص) يتكلون غالبا على شخص النبي ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للاحكام والمفاهيم

---

(١) عمدة القارىء : ج٤ ص١٢٩

ماداموا في كنف النبي • وكل ماتقدم يدل على أن التوعية التي مارسها النبي على المستوى العام للمهاجرين والانصار لم تكن بالدرجة التي يتطلبها اعداد القيادة الواعية الفكرية والسياسية لمستقبل الدعوة وعملية التغيير وانما كانت توعية بالدرجة التي تبنى القاعدة الشعبية الواعية التي تلتف حول قيادةالدعوة في الحاضر والمستقبل •

واي افتراض يتجه الى القول بان النبي كان يخطط لاسناد قيادة التجربه والقيمومه على الدعوة بعده مباشرة الى جيل المهاجرين والانصار يحتوى ضمنا اتهام اذكى وابصر قائد رسالي في تاريخ العمليات التغييرية بعدم القدرة على التمييز بين الوعي المطلوب على مستوى القاعدة الشعبية للدعوة والوعي المطلوب على مستوى قيادة الدعوة وامامتها الفكرية والسياسية

٣ – ان الدعوة عملية تغيير ومنهج حياة جديد وهي تستهدف بناء امة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها و لامةالاسلامية ككل لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه الا عقدا واحدا من الزمن على اكثر تقدير وهذا الزمن القصير لايكفي عادة في منطق الرسالاتالعقائدية والدعوات التغييرية لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط الى درجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضيوالاستيعاب لمعطيات الاطروحة الجديد تؤهله للقيمومة على الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد بل ان منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمر الامة بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن تهيئها للارتفاع الى مستوى تلك القيمومة •

وليس هذا شيئا نستنتجه استنتاجا فحسب وانما يعبر أيضا عن الحقيقة التي برهنت عليها الاحداث بعد وفاة القائد الرسول وتجلت عبر نصف قرن أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والانصار لامامة الدعوة والقيمومة عليها اذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الاسلامية التي تولى جيل المهاجرين والانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الاسلام القدامى ولكن من داخل

اطار التجربة الاسلامية لا من خارجها اذ استطاعوا أن يتسللوا الى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج ويستغفلوا القيادة غير الواعية ثم صادروا بكل وقاحة وعنف تلك القيادة واجبروا الامة وجيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته وتحولت الزعامة الى ملك موروث يستهتر بالكرامات ويقتل الابرياء ويبعثر الاموال ويعطل الحدود ويجمد الاحكام ويتلاعب بمقدرات الناس واصبح الفيء والسواد بستانا لقريش والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بني أمية .

فواقع التجربة بعد النبي وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم الذى يؤكد ان أسناد القيادة والامامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والانصار عقيب وفاة النبي مباشرة باجراء مبكر وقبل وقته الطبيعي ولهذا ليس من المعقول أن يكون النبي قد اتخذ اجراء من هذا القبيل .

الطريق الثالث

وهو الطريق الوحيد الذي بقي منسجما مع طبيعة الاشياء ومعقولا على ضوء ظروف الدعوة والدعاة وسلوك النبي (ص) وهو أن يقف النبي (ص) من مستقبل الدعوة بعد وفاته موقفا ايجابيا فيختار بأمر من الله سبحانه وتعالى شخصا يرشحه عمق وجوده في كيان الدعوة فيعده اعدادا رساليا وقياديا خاصا تتمثل فيه المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة وليواصل بعده بمساندة القاعدة الشعبية الواعية من المهاجرين والانصار قيادة الامة وبناءها عقائديا وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذي يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية .

وهكذا نجد أن هذا هو الطريق الوحيد الذي كان بالامكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة وصيانة التجربة من الانحراف في خط نموها وهكذا كان .

وليس ماتواتر عن النبي (ص) من النصوص التي تدل على أنه كان يمارس اعدادا رساليا وتثقيفيا عقائديا خاصا لبعض الدعاة على مستوى يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية وانه (ص) قد عهد اليه بمستقبل الدعوة وزعامة الامة من بعده فكريا وسياسيا ليس هذا الا تعبيرا عن سلوك القائد الرسول (ص) للطريق الثالث الذي كانت تفرضه وتدل عليه قبل ذلك طبيعة الاشياء كما عرفنا .

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشح للاعداد الرسالي القيادي والمنصوب لتسلم مستقبل الدعوة وتزعمها فكريا وسياسيا الا علي بن أبي طالب الذي رشحه لذلك عمق وجوده في كيان الدعوة وانه المسلم الاول بها والمجاهد الاول في سبيلها عبر كفاحها المرير ضد كل أعدائها وعمق وجوده في حياة القائد الرسول وانه ربيبه الذي فتح عينيه في حجره ونشأ في كنفه وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه مالم يتوفر لاي انسان آخر .

والشواهد من حياة النبي والامام علي ان النبي كان يعد الامام اعدادا رسالياً خاصاً كثيرة جداً فقد كان النبي يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها ويبدأه بالعطاء الفكري والتثقيف اذا استنفذ الامام اسئلته ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق ومناهج العمل الى آخر يوم من حياته الشريفة .

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابي اسحاق سألت قثم ابن العباس كيف ورث علي رسول الله قال لانه كان أولنا به لحوقا واشدنا به لزوقا . وفي حلية الاولياء عن ابن عباس أنه يقول كنا نتحدث ان النبي عهد الى علي سبعين عهدا لم يعهده الى غيره .

وروى النسائي في الخصائص عن الامام علي انه يقول كانت لي منزلة من رسول الله لم تكن لأحد من الخلائق كنت أدخل على نبي الله كل ليلة

فأن كان يصلي سبح فدخلت وان لم يكن يصلي اذن لي فدخلت • وروى أيضا عن الامام قوله كان لي من النبي مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار •

وروى النسائي عن الامام أيضا انه كان يقول كنت اذا سألت رسول الله أعطيت واذا سكت ابتدأني ورواه الحاكم في المستدرك أيضا وقال صحيح على شرط الشيخين •

وروى النسائي عن أم سلمة انها كانت تقول والذى تحلف به أم سلمة ان أقرب الناس عهدا برسول الله علي قالت لما كانت غداة قبض رسول الله فأرسل اليه رسول الله واظنه كان بعثه في حاجة فجعل يقول جاء علي ثلاث مرات فجاء قبل طلوع الشمس فلما أن جاء عرفنا أن له اليه حاجة فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة وكنت في آخر من خرج من البيت ثم جلست وراء الباب فكنت ادناهم الى الباب فأكب عليه علي فكان آخر الناس به عهدا فجعل يساره ويناجيه •

وقال أمير المؤمنين في خطبته الناصعة الشهيرة وهو يصف ارتباطه الفريد بالرسول القائد وعناية النبي باعداده وتربيته (وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصه وضعني في حجرة وأنا ولد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ••• ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة) •

ان هذه الشواهد وشواهد اخرى كثيرة تقدم لنا صورة عن ذلك الاعداد الرسالي الخاص الذي كان النبي يمارسه في سبيل توعية الامام علي على

المستوى القيادى للدعوة • كما ان في حياة الامام علي بعد وفاة القائد الرسول أرقاماً كثيرة جداً تكشف عن ذلك الاعداد العقائدي الخاص للامام علي من قبل النبي بما تعكسه من اثار ذلك الاعداد الخاص ونتائجه فقد كان الامام هو المفزع والمرجع لحل أي مشكلة يستعصي حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ ولا نعرف في تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء الاربعة واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكى يتعرف على رأي الاسلام وطريقة علاجه للموقف بينما نعرف في التاريخ عشرات الوقائع التى أحست القيادة الاسلامية الحاكمة فيها بضرورة الرجوع الى الامام بالرغم من تحفظاتها في هذا الموضوع •

واذا كانت الشواهد كثيرة على أن النبي كان يعد الامام اعدادا خاصا لمواصلة قيادة الدعوة من بعده فالشواهد على اعلان الرسول القائد عن تخطيطه هذا واسناده زعامة الدعوة الفكرية والسياسية رسميا الى الامام علي لا تقل عنها كثرة كما نلاحظ ذلك في حديث الدار وحديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث الغدير وعشرات من النصوص النبوية الاخرى •

وهكذا وجد التشيع في اطار الدعوة الاسلامية متمثلا في هذه الاطروحة النبوية التي وضعها النبي (ص) بأمر من الله للحفاظ على مستقبل الدعوة• هكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الاحداث بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الاصيلة التي كانت تفرض على الاسلام أن يلد التشيع وبمعنى آخر كانت تفرض على القائد الاول للتجربة أن يعد للتجربة قائدها الثاني الذي تواصل على يده ويد خلفائه نموها الثورى وتقترب نحو أكتمال هدفها التغييرى في اجتثاث كل رواسب الماضى الجاهلي وجذوره وبناء أمة جديدة على مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها

عرفنا الآن كيف ولد التشيع وأما كيف ولد الشيعة ونشأ الانقسام على أساس ذلك في الامة الاسلامية فهذا ماسنجيب عليه الآن •

انا اذا تتبعنا المرحلة الاولى من حياة الامة الاسلامية في عصر النبي نجد ان اتجاهين رئيسيين ومختلفين قد رافقا نشوء الامة وبداية التجربة الاسلامية منذ السنوات الاولى وكانا يعيشان معا داخل إطار الامة الوليدة التي انشأها الرسول القائد • وقد ادى هذا الاختلاف بين الاتجاهين الى انقسام عقائدي عقيب وفاة الرسول مباشرة شطر الامة الاسلامية الى شطرين قدر لاحدها أن يحكم فأستطاع أن يمتد ويستوعب أكثرية المسلمين بينما أقصي الشطر الآخر عن الحكم وقدر له أن يمارس وجوده كأقلية معارضة ضمن الاطار الاسلامي العام وكانت هذه الاقلية هى الشيعة •

والاتجاهان الرئيسان اللذان رافقا نشوء الامة الاسلامية في حياة النبي منذ البدء هما :

أولا ـ الاتجاه الذي يؤمن بالتعبد بالدين وتحكيمه والتسليم المطلق للنص الديني في كل جوانب الحياة •

وثانيا ـ الاتجاه الذى لايرى ان ايمانه بالدين يتطلب منه التعبد الا في نطاق خاص من العبادات والغيبيات ويؤمن بامكانية الاجتهاد وجواز التصرف على أساسه بالتغيير والتعديل في النص الديني وفقا للمصالح في غير ذلك النطاق من مجالات الحياة •

وبالرغم من أن الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أمة رسالية حتى ان تأريخ الانسان لم يشهد جيلاً عقائدياً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الذي انشأ الرسول القائد بالرغم من ذلك نجد من الضرورى التسليم بوجود اتجاه واسع منذ كان النبي حيا يميل الى تقديم الاجتهاد في تقدير المصلحة واستنتاجها من الظروف على التعبد بحرفية النص الديني كما كان هناك اتجاه آخر يؤمن بتحكيم الدين والتسليم له والتعبد بكل نصوصه في جميع جوانب الحياة •

وقد يكون من عوامل انتشار الاتجاه الاجتهادي في صفوف المسلمين أنه يتفق مع ميل الانسان بطبيعته الى التصرف وفقا لمصلحة يدركها ويقدرها بدلا عن التصرف وفقا لقرار لايفهم مغزاه • وقد قدر لهذا الاتجاه ممثلون جريئون من كبار الصحابة من قبيل عمر بن الخطاب الذي ناقش الرسول واجتهد في مواضع عديدة خلافا للنص ايمانا منه بجواز ذلك مادام يرى أنه لم يخطىء المصلحة في اجتهاده وبهذا الصدد يمكننا أن نلاحظ موقفه من صلح الحديبية واحتجاجه على هذا الصلح وموقفه من الاذان وتصرفه فيه بأسقاط حي على خير العمل وموقفه من النبي حين شرع متعة الحج الى غير ذلك من مواقفه الاجتهادية •

وقد انعكس كلا الاتجاهين في مجلس الرسول (ص) في آخر يوم من أيام حياته فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي هلم اكتب لكم كتابا لاتضلوا بعده فقال عمر ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ماقال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم قوموا •

وهذه الواقعة وحدها كافية للتدليل على عمق الاتجاهين ومدى التناقض والصراع بينهما • ويمكن أن نضيف اليها لتصوير عمق الاتجاه الاجتهادى ورسوخه ماحصل من نزاع وخلاف بين الصحابة حول تأمير اسامة بن زيد على الجيش بالرغم من النص النبوي الصريح على ذلك حتى خرج الرسول (ص) وهو مريض فخطب الناس وقال ، ياأيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمير اسامة ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميرى أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقاً بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها •

وهذان الاتجاهان اللذان بدأ الصراع بينهما في حياة النبي (ص) قد

انعكسا على موقف المسلمين من اطروحة زعامة الامام للدعوة بعد النبي فالمثلون للاتجاه التعبدي وجدوا في النص النبوى على هذه الاطروحة سبباً ملزماً بقبولها دون توقف أو تعديل . وأما الاتجاه الاجتهادي فقد رأى أن بامكانه أن يتحرر من الصيغة المطروحة من قبل النبي اذا أدى اجتهاده الى صيغة أخرى أكثر انسجاما في تصوره مع الظروف .

وهكذا نرى أن الشيعة ولدوا منذ وفاة النبي مباشرة متمثلين في المسلمين الذين خضعوا عمليا لاطروحة زعامة الامام وقيادته التي فرض النبي الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة . وقد تجسد الاتجاه الشيعي منذ اللحظة الاولى في انكار ما اتجهت اليه السقيفة من تجميد لاطروحة زعامة الامام علي وإسناد السلطة الى غيره .

ذكر الطبرسي في الاحتجاج عن ابان بن تغلب قال قلت لجعفر بن محمد الصادق جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله انكر على أبي بكر فعله قال نعم كان الذى انكر عليه اثنا عشر رجلا . من المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص وسلمان الفارسي وابو ذر الغفاري والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وبريدة الاسلمي ومن الانصار أبو الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابي بن كعب وابو أيوب الانصاري .

هذه خطوط عامة عن تفسير التشيع بوصفه ظاهرة طبيعية في اطار الدعوة الاسلامية وتفسير ظهور الشيعة كاستجابة لتلك الظاهرة الطبيعية وسوف أترك كثيرا من التفاصيل للاخ العزيز الفاضل الدكتور عبدالله الفياض في كتابه الجليل الذي أقدم له فقد وفق الى درجة كبيرة في دراسته للشيعة بروح موضوعية وبمنهج علمي رصين واستطاع في هذه الدراسة الثمينة أن يرد على كثير من الاقاويل والاراجيف التي تترد حول تفسير ظهور التشيع والشيعة ويثبت بالارقام ولادة نظيفة للتشيع وبصورة بعيدة عن كل مايربطه به اعداؤه من عوامل الدس والتخريب ويحتوى الكتاب على

استعراض جيد للأتجاهات المتعددة التي ظهرت داخل الاطار الشيعي وتحديد للملامح العامة لكل واحد من تلك الاتجاهات وبالرغم من اني اختلف مع الاستاذ الفياض في مواضيع عديدة من كتابه فأن هذا لايمنعني عن الشعور بالقيمة العلمية لهذا الكتاب والتفاؤل بتناول أمثال الفياض من كتابنا المحدثين لتأريخنا الاسلامي بالبحث والتحقيق بروح موضوعية غير متأثرة لا بعوامل الدس والتحريف الداخلية في تأريخنا ولا بمشاعر الحقد والكراهية التي يعبر عنها كثير من المستشرقين في دراستهم لتأريخنا وحضارتنا الاسلامية • وأود أن أشير قبل ختام الحديث الى نقطة اعتبر توضيحها على درجة كبيرة من الاهمية وهي ان الاستاذ الفياض يحاول التمييز بين نحوين من التشيع احدهما التشيع الروحي والآخر التشيع السياسي • ويعتقد أن التشيع الروحي اقدم عهدا من التشيع السياسي وان ائمة الشيعة الامامية من أبناء الحسين قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة وانصرفوا الى الارشاد والعبادة والانقطاع الى الدنيا •

والحقيقة ان التشيع لم يكن في يوم من الايام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت وانما ولد التشيع في أحضان الاسلام بوصفه اطروحة مواصلة الامام علي لقيادة النبي الفكرية وقيادته السياسية للدعوة على السواء كما أوضحنا سابقا عند استعراض الظروف التي أدت الى ولادة التشيع ولم يكن بالامكان بحكم هذه الظروف التي استعرضناها أن يفصل الجانب الروحي عن الجانب السياسي في اطروحة التشيع تبعاً لعدم انفصال أحدهما عن الآخر في الاسلام نفسه •

فالتشيع اذن لايمكن أن يتجزأ الا اذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكريةوالزعامة السياسية للتجربة الاسلامية معا • وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للامام علي في صفوف المسلمين بأعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء

الثلاثة في الحكم وهذا الولاء هو الذي جاء به الى السلطة عقيب مقتل عثمان ولكن هذا الولاء ليس تشيعا روحيا ولا سياسيا وان نما التشيع الروحي والسياسي داخل اطاره فلا يمكن أن نعتبره مثالا على التشيع المجزأ كما ان الامام كان يتمتع بولاء روحي وفكري من عدد من كبار الصحابة في عهد أبي بكر وعمر من قبيل سلمان وابي ذر وعمار وغيرهم ولكن هذا لايعني أيضا تشيعا روحيا منفصلا عن الجانب السياسي بل أنه تعبير عن ايمان اولئك الصحابة بقيادة الامام علي للدعوة بعد وفاة النبي فكرياً وسياسياً وقد انعكس ايمانهم بالجانب الفكري من هذه القيادة بالولاء الروحي المتقدم وانعكس ايمانهم بالجانب السياسي منها بمعارضتهم لخلافة ابي بكر وللاتجاه الذي أدى الى صرف السلطة عن الامام الى غيره •

ولم تنشأ في الواقع النظرة التجزيئية الى التشيع الروحي بصورة منفصلة عن التشيع السياسي ولم تولد في ذهن الأنسان الشيعي الا بعد أن ستسلم للواقع وانطفأت جذوة التشيع في نفسه كصيغة محددة لمواصلة القيادة الاسلامية فيبناء الامة وانجاز عمليةالتغير الكبيرة التي بدأها الرسول الكبير وتحولت الى مجرد عقيدة يطوى الانسان عليها قلبه ويستمد منها سلوته وأمله •

وهنا نصل الى مايقال من أن أئمة اهل البيت من ابناء الحسين اعتزلوا السياسة وانقطوا عن الدنيا فنلاحظ أن التشيع بعد أن فهمناه كصيغة لمواصلة القيادة الاسلامية والقيادة الاسلامية لاتعني الا ممارسة عملية التغير التي بدأها الرسول الكريم لتكميل بناء الامة على اساس الاسلام فليس منالممكن أن نتصور تنازل الائمة عن الجانب السياسي الا اذا تنازلوا عن التشيع • غير ان الذي ساعد على تصور اعتزال الائمة وتخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم مابدا من عدم اقدامهم على عمل مسلح ضد الوضع الحاكم مع اعطاء الجانب السياسي من القيادة معنى ضيقا لاينطبق الا على عمل مسلح

من هذا القبيل • ولدينا نصوص عديدة عن الائمة عليهم السلام توضح ان امام الوقت دائما كان مستعدا لخوض عمل مسلح اذا وجدت لديه القناعة بوجود الانصار والقدرة على تحقيق الاهداف الاسلامية من وراء ذلك العمل المســلح •

ونحن اذا تبعنا سير الحركة الشيعية نلاحظ أن القيادة الشــيعية المتمثلة في أئمة أهل البيت كانت تؤمن بأن تسلم السلطة وحـده لا يكفي ولا يمكن من تحقيق عملية التغيير اسلاميا مالم تكن هذه السلطة مدعمـة بقواعد شعبية واعية تعي أهداف تلك السلطة وتؤمن بنظريتها في الحــكم وتعمل في سبيل حمايتها وتفسير مواقفها للجماهير وتصمد في وجه الاعاصير • وفي نصف القرن الاول بعد وفاة النبي كانت القيادة الشيعية بعد اقصائهـا عن الحـكم تحـاول وباستمرار استرجاع الحـكم بالطرق التي تؤمن بهـا لانهـا كانت تؤمن بوجـود قواعـد شـعبية واعيــة أو في طريق التوعية من المهــاجرين والانصــار والتابعين باحسان ولــكن بعــد نصف قرن وبعد أن لم تبق من هذه القواعد الشعبية شيء مذكور ونشأت أجيال مائعة في ظل الانحراف لم يعد تسلم الحركة الشيعية للسلطة محققا للهدف الكبير لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية وامام هذا الواقع كان لابد من عملين أحدهما العمل من أجل بناء هذه القواعـد الشعبية الواعيـة التي تهيء أرضية صالحة لتسلم السلطة والآخر تحريك ضمير الامـــة الاسلامية وارادتها والاحتفاظ للضمير الاسلامي والارادة الاسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحـرفين •

والعمل الاول هو الذي مارسه الائمة بأنفسهم والعمل الثاني هــو الذى مارسه ثائرون علوين كانوا يحاولون بتضحياتهم اليائسة أن يحافظوا

على الضمير الاسلامي والارادة الاسلامية وكان الائمة يسندون المخلصين منهـم •

قال الامام علي بن موسى الرضا للمأمون وهو يحدثه عن زيد بن علي الشهيد انه كان من علماء آل محمد غضب الله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر انه سمع أباه جعفر بن محمد يقول رحم الله عمي زيداً إنه دعـا الى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى لله من ذلك انه قال ادعوكم الى الرضا من آل محمد[١] •

وفي رواية انه ذكر بين يدي الامام الصادق من خرج من آل محمد فقال لا أزال أنا وشيعتي بخير ماخرج الخارجي من آل محمد ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعلي نفقة عياله[٢] • فترك الائمة اذن لممارسة العمل المسلح بصورة مباشرة ضد الحكام المنحرفين لم يكن يعني تخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم وانصرافهم الى العبادة وانمـا كان يعبر عن اختلاف صيغة العمل السياسى التى تحددها الظروف الموضوعيـة وعن ادراك معمق لطبيعة العمل التغييري واسلوب تحقيقه •

النجف الاشرف

محمد باقر الصـدر

---

(١) الوسائل ، كتاب الجهاد •

(٢) السرائر لابن ادريس •

مقدمة

يتناول الكتاب الذي أقدمه للقارىء تأريخ طائفة من الشيعة كانوا الرواد الاول للتشيع وواضعي بذرته في عهد الرسول (ص) ، كما كانوا أشهر بناة الفكر الشيعي ، وما زال هؤلاء يكونون العمود الفقري للشيعة. وكان اولئك الشيعة يتمسكون بالنص والتعيين ، ويقولون بمضمون وصية النبي (ص) لعلي (ع) بالخلافة والامامة . وبقيت تلك الجماعة تسير على المنهاج الاول ، وتتمسك بالوصية بعد أن تفرقت بالشيعة السبل وتقطعت بينهم الاسباب ، وانفصلت عنهم مع الزمن مجموعة الفرق غير الاسلامية وهم الغلاة أمثال الكيسانية والهاشمية والمغيرية وغيرها ، ثم انبثقت عنهم الفرق الشيعية الاخرى كالزيدية والاسماعيلية وفروعهما .

واستمر الشيعة الذين قالوا بالنص والتعيين على تبني سلسلة من الائمة عرفوا فيما بعد بالائمة الاثنى عشر المعصومين أولهم علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم الامام الحجة الغائب (ع) . وكون الشيعة القائلون بالنص ، والذين جريت على تسميتهم في هذا الكتاب بأسلاف الامامية ، فرقة شيعية في القرن الثاني للهجرة اطلقت عليها حينذاك اسماء مختلفة : منها « الترابية » نسبة الى أبي تراب كنية علي بن أبي طالب (ع) ومنها « الجعفرية » ، ومنها « الرافضة » أحيانا .

وبعد أن حصلت الغيبة بعد منتصف القرن الثالث للهجرة بقليل ، سميت الفرقة الشيعية المذكورة بـ « الامامية » أو الأثني عشرية .

ويترتب على ذلك ان الامامية هم الشيعة القائلون بالنص والتعيين والذين يعتقدون بأثني عشر اماما ، تسعة منهم من ولد الحسين (ع) اولهم علي ابن ابي طالب وآخرهم الامام الغائب الحجة (ع) .

ويقع كتابي هذا بأربعة فصول • تناولت في الفصل الاول منه التشيع والشيعة قبل ظهور فرقة الامامية ، كما تطرقت في الفصل الثاني الى ظهور فرقة الامامية ورسوخها بعد غيبة المهدي (ع) • وخصصت الفصل الثالث منه للبحث عن الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منهما • أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه العقائد الاساسية للشيعة الامامية •

أما المصادر لتي اعتمدتها في اعداد هذا الكتاب فكانت متنوعة • ويمكن تقسيمها الى :ـ

أ ـ كتب الفرق • ب ـ كتب الحديث • ج ـ كتب التأريخ •

وكانت كتب الفرق أكثر الاصناف المذكورة اهمية واكبرها فائدة ، لاختصاصها في موضوع الكتاب أولا ، ولان المعلومات المستقاة منها تعبر على الاكثر عن الواقع ، أي عما كان ، اكثر من كتب الحديث التي تعبر ، في الغالب ، عما يجب أن يكون ثانيا • وقد اشرت الى بعض الحالات التي ظهر فيها ماذهبت اليه بهذا الخصوص في مواضعه من هذا الكتاب •

ويبدو ان تأريخية كثير من المعلومات التي تضمنتها كتب الحديث موضع نظر ، لذا وجب على المؤرخ عند استعماله لتلك الكتب ، أن يتنبه الى تلك الناحية ويشير اليها عند الضرورة • أما كتب التأريخ فأن دورها ، بحكم طبعة هذا الكتاب ، ثانوي • وبالرغم من ذلك فأن المعلومات التي استقيتها منها كانت ذات فائدة كبيرة •

أما المراجع الحديثةا لتي استعنت بها فهي كثيرة • وكانت كتب الدكتور كامل الشيبي حول الشيعة والتصوف أكثرها نفعاً وأوثقها صلة بالبحث العلمي •

وبعد ماقدمت أود أن أشير الى أن الموضوع الذي عالجته في هذا الكتاب كان بالغ الصعوبة ويترتب على ذلك انني لا ادعي ايفاء الموضوع

حقه من البحث والاستقصاء • وكل ماقدمته بهذا الخصوص كان محاولة اولى ، أرجو أن تكون فاتحة لغيرها من البحوث النافعة •

وان صعب عليّ حل معضلة أو أكثر ، لجهل أو خطأ ، أرجو أن ينبهني القاريء الكريم الى ذلك وله من الله القدير أحسن الجزاء ومني أعظم الشكر والامتنان •

وحاولت جهد الطاقة ، أن أكون موضوعيا ضمن الاطار الذي يتطلبه موضوع له صلة وثقى بالعقيدة كموضوعي • واترك للقاريء الحرية في قبول أو تقويم أو رفض الاطار الذي تصورته لموضوعية بحثي • كما أرجو ممن يخالفني من القراء ، أن يتذكر ، قبل اصدار حكمه على بحثي هذا انني أقدم له موضوعا تصارعت في جنباته حقائق التأريخ مع نزوات الكتاب المنبعثة عن التعصب على الشيعة غالبا اولهم أحيانا • ولا غرابة في ذلك لان الشيعة ، كما هو معروف رفعوا علم المعارضة لما اعتقدوا بأنه انحراف عن الصواب ، ولما كان من شأنه التميز بين مسلم وآخر ، في اغلب فترات تأريخهم • ونتيجة لذلك صب الحكام ، الا ماندر منهم ، جام غضبهم على الشيعة فأعملوا السيف في رقابهم ، وأورثوا الخراب في مؤسساتهم ، وأشاعوا التشويه في عقائدهم •

وقبل أن اختتم أتوجه بالشكر الجزيل الى حضرات الاساتذة الافاضل الذين ساعدوني أثناء اعدادي لهذا البحث وعلى رأسهم الدكتور قسطنطين زريق أحد اساتذة دائرة التاريخ بالجامعة الامريكية ببيروت الذي قرأ مسودته الاولى ، عندما وضعت خطوطها العامة قبل سنوات • وقد أبدى ملاحظات وآراء نافعة كان لها أثر كبير في توجيهي عند استئناف البحث في الكتاب واكماله ووضعه بشكله الحالي بعد تتبع للمصادر استغرق من وقتي أكثر من سنتين •

وأعتقد ان الصورة التي وضعتها للشيعة ولاتاجهم الفكري في القرون الاسلامية الخمس الاولى ستتم عندما أوفق لنشر كتابي الجديد الموسوم بـ « تأريخ التربية عند الامامية بين عصري الامام الصادق والشيخ الطوسي» وهو اطروحتي للدكتوراه .

ومن الوفاء أن أتقدم بشكري للعلامة الجليل السيد محمد باقر الصدر الذى تفضل بكتابه مقدمة لكتابي هذا بسط فيها آراءه القيمة عن الشيعة والتشيع وأشار سماحته الى أنه يختلف معي في بعض الآراء التي وردت في الكتاب .

وكم كان سروري كبيرا حين وجدت من يختلفون معي حول بعض آرائي التي ضمنتها هذا الكتاب لان الاختلاف البناء ، وهو ماظهر في مقدمة المفكر الجليل السيد الصدر ، طريق من طرق الوصول الى الحقيقة الذي هو هدف الباحثين في كل عصر ومكان والله من وراء القصد .

عبدالله الفياض

بغداد في ٨ شباط ١٩٧٠

الفصل الاول

التشيع والشيعة قبل ظهور فرقة الامامية

الشيعة ، في اللغة ، الانصار والاتباع[1] • أما في الاصطلاح ، فأن الكلمة المذكورة تطلق على كل من يتولى عليا واهل بيته (ع) • قال الفيروزابادي « وشيعة الرجل ، بالكسر ، اتباعه وانصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحد ، والاثنين ، والجمع والمذكر ، والمؤنث • وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا واهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا »[2] •

وربما كانت الرواية المنسوبة لابي مخنف اقدم الروايات التي تضمنت كلمة « شيعة » بمعناها الدال على اتباع علي واهل بيته ونصرتهم • وجاء في الرواية المذكورة أن الحسن بن علي (ع) قال لاهل الكوفة أنتم شيعتنا[3] وورد المعنى نفسه في روايتي المنقري والمسعودى التاليتين :

---

(١) وردت كلمة « شيعة » بمعنى الانصار والاتباع ، دون التخصيص بعلى وولده (ع) ، في طائفة من النصوص • روى الطبرى (٤ — ٤١٠) أن حسان بن مالك في محادثة مع زميل له قال « وانا اشهد لئن كان دين يزيد بن معاوية وهو حي حقا يومئذ أنه اليوم وشيعته على حق ، وان كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل أنه اليوم على باطل وشيعته ••• » وروى المسعودى (التنبيه والاشراف ٣٣٠) ان ولدي مروان ، آخر خلفاء بنى أمية ، هربا « فيمن تبعهما من أهلهما ومواليهما ••• ومن انحاز اليهم من اهل خراسان من شيعة بنى أمية» •• قال الشيخ الطوسى (تلخيص الشافي ، ٣ — ٩٩) « وعثمان نفسه مع شيعته وإقاربه ••• »

ونفيد من النصوص السابقة ان كلمة «شيعة» في كل منها ، استعملت بمعنى الانصار والاتباع وهو المعنى اللغوى للكلمة المذكورة •

(٢) القاموس المحيط ، «مادة» شاع •

(٣) أبو مخنف ، لوط بن يحيى «المنسوب» مقتل الامام ابى عبدالله الحسين (النجف ، ١٩٦٠) ص١ •

فالمنقري يقول ان الامام عليا قال : ان اتباع طلحة والزبير في البصرة « قتلوا شيعتي وعمالي ... »[٤] .

وروى المسعودي ان الامام علياً أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة لابي بكر[٥] .

ونورد بعدما سيق تعريف الشيعة . قل ابو الحسن الاشعري «وانما قيل لهم الشيعة لانهم شايعوا عليا (ر) ويقدمونه على سائر اصحاب رسول الله (ص) »[٦] .

أما الشهرستاني فيعرف الشيعة بقوله « الشيعة هم الذين شايعوا عليا (ر) على الخصوص ، وقالوا بامامته وخلافته ، نصا ووصيته أما جلياً وأما خفيا . واعتقدوا ان الامامة لاتخرج من أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده »[٧] ولعل تعريف الشهرستاني أكثر تدقيقاً من تعريف الاشعري لانه يؤكد على النص بنوعية : الجلي والخفى ، وهو أمر ضروري لتمييز الشيعة ، خاصة الامامية ، عن غيرهم من المسلمين . ويتناول الشيخ محمد بن الحسن الطوسي الكلام عن النص والوصية ويربط التشيع بالاعتقاد بكون علي اماما للمسلمين بوصيته من الرسول وبأرادة من الله[٨] ثم يقسم النص الى نوعين : الجلي والخفي . أما النص الجلي فقد « تفرد بنقله الشيعة الامامية ، خاصة ـ وان كان في أصحاب الحديث من رواه على وجه نقل اخبار الاحاد ... » أما النص الخفي فيرى

---

(٤) نصر بن مزاحم ، وقعة صفين «القاهرة ، ١٣٦٥ هـ» ص٧ .
(٥) المسعودي ، على بن الحسين ، الوصية (النجف لا٠ت) ص ١٢١ .
(٦) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٠) ص ٦٥ .
(٧) الملل والنحل ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٦) ص ١٣١ .
(٨) تلخيص الشافي ، ج٢ (النجف ، ١٩٦٣) ص ٥٦ ـ ٧ .

الطوسي أيضا (ان جميع الامة تلقته بالقبول ، وان اختلفوا في تأويله والمراد منه ولم يقدم أحد منهم على انكاره ممن يعتد بقوله)[٩] .

وقد يكون النص الجلي على امامة علي وصفا لا تسمية ، كما يرى الجارودية من الزيدية . قال الاشعري ان الجارودية يزعمون ان النبي (ص) « نص على علي ابن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية ، فكان هو الامام من بعده ... »[١٠] .

ويخرج الطوسي السليمانية من الزيدية من فرق الشيعة لانهم لايقولون بالنص ، وانما يقولون « ان الامامة شورى ، وانها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وانها تصلح في المفضول ... »[١١] . ولما كان قول الصالحية والبترية من الزيدية « في الامامة كقول السليمانية »[١٢] ينطبق عليهم ، على رأي الطوسي ، ماينطبق على السليمانية .

أما الغلاة من الشيعة ، بما فيهم الكيسانية ، فلا يعدهم الامامية ،الذين يمثل رأيهم الشيخ الطوسي سالف الذكر ، من المسلمين بله من الشيعة لانهم خرجوا عن حد الامامة الى الربوبية اولا ، وان طوائف منهم كالهاشمية أجازوا انتقال الامامة من ولد علي الى ولد العباس ثانيا ، كما ان بعضهم أخرج الامامة من آل الرسول الى عامة الناس وذلك أمثال البيانية التي ساقت الامامة الى شخص اسمه بيان[١٣] .

ونختم التعاريف التي أوردناها للشيعة سابقا ، بتعريف ابن حزم الذي نعده من أكثر التعاريف شمولا واقربها للتدقيق . يقول ابن حزم

---

(٩) أيضا ، ج٢ ص ٤٦ .
(١٠) مقالات ، ج١ ، ص١٣٣ .
(١١) أيضا ، ج١ ص١٣٥ .
(١٢) الشهرستانى ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢ .
(١٣) الاشعري ، سعد بن عبدالله ، كتاب المقالات والفرق(طهران ١٩٦٣) ص٣٧ .

«ومن وافق الشيعة في أن عليا (ر) أفضل الناس بعد رسول الله (ص) واحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعي وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فان خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا »[١٤] •

ومما حدانا الى تفضيل تعريف ابن حزم هو ان الاعتراف بافضلية الامام علي (ع) على الناس بعد رسول الله ، وانه الامام والخليفة بعده ، وان الامامة في ذريته من فاطمة هو اس التشيع وجوهره • ففرق الزيدية التي تساهلت بقضية افضلية الامام علي على سائر الصحابة ، وجماعات الغلاة التي خرجت عن حد الامامة الى الربوبية يصعب حشرها في اطار التشيع العام •

ويناقش الدكتور الشيبي مجموعة من العبارات الاصطلاحية التي أدخلها الاسلام أمثال «الانصار» و «المهاجرين» و «التابعين» و «الشيعة» • فالانصار تنصرف الى من ناصروا النبي (ص) من أهل المدينة كما تنصرف العبارات الاخرى الى دلالاتها المعروفة ، وصارت عبارة « الشيعة » مختصة بمشايعي علي وناصريه • ويخلص الشيبي الى القول بأصالة عبارة «الشيعة» وصدورها عن روح الاسلام وطابعه الجديد في اطلاق الاوصاف على الجماعات التي يجمعها جامع معين ، وتلك روح عربية تنعكس من طابع العرب وطراز تفكيرهم • ويرى الشيبي أيضا ان عبارة « الاسلام » نابعة من هذا المنبع ، ويستشهد بآيتين من القرآن الكريم[١٥] ويختم تعليقه بقوله « فالمسلمون هم المنقادون لله، والانصار من نصروا النبي ، والمهاجرون من هجروا الاوطان لنصرة النبي ••• والشيعة من شايعوا عليا ، وكل ذلك جار على اسلوب العرب وطابعهم »[١٦] •

---

(١٤) الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ج٢ (طبعة الاوفست مكتبة المثنى بغداد) ص١١٣ •

(١٥) آل عمران ٣ – ٦٧ ويونس ١٠ – ٩٠ •

(١٦) الشيبي ، كامل مصطفى ، الصلة بين التصوف والتشيع، ج١ (بغداد ، ١٩٦٣) ص ١٠ – ١١ •

متى ظهر التشيع :

هناك أقوال في ظهور التشيع . أولها — أنه ظهر في زمن النبي (ص): قال البرقي (ت ٢٧٤/٢٨٠هـ) ان أصحاب علي أمير المؤمنين ينقسمون الى « الاصحاب ، ثم الاصفياء ، ثم الاولياء ، ثم شرطة الخميس .. » . ويجعل من الاصفياء «سلمان الفارسي . المقداد . أبو ذر . عمار . أبو ليلى . شبير . أبو سنان . أبو عمرة . أبو سعيد الخدرى . أبو برزة . جابر بن عبدالله . البراء بن عازب . عرفة الازدى ...»[١٧] .

ولما كان هؤلاء جميعا من أصحاب رسول الله (ص) ، وانهم قالوا بالتشيع لعلي والتزموا بتأييده بعد وفاة الرسول ، فلابد أن يكون رأيهم بأمامة علي قد تكون في حياة الرسول .

أما النوبختي (ت : ٣٠٠هـ) فيقول ان أول «الفرق الشيعة وهم فرقة علي بن ابى طالب (ع) ، المسمون شيعة علي (ع) في زمان النبي (ص)وبعده معروفون بأنقطاعهم اليه والقول بأمامته »[١٨] روى الصدوق (ت : ٣٨١هـ) ان ابن عباس قال « سمعت رسول الله (ص) يقول انه اذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال ... »[١٩] وقال رسول الله (ص) أيضا « يدخل من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ، ثم التفت الى علي (ع) وقال هم شيعتك ياعلي وانت امامهم »[٢٠] .

ويظهر ان الاحاديث التي أشارت الى ظهور التشيع في عهد النبي(ص)

---

(١٧) البرقي ، أحمد بن أبي عبدالله ، الرجال (طهران ، ١٣٤٢ ش) ص١ .

(١٨) فرق الشيعة (استانبول ، ١٩٣١) ص١٥ .

(١٩) علل الشرائع (النجف ، ١٩٦٣) ص١٥٦ .

(٢٠) الديلمي ، محمد ، ارشاد القلوب ، ج١ (بيروت ، ١٣٨١) ص١٩٣ .

كثيرة الى حد أن السيد حامد حسين اللكناهوري ، وهو من الكتاب المحدثين ملأ بها صفحات كتابه الموسوم بـ « عبقات الانوار » وهو يزيد على عشر مجلدات[٢١] •

أما الرأي الثاني فيجعل ظهور التشيع يوم السقيفة ويستند اصحاب هذا الرأى الى تصريح جماعة من الصحابة يوم السقيفة بوجوب تقديم علي • روى الطبري ان الزبير اخترط سيفه « وقال لا اغمده حتى يبايع علي ••• »[٢٢] ويبين اليعقوبي ان جماعة من المهاجرين والانصار تخلفوا عن بيعة أبي بكر « ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس بن عبدالمطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر والبراء بن عازب ، وابي بن كعب ••• »[٢٣] •

ويصعب القول ان هؤلاء كونوا رأيهم في استحقاق علي (ع) للامامة بعد وفاة النبي (ص) دون مقدمات ويبدو ان عددا منهم كونوا الرأي المذكور في حياة النبي • ثم ان استمرار طائفة من هؤلاء على ولائهم لعلي واعترافهم بأمامته يدل على أن قولهم بأمامة علي لم يكن نتيجة لافكار طارئة خلقتها ظروف بيعة ابي بكر في سقيفة بني ساعدة •

أما الرأي الثالث فيجعل تأريخ ظهور الشيعة يوم الجمل • قال ابن النديم ان عليا قصدد طلحة والزبير « ليقاتلهما حتى يفيئا الى أمر الله جل اسمه [و] تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة ، فكان يقول شيعتي وسماهم عليه السلام الاصفياء ، الاولياء ، شرطة الخميس ، الاصحاب »[٢٤] •

---

(٢١) كاشف الغطاء ، محمد حسين ، أصل الشيعة واصولها (بيروت ، لا•ت) ٨٧ ـ ٩٠ •
(٢٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٣٨) ص٤٤٤ •
(٢٣) التاريخ ، ج٢ (النجف ، ١٣٥٨) ص١٠٣ •
(٢٤) الفهرست (القاهرة ، لا•ت) ص٢٦٣ •

ويبدو ان رأي ابن النديم المذكور ضعيف لان رواية البرقي التي أشرنا اليها قبل قليل تجعل من بين الاصفياء من أصحاب علي « سلمان الفارسي ، والمقداد ، وابو ذر » ومن المعلو ان كلا من سلمان الفارسي وابي ذر كانا قد توفيا قبل معركة الجمل •

ويميل فلهاوزن الى قبول رأي ابن النديم حين يقول « بمقتل عثمان انقسم الاسلام الى حزبين : حزب علي ، وحزب معاوية ، والحزب يطلق عليه في العربية اسم «الشيعة» فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية ، لكن لما تولى معاوية الملك في دولة الاسلام كلها ••• أصبح استعمال لفظ «شيعة» مقصورا على أتباع علي »(٢٥) ولعل فيما قدمناه من أدلة على وجود شيعة لعلي قبل مقتل عثمان وقبل وقوع معركة الجمل يضعف رأي فلهاوزن سالف الذكر •

أما الرأي الرابع فيجعل تأريخ ظهور الشيعة بعد رجوع علي من صفين ومن أشهر القائلين بالرأى المذكور الاستاذ وات مونتكومري (Watt) يقول وات أن بداية حركة الشيعة هو أحد ايام سنة ٦٥٨ م (٣٧ هـ) حين قال جماعة من أتباع علي اننا نوالي من والاك ونعادي من عاداك ويعني ذلك ان هؤلاء كانوا مستعدين للقول بأنهم يقبلون بصورة مطلقة حكم علي في القضايا المهمة(٢٦) ويبدو ان وات استند برأيه المذكور على نص ورد في الطبري يقول فيه « لما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج وثبت اليه الشيعة فقالوا في أعناقنا بيعة ثانية نحن أوليا من واليت ، واعداء من عاديت»(٢٧) •

ان رأي وات هو الآخر لايخلو من ضعف استنادا على مابينا سابقا عن بداية ظهور التشيع وما سنبينه فيمايلي من الصفحات •

---

(٢٥) **الخوارج والشيعة ـ ترجمة عبدالرحمن بدوى ـ (القاهرة ١٩٥٨) ص١٤٦ •**

(٢٦) Watt, W. M., Islam and the Integration of Society, London, 1961, P. 104.

(٢٧) **تاريخ الرسل والملوك ، ٤ : ٤٦ •**

وبعد أن عرضت طائفة من الآراء التي حدد بها أصحابها بداية ظهور شيعة علي ، أود أن أشير الى أن « شيعة علي » عبارة يكتنفها الغموض ، وانها لم تأخذ مدلولها الاصطلاحي الا بعد مرور فترة طويلة على تاريخ استعمالها ، لذا فأن معظم التواريخ التي اقترحها الكتاب المذكورون ، يحيط بها شيء من الغموض لانها لم تفرق بوضوح بين ظهور التشيع لعلي بمعناه الخاص ـ وهو ما أسميته بالتشيع الروحي ـ الذي يتضمن القول بأمامة علي ، وانها بوصية من النبي وبارادة من الله ، وبين التشيع لعلي ، بمعناه العام وهو القول بحقه بالخلافة والعمل على استرداد الحق المذكور دون الالتزام كلية بقضية النص على أمامته •

والرأي عندي ان التشيع لعلي بمعناه الروحي زرعت بذرته في عهد النبي ونمت قبل توليه الخلافة والادلة على ذلك كثيرة أهمها :
أولا ـ ورود الاحاديث التي سبقت الاشارة اليها •

ثانيا ـ وصية النبي لعلي بالامامة والخلافة • وردت اشارات عديدة بهذا الخصوص يظهر منها ان النبي أوصى لعلي بأمامة المسلمين والخلافة عليهم • روى الطبري ان النبي (ص) في مجلس ضم جماعة من بني هاشم بمكة ، قال مشيرا لعلي «ان هذا اخي ووصي وخليفتي فيكم فأسمعوا له واطيعوا ••• »[(٢٨)] •

ويضيف الطبري الى أن النبي (ص) قال الحديث المذكور قبلهجرته الى المدينة ، ويعني ذلك ان النبي أشار بالدرجة الاولى الى المدلول الديني لامامة علي للمسلمين لان الدولة الاسلامية حينذاك لم تقم بعد • وذات مرة جاء رجل الى ابن عباس فقال له اخبرني عن علي بن أبى طالب فقال له ابن عباس « أيها الرجل والله لقد سألت عن رجل ما وطيء الحصى بعد رسول الله (ص) افضل منه ، وانه لاخو

---

(٢٨) التاريخ ، ٢ ـ ٦٣ ، وابن الاثير ، الكامل ج٢ (القاهرة ١٢٩٠) ص٢٢ •

رسول الله ، وابن عمه ووصيه وخليفتـه على أمته ... »[٢٩] وقال ابـو الاسود الدؤلي (ت : ٤٩هـ/٦٨٨ م) :

أحب محمدا حبـا شـديدا وعبـاسا وحمزة والوصيا[٣٠]

ويبدو من البيت المذكور ان كلمة « وصي » أصبحت معروفة في ذلك العصر بحيث اذا ذكرت مجردة انصرفت الى علي •

أما بيعة غدير (خم) فقد ذكرها اليعقوبي ، وبين أن النبي أوصى فيها لعلي بالامامة[٣١] وقد تناول الشيخ الاميني[٣٢] البحث عن اشتهار بيعـة الغدير • أما رأي الشيعة في الوصية فقد عبر عنه الشيخ الطوسي ، المعروف بشيخ الطائفة بقوله ان التواتر حصل عن الشـيعة ان النبي (ص) « نص علي أمير المؤمنين (ع) بالامامة بعده واستخلفه على أمته بالفاظ مخصوصة نقلوها : منها قوله (ص) : سلموا على علي بأمـرة المؤمنين • وقوله (ع) مشـيرا اليه صلوات الله عليه ، وآخذا بيده : هذا خليفتي فيكم من بعدي فأسمعوا له واطيعوا »[٣٣] •

وألف الشيعة عشرات الكتب في وصية النبي (ص) لعلي • فالمسعودى ألف كتابه الموسوم بـ «الوصية»[٣٤] وذكـر فيه كيفيـة اتصـال الحجج والاوصياء من لدن آدم الى القائم صاحب الزمان • وكتب العلامة الحـلي كتابه الموسوم بـ « اثبات الوصية » وذكر الحلي طائفة من الكتب في الوصية يزيد عددها على الثلاثين كتابا من بينها كتاب المسعودي المذكور سابقا[٣٥] •

---

(٢٩) القمي ، علل الشرائع (النجف ، ١٩٦٣) ص١٥٩ •

(٣٠) المبرد ، الكامل ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٠٨) ص ١٣٠ •

(٣١) التاريخ ٢ ـ ٩٣ •

(٣٢) طبع كتاب الاميني ببيروت ، تحت عنوان «الغدير فـي الكتاب والسنة والادب» •

(٣٣) تلخيص الشافي ، ج٢ ص ٥٦ ـ ٧٠

(٣٤) طبع الكتاب المذكور في النجف دون أن يذكر تاريخ الطبع •

(٣٥) اثبات الوصية (النجف ، لا•ت) ص ٣ ـ ٤ •

ثالثا ـ اختصاص عدد من الصحابة بعلي واعترافهم بالولاء له خلال حياة الرسول وفي حكم الخلفاء الثلاثة الاول من الراشدين . اختص عدد من الصحابة بعلي واعترفوا بأمامته قبل توليه الخلافة . ومن هؤلاء (المقداد بن الاسود ، وسلمان الفارسي ، وابو ذر ... وعمار بن ياسر ، ومن وافق مودته مودة علي عليه السلام، وهم أول من سمي بالتشيع من هذه الامة لان اسم التشيع قديم شيعة ابراهيم وموسى وعيسى والانبياء صلوات الله عليهم أجمعين)[٣٦]. وعند وفاة الرسول وبيعة أبي بكر وجد جماعة من الصحابة عرفوا بشيعة علي . فالمسعودي في معرض كلامه عن امامة علي ، يقـول أن عليا قام « بأمر الله جل وعلا وسنه خمس وثلاثين سنة واتبعه المؤمنون وقعد عنه المنافقون ، ونصبوا للملك وامر الدنيا رجلا اختاروه لانفسـهم دون من اختـاره الله ... فأقام أمير المؤمنين (ع) ومن معه من شيعته في منزله ... »[٣٧] .

وقد وضح عمار بن ياسر عند بيعة عثمان رأيه في علي واهل بيتـه فقال : «يامعشر قريش أما اذا صرفتم هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ههنـا مرة ، وههنـا مرة فما أنا بآمن من أن ينتزعه الله فيضـعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله». وقال المقداد في المناسبة المذكورة: « ما رأيت مثل ما اوذي به أهـل هـذا البيت بعـد نبيهم ... اعجب من قريش ... قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله (ص) بعده مـــن أيديهم ، أما وايم الله ... لو أجد على قريش انصارا لقاتلتهم كقتـالي اياهم مع رسول الله (ص) يوم بدر »[٣٨] وفي الفتنة التي قتل بها عثمان قال الفضل بن العباس في علي :

---

(٣٦) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص١٦ .

(٣٧) المسعودي ، الوصية ، ص١١٧ـ٨ .

(٣٨) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ (القاهرة ، لا.ت) ص٢٣١

وكان ولي العهد بعد محمد　　علي وفي كل المواطن صاحبه
علي ولي الله أظهــر دينــه　　وأنت مع الاشقين فيما تحاربه[٣٩]

ومن الجدير بالذكر ان كلمة (ولي) التي وردت في الشعر المذكور لها دلالتها الدينية ، ويمكن أن تقوم دليلا على اعتراف الفضل بوجـــود صفات روحية لدى الامام علي لاتوجد لدى غيره من الصحابة • وقـــد ظهرت كلمة (ولي الله) بمثابة لقب للامام علي على النقود الفضية المضروبة على الطراز الساساني في عهده • وقد ضرب النقد المذكور واليه يزيد بن قيس الحمداني سنة ٣٧ هـ بالري[٤٠] •

ومن الادلة على وجود من يقول بالتشيع الروحي لعلي قبل توليـــه الخلافة ، هو مارواه سعد الاشعري عن وجود جماعة من الشيعة ظهــرت بعد وفاة النبي (ص) قالت بالنص على امامة علي «وقالوا أنه لابد مع ذلك من أن تكون الامامة دائمة جارية في عقبه الى يوم القيامة ••• فلم تــزل هذه الفرقة قائمة لازمة لامامته وولايته على ماذكرنا ••• الى أن قتل ••• وكانت امامته ثلاثين سنة ، وخلافته أربع سنين وتسعة اشهر ••• »[٤١]

ويرى الاستاذ « وات » ان التشيع الروحي لم يظهر الا في ســـــنة ٦٥٨م/٣٧هـ وذلك حين جدد جماعة من أنصار علي بيعتهم له ، كما اسلفنا وان تلك الجماعة « أصبحت تعتقد ان الحاكم يحكم بتفويض الهي ليس للبشر يد فيه • وأصبح الفرق بين الخوارج والشيعة ، نتيجة لذلك ، هو أن الخوارج أرادوا سيادة قانون غير شخصي في الدولة ، بينما اوكل الشيعة السلطة في تلك الدولة الى قائد يتمتع بصفات روحية »[٤٢] •

---

(٣٩)　أيضا ، ج٢ ص٢٣٥ •
(٤٠)　الحسيني ، محمد باقر ، تطور النقود العربية الاسلامية (بغداد ، ١٩٦٩) ص٥١ •
(٤١)　المصدر السابق ، ص١٦ ــ ١٧ •
(٤٢)　Watt, Op. cit, P. 104.

ولعل ما أوردته قبل قليل عن ظهور التشيع الروحي في عهد النبي (ص) وفي عهد الخلفاء الثلاثة الاول من الراشدين ، يقوم دليلا على ضعف رأي وات سالف الذكر •

رابعا ـ وجود عدد من شيعة علي يقولون بآرائه الفقهية في حياته • روى ابن رستم الطبري ان سليم بن قيس الهلالي قال مرة للامام علي « يا أمير المؤمنين اني سمعت من سلمان والمقداد بن الاسود وابي ذر من تفسير القرآن ومن الرواية عن نبي الله شيئا ثم سمعت منك تصديق ما سمعت منهم ، وكان في ايدي الناس اشياء من تفسير القرآن ومن الاحاديث أنتم تخالفونها ، وتزعمون أن ذلك باطل ، افترى الناس يكذبون على رسول الله تعمدا ويفسرون القرآن برأيهم • فقال علي (ع) ••• ان في أيدي الناس حقا وباطلا ••• وقد كذب على رسول الله (ص) في عهده ••• ثم كذب عليه من بعده ••• »[٤٣] ومن المعلوم ان القول بآراء فقهية لامام معين خير دليل على الاعتراف بأمامته ، ثم أن أبا ذر وسلمان قالا بالآراء المذكورة قبل أن يتولى على رئاسة المسلمين السياسية لانهما لم يدركا خلافته • فهما والحالة هذه من أشهر المعتقدين بالتشيع الروحي لعلي •

ومن الجدير بالذكر ان وجهات النظر ، سواء كان ذلك في تفسير القرآن وتأويله أو رواية السنة النبوية التي سمعها سليم بن قيس من تلامذة علي كانت تختلف مما لدى معاصريهم من المسلمين • وقد تطورت وجهات النظر تلك فتحولت الى مدرسة فكرية اسلامية خاصة عرفت فيما بعد بالمذهب الجعفري • وكان الامام علي المؤسس الاول لعلوم آل البيت التي وصفناها اعلاه بوجهات نظرهم في التفسير والتأويل ورواية السنة

---

(٤٣) المسترشد في امامة علي بن أبي طالب عليه السلام (النجف لا•ت) ص٣١ ، والنعماني ، محمد ابراهيم ، الغيبة (تبريز ، لا•ت) ص ٣٦ ـ ٧ •

النبوية وذهب فقهاء المذهب الجعفري عند تكونه في العصور التالية ، الى عدم الاخذ بسنة الصحابة لانهم لايرون صحة الاستدلال الا بسنة من تثبت لديهم عصمته وهم الائمة الاثنا عشر ٠

أما وجهات النظر المغايرة لما تبناه الشيعة في حقول التفسير والتأويل ورواية السنة فكانت هي الاخرى نواة للعلوم الدينية عند اهل السنة التي تحولت مع الزمن الى مدرسة فكرية اسلامية اخرى تضمنتها مذاهب اهل السنة المعروفة التي ظهرت بعد القرن الاول للهجرة ٠

أما التشيع السياسي أو النصرة والاتباع لعلي دون الالتزام بالنص على امامته الدينية فقد اصبح في خلافته منتشرا بصورة واسعة ، ثم أخذ يتقلص في آخر عهده وفي الفترة التي تلت مقتله ، ولكنه مالث أن استعاد شيئا من قوته خاصة في العراق لاسيما بعد أن شعر العراقيون بفقد سيادتهم السياسية على يد الامويين ٠

ومن الادلة على ظهور التشيع السياسي في خلافة علي هو ان اصطلاح (شيعة علي) أي أنصاره بقي شائع الاستعمال ٠ وكان الاصطلاح المذكور يعني الحزب أو الناصرين ٠ وذات مرة دخل علي على عائشة في البصرة « ومعه شيعته من همدان »[٤٤] ولعل ذلك يعود الى أن عليا بويع خليفة للمسلمين ، بما فيهم شيعته ٠ وكان الذين أسهموا في حروبه مع خصومه يتكونون من شيعته ومن غيرهم ٠ يضاف الى ذلك ان عليا أثناء خلافته كان يستعمل غالبا كلمة (مسلمين) بدلا من (شيعة) حين يخاطب أنصاره وذلك لوجود مسلمين بينهم من غير شيعته ٠ وخطب علي ذات مرة في الكوفة فقال « أما بعد فأن الله تعالى لما قبض نبيه عليه وآله الصلاة والسلام قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته وأولياؤه ٠٠٠ ولا تنازع في حقه وسلطانه فينا

---

(٤٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ٢ ـ ٣٧٧ ٠

نحن كذلك اذ نفر المنافقون وانتزعوا سلطان نبينا منا ••• وايم الله لولا مخافتي الفرقة بين المسلمين وأن يعود أكثرهم الى الكفر ••• » •

وعندما نزل بذي قار اخذ البيعة على من حضره ثم قال : و «قد جرت أمور صبرنا عليها وفي أعيننا القذى ••• » •

وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرق المسلون ••• وهذا طلحة والزبير ليسا من أهل النبوة ••• حين رأيا ان الله قد رد علينا حقنا بعد أعصر فلم يصبرا ••• حتى وثبا علي دأب الماضين قبلهما ليذهبا بحقي ويفرقا جماعة المسلمين عني •••• » وعندما التقى اهل الكوفة مع علي بذي قار قال « ياأهل الكوفة انكم من أكرم المسلمين ••• »[٤٥] ولا يخفى ما للنص الاخير من أهمية لان الخطاب فيه موجه لاهل الكوفة التي كانت مركز شيعة علي أي أنصاره واتباعه •

ونختم كلامنا عن التشيع لعلي بنوعيه الروحي والسياسي بالملاحظات التالية :ـ

١ ـ كان التشيع الروحي أقدم عهدا من التشيع السياسي ، وانه يقوم على الاعتقاد بأمامة علي المفروضة من الله • وقد تطور الاعتقاد المذكور ثم تبلور في عقيدة الامامة المعصومة من الخطأ بعد أن اسند كلاميا بقضية القول بالنص على تلك الامامة من النبي وبأمر من الله •

٢ ـ ظهرت بوادر التشيع السياسي أو الولاء لعلي دون الالتزام بقضية الاعتراف بأمامته الدينية في سقيفة بني ساعدة حين اسند حق علي بالخلافة عدد من المسلمين أمثال الزبير والعباس وغيرهما • وبلغ التشيع السياسي اقصى مداه حين بويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان •

---

(٤٥) المفيد ، الارشاد (طهران ، ١٣٧٧) ص١١٧ ، ١١٨، ١١٩

٣ ـ كان رواد التشيع الروحي يلتزمون بآراء علي الفقهية الى جانب الالتزام بأسناده سياسيا • وقد نمت بذور الفقه الشيعي ، ثم تطورت وانصب معظمها فيما عرف في القرن الثاني للهجرة بالفقه الجعفري •

٤ ـ بقي القائلون بالتشيع الروحي لعلي قلة ضئيلة حتى نهـــاية خلافته سنة ٤٠هـ •

روى المفيد حديثا يرفعه الى بريد بن معاوية عن ابي جعفر قـال : « ارتد الناس بعد النبي (ص) الا ثلاثة نفر : المقداد بن الاسود ، وابو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، ثم ان الناس عرفوا ولحقوا بعد » • وفـي حديث اخر يجعل الباقر (ع) عدد هؤلاء سبعة فيقول » ولم يعرف حـــق أمير المؤمنين الا هؤلاء السبعة »[٤٦] • وبعد أن استشهد امير المؤمنين علي (ع) كتب الحسن الى معاوية يقول : « ان عليا (ر) لما مضى لسبيله رحمـة الله عليه ـ ••• ولاني المسلمون الامر بعده ••• »[٤٧] ويبدو من النص الاخير ان الحسن لم يشر الى الشيعة بل استعمل كلمة المسلمين بدلا عنها• وظهر من رواية للباقر (ع) ان المسلمين الذين بايعوا الحسن لم يكن منهم الا خمسون من الشيعة • يقول البـاقر عند خطابه لهشام الكابلي (كان علي ابن أبي طالب (ع) عندكم بالعراق يقاتل عدوه ومعه أصحابه وما كان فيهم خمسون رجلا يعرفونه حق معرفته ، وحق معرفته امامته)[٤٨] •

ولعل ماجاء مجملا بقول الباقر السابق يتضح برواية الاشعري التي يقول فيها « فلما قتل علي التقت الفرقة التي كانت معه والفرقة التي كانت مع طلحة والزبير وعائشة فصار فرقة واحدة مع معـاوية بن ابي سفيان ،

---

(٤٦) الاختصاص (طهران ، ١٣٧٦) ص ، ١٠

(٤٧) الاصفهـــاني ، مقاتل الطالبيين ، ج١ (بيروت ، ١٩٦١) ص ٣٧ •

(٤٨) الكشي ، محمد بن عمر ، الرجال (النجف ، لا•ت) ص١٢

الا القليل من شيعته ومن قال بأمامته بعد النبي (ص) ، وهم السواد الاعظم ... »[٤٩] .

ويبدو من الرواية المذكورة ان القلة التي ثبتت على القول بأمامة علي بعد وفاته هم القائلون بالتشيع الروحي ، وان السواد الاعظم الذى تراجع عن تأييد علي وآله بعد وفاته هم القائلون بالتشيع السياسي قبل خلافته ثم أثناء حكمه .

الشيعة قبل مقتل الحسين لا يكونون الفرقة أو الفرق :

ان شيعة علي قبل فاجعة كربلاء سنة ٦١هـ لم يكونوا الفرقة أو الفرق الشيعية ، بل كانوا مجرد أنصار وموالين أو حزب . فاحاديث النبي (ص) المذكورة ، فضلا عن احتمال تسرب الشك الى بعضها ، لاتعني الفرقة ذات العقائد المعينة لان الفرق لم تظهر حينذاك ، ويبدو ان المراد بشيعة علي الواردة في تلك الاحاديث انصاره واتباعه . ويظهر ان نص النوبختي سالف الذكر رغم احتوائه على كلمة « فرقة » لايمكن أن يحمل على أن المقصود منه وجود فرقة دينية تعرف بالشيعة كانت معروفة في عهد النبي (ص) وبعد وفاته لان كلمة « فرقة » وردت في النص مضافة الى علي ، لذلك تنصرف الى الانصار والجماعة لا الفرقة الدينية ذات العقائد المعينة. يضاف الى ذلك ان النوبختي نفسه يقول في مكان آخر من كتابه السابق ان « جميع اصول الفرق أربع فرق الشيعة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج »[٥٠] . ومن المعلوم ان جميع هذه الفرق ظهرت بعد النبي (ص) بفترة غير قصيرة . ولعل المقدسي أقرب الى التدقيق حين يقول : « ان أصل مذاهب المسلمين كلها منشعبة من أربع ، الشيعة ، والخوارج ، والمرجئة ، والمعتزلة ، واصل افتراقهم قتل عثمان ثم تشعبوا .... »[٥١]

---

(٤٩) كتاب المقالات والفرق ص٥ .

(٥٠) النوبختي المصدر السابق ، ص١٥ .

(٥١) احسن التقاسيم (ليدن ، ١٩٠٦) ص٣٨ .

ثم ان نص المسعودي الذي يشير الى اقامة علي وشيعته في منزله بعد بيعة ابي بكر هو الآخر لايمكن حمله على أنه يعني الفرقة الدينية لان المسعودي نفسه في موضع اخر من كتابه السابق يدعو من التف حول علي بعـــد السقيفة جماعة من المسلمين[٥٢] ومن المعلوم ان ليس كل مسلم شيعيا •

ونختم كلامنا حول وجود فرقة شيعية او عدمه في الفتـرة موضوع البحث براي سعد الاشعرى الذى يبين فيه ان المقصود بكلمة « فرقة » في عهد الامام علي تعني الجماعة من الناس • وفي معرض كلامه عن عثمـــان يقول الاشعري « فلما قتل (عثمان) بايع الناس عليا (ع) فسموا الجماعة ، ثم افترقوا بعد ذلك فصاروا ثلاث فرق : فرقة اقامت على ولاية علي بـن ابي طالب (ع) وفرقة منهم اعتزلت مع سعد بن مالك ، وهو سعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن عمر بن الخطاب •• وفرقة خالفت عليا (ع) وهـم طلحة بن عبدالله والزبير بن العوام وعائشة بنت ابي بكر •••»[٥٣] ويتضح من النص السابق ان الاشعري كان يقصد بالفرقة الجماعة أو الانصـــار السياسين •

أما السبائية جماعة عبدالله بن سبأ فسنرجيء الكلام عنها الى الفصـــل الثالث من هذا الكتاب ، الذي خصصناه للبحث عن الغلو والغلاة •

ونستخلص من كل ماسبق ان « شيعة علي » قبل مقتل الحسين لـم يكونوا الفرقة الدينية التي عرفت فيما بعد بالشـــيعة • ويؤيد فلها وزن ماذهبت اليه بقوله : تمكن « الشيعة اولا في العراق ، ولم يكونوا في الاصل فرقة دينية ، بل تعبير عن الرأى السياسي في هذا الاقليم كله • فكان جميع سكان العراق ، خصوصا اهـل الكـــوفة ، شـيعة علي على تفاوت فيمـــا بينهـــم •••»[٥٤] •

---

(٥٢) المسعودى ، الوصية ، ص١٢١ •

(٥٣) كتاب المقالات والفرق ص٥ •

(٥٤) الخوارج والشيعة ، ص١٤٨

وقد تظافرت عوامل عدة بعد استشهاد علي والحوادث التي حصلت في الفترة التي تلته على مد التشيع بزخم جديد حوله مع الزمن ، وبصورة تدريجيــة الى الفرقة أو الفــرق الشــيعية التي سنتناولهــا في البحث فيما بعد • وكان تولي الامويين الحكم ، وهم لا سابقة لهم في الاسلام ، من بين العوامل المذكورة • روي عن ابن عباس انه كان يقول « ان بني امية وطئوا على صماخ الدين وذبحوا كتاب الله بشفرة »(٥٥) •

وكان انتصار الامويين يعني انتصار التيار القبلي على التيار الاسلامي لان انتصار معاوية على علي كان « انتصارا مطلقا للتيار القبلي »(٥٦) •

واستعان معاوية بقريش فيما استعان لكسب النصر على علي • روى الطوسي ان النبي (ص) أوصى امير المؤمنين عليا قائلا « يا أخي ان قريشــا ستظاهر عليك ، وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك فان وجدت أعــوانا فجاهدهم ، وان لم تجد أعوانا فكف يدك واحقن دمك فان الشهادة مــن ورائك »(٥٧) روى المفيد حديثا رفعه عن عبدالله بن سنان قال : « سمعت أبا عبدالله (ع) يقول كن مع أمير المؤمنين من قريش خمسة نفر ، وكان ثلاثة عشر قبيلة مع معاوية ••• »(٥٨) ولم يكن انضمام الغالبية العظمــى من قريش لمعاوية محض صدفة ، انما كان ذلك يعود لاسباب اقتصــادية واجتماعية • فمعاوية كان سليل ابي سفيان زعيم الملأ المكي ووارث مبادئه وقيمه • تلك القيم والمصالح التي حاربها الاسلام وانتصر عليها • فدعــوة الاسلام جاءت لانصاف المظلومين ولتكوين مجتمع يكون التقدم فيه مبنيــا على أساس التقوى والصلاح ، لا على اساس القوة والنسب • وارستقراطية قريش بزعامة أبي سفيان عارضت دعوة الاسلام « واذا قيل لهم آمنوا كما

---

(٥٥) المفيد ، الاختصاص ، ص١٢٨

(٥٦) الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاســلام (بغداد ، ١٩٤٩) ص٧٢ •

(٥٧) الغيبة (النجف ، ١٣٨٥) ص٢٠٣

(٥٨) الاختصاص ٢ ــ ١٣

آمن الناس قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ »[٥٩] • وعجبوا من تعاليم الدين الجديد التي تقول « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين »[٦٠] •

وما دار الزمن دورته حتى فاقت ارستقراطية قريش من الهزيمة التى ألحقها بها الاسلام لتجد معاوية ابن زعيمها السابق يدعوها لمحاربة رجل ترعرع في ظل الاسلام وتشرب مبادئه ، ورأى فيه الذين استضعفوا في الارض رمزا للحفاظ على مكاسبهم التى منحهم اياها الاسلام • وذلك الرجل هو « علي » وكانت نتيجة تلك المعركة هزيمة المستضعفين في الارض واستشهاد امامهم • وبالرغم من ذلك فكان لانتصار معاوية على علي وما تبعه من حوادث نتائج ايجابية في حركة التشيع حيث منحها ذلك الانتصار شهيدها الاول واكسبها قوة لا يستهان بها •

ثم ان اتباع الامويين لسياسة مالية وعنصرية غير عادلة نفر كثيرا من المسلمين ، وخاصة الموالي ، من حكمهم • وكان للقوة التى عاملوا بها خصومهم من آل البيت ، وغيرهم اثر كبير في عزوف جماعات من المسلمين عنهم وانضمامهم الى حركات المعارضة التى قادها شيعة علي والخوارج •

وكانت فاجعة كربلاء على رأس الحوادث التي أثارت استياء كبيرا بين أكثر المسلمين تجاه حكم بني أمية • قال المبرد : « وكان يقال ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء »[٦١] كما كان للفاجعة المذكورة اثر كبير في تكتل انصار العلويين حول أئمتهم من آل البيت • يقول براون « كان الشيعة أو أنصار علي قبل واقعة كربلاء ينقصهم التصميم والحمية نحو عقيدتهم ، وقد تغير الوضع المذكور بعد الواقعة المذكورة ، فأصبحت تلك

(٥٩) البقرة ٢ ـ ١٣
(٦٠) القصص ٢٨ ـ ٥ •
(٦١) الكامل ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٠٨) ص٢٥٧ •

البقعة الملطخة بالدماء ، حيث سقط حفيد الرسول عطشانا وحوله اجساد ابناء عمه تثير أعمق الاشجان وأعنف العواطف لدى الناس مهما ضعف شعورهم »[٦٢] ويقول فلهاوزن لقد « افتتح استشهاده [الحسين] عصرا جديدا لدى الشيعة ، بل نظر الى هذا الاستشهاد على أنه أهم من استشهاد ابيه ، لان اباه لم يكن ابن بنت النبي .. »[٦٣] .

ويلخص الشيبي رأيه في تطور التشيع منذ ظهوره حتى مقتل الحسين بقوله « ان التشيع كان تكتلا اسلاميا ظهرت نزعته أيام النبي وتبلور اتجاهه السياسي بعد قتل عثمان ، واستقل الاصطلاح الدال عليه بعد قتل الحسين »[٦٤] .

ولو تتبعنا حركات الشيعة بعد مقتل الحسين لظهر لنا أن عوامل عدة لعبت دورا مهما في حث الشيعة على التكتل من جهة ، وان اصطلاح « الشيعة » استقل تدريجيا بحيث ان استعماله مضافا الى علي والى آل بيته ، كما هو الحال قبل مقتل عثمان ، اصبح نادرا من جهة أخرى[٦٥] .

---

(٦٢) Browne, E.G., A Literary History of Persia, I, Cambridge, 1951, P. 226-7.

(٦٣) الخوارج والشيعة ص١٨٩ .

(٦٤) الشيبي ، كامل ، الصلة بين التصوف والتشيع (بغداد ، ١٩٦٣) ص١٧ .

(٦٥) ظهر استقلال الاصطلاح الدال على التشيع حين اطلقت لفظة «الشيعة» مجردة من الاضافة الى علي في عدة نصوص وردت في الطبري يرجع بعضها الى عهد علي بينما يرجع البعض الاخر الى مابعد مقتله . ولكننا نميل الى عد تشيع من اشارت اليهم تلك النصوص من نوع التشيع السياسى أى النصرة والتأييد السياسي لعلي وآل بيته . وربما استعمل الطبري الاصطلاح المذكور لان التشيع السياسى في عهده كان قد اختفى وانصهر نوعا التشيع ، السياسى والروحي ، في نوع واحد وهو التشيع الروحى المبني على امامة علي وآله بنص من النبى وبأمر من الله . واليك طائفة من نصوص الطبري المشار اليها اعلاه :

قال الطبري (٤-٤٦) (ولما قدم علي الكوفة وفارقته الخوارج وثبت =

وكان من بين تلك العوامل أولا ـ اتخاذ العراقيين بعامة وأهل الكوفة بخاصة عليا واله بمثابة رمز لاستقلال العراق المفقود •

نظر الى الكفاح بين علي ومعاوية على أنه كفاح بين أهل الشام وأهل العراق • وبعد أن وصل الكفاح المذكور الى نتيجته المعروفة شعر العراقيون بالخذلان وندموا ، بعد فوات الاوان ، لتقاعسهم عن نصرة علي وبنيه من بعده • وراى العراقيون في انتصار معاوية على علي انتصارا للشام على العراق •

روى الاصفهاني ان أم الهيثم النخعية قالت ترثي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب :

الا يا عين ويحك فاسعدينا ... الا تبكي أمير المؤمنينا

* * *

كأن الناس اذ فقدوا عليا ... نعام جال في بلد سنينا

* * *

فلا تشمت معاوية بن صخر ... فان بقية الخلفاء فينا

وأجمعنا الامارة عن تراض ... الى ابن نبينا والى أخينا

ولا نعطي زمام الامر فينا ... سواه الدهر آخر ما بقينا

وان سراتنا وذوى حجانا ... تواصوا ان نجيب اذا دعينا

بكل مهند عضب وجرد ... عليهن الكماة مسومينا(٦٦)

ويقول فلهاوزن أن الكفاح بين علي ومعاوية استحال « الى كفاح بين

= اليه الشيعة ، فقالوا في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت •••) • أراد المغيرة سنة ٤٣ ارسال جيش لحرب الخوارج فاقترح عليه أحد اصحابه أن يرسل جماعة من الشيعة لقتالهم فأرسل الجيش «وهم ثلاثة آلاف نقاوة الشيعة وفرسانهم» الطبري (٤ ـ ١٤٤) وعندما أراد والى معاوية في البصرة سنة ٤٣هـ أن يرسل جيشا لحرب الخوارج الح « على فرسان ربيعة الذين كان رأيهم في الشيعة » •
الطبرى (٤ ـ ١٤٨) •

(٦٦) مقاتل الطالبيين (بيروت ، ١٩٦١) ص٣٠

أهل الشام وأهل العراق • وانتهى الكفاح بمقتل علي الى غير صالح أهل العراق ، ولكن هؤلاء لم يندمجوا في وحدة الدولة الاسلامية التي التأمت من جديد بفضل معاوية الا كارهين مرغمين • ومن ثم اصبح علي راية كفاحهم ضد نير أهل الشام ••• فتمكن الشيعة أولا في العراق ، ولم يكونوا في الاصل فرقة دينية بل تعبيرا عن الرأي السياسي في هذا الاقليم كله ••• »[٦٧] •

ثانيا ـ تأثير فاجعة كربلاء في تكتل الشيعة • كان لفاجعة كربلاء التي قتل فيها الحسين وأصحابه سنة (٦١هـ) كما بينا سابقا أثر عميق في تطور التشيع ونموه بعامة وفي تكتل الشيعة بخاصة • قال الطبري « لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ودخل الكوفة ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ، ورأت انها قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين الى النصرة وتركهم اجابته ومقتله الى جانبهم لم ينصروه ••»[٦٨] ويقول الطبري في حوادث سنة ٦٥هـ « وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة واتعدوا الاجتماع بالنخيلة •• للمسير الى أهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي وتكاتبوا في ذلك »[٦٩] وقد أوكل الشيعة قيادتهم في حركتهم المعروفة بحركة التوابين الى سليمان بن صرد الخزاعي • قال البلاذري بعد أن اجتمع جماعة من وجوه الشيعة قال أحد الخطباء اذا رأيتم « ولينا هذا الامر شيخ الشيعة •• سليمان بن صرد ••• »[٧٠] ويبدو من النص السابق أن أول شيعي يتزعم جماعة دينية تسمى الشيعة ، هو سليمان بن صرد • ويوضح فلهاوزن أثر استشهاد الحسين في تكتل

---

(٦٧) الخوارج والشيعة ، ص١٤٧ ـ ٨

(٦٨) الطبري ، ٤ ـ ٤٢٦

(٦٩) أيضا ، ٤ ـ ٤٢٧ •

(٧٠) أنساب الاشراف ، ج٥ (القدس ، ١٩٣٦) ص٢٠٥ •

الشيعة بالكوفة بقوله « والكوفيون الذين جروا الحسين الى الكارثة ثم تركوه وحده يصلاها راح ضميرهم يؤنبهم على ما اقترفت أيديهم ، فشعروا بالحاجة الى ارضاء الرب وبالكفارة عن اثمهم بالتضحية بأنفسهم ، فسموا أنفسهم « التوابين » وبدأوا لاول مرة ينظمون انفسهم »[٧١] .

وكان لفاجعة كربلاء أثر عميق في نفوس الشيعة ، فارتفعوا بها من مصائب البشر الاعتيادية الى أن شبهوها بمصائب الانبياء . فروى الصدوق أن أبا عبدالله (ع) قال « ان اسماعيل الذى قال الله عز وجل في كتابه : وأذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، لم يكن اسماعيل بن ابراهيم ، بل كان نبيا من الانبياء بعثه الله عز وجل الى قومه ، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه ، فأتاه ملك ، فقال أن الله .. بعثني اليك فمرني بما شئت ، فقال لي اسوة بما يصنع بالحسين (ع) »[٧٢] .

وروى الصدوق أيضا ، قصة موسى وهارون عندما قال موسى لاخيه يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، وبين أن المقصود من ذلك أن موسى أخذ برأس نفسه ولحيته على العادة المتعاطاة للناس اذا اغتم أحدهم أو أصابته مصيبة عظيمة ، وأراد موسى بما فعل أن يعلم هارون انه وجب عليه الاغتمام والجزع بما اتاه قومه لان الامة من النبي والحجة بمنزلة الاغنام من راعيها ، ومن احق بالاغتمام بفريق الاغنام وهلاكها من راعيها وهكذا فعل الحسين بن علي (ع) لما ذكر القوم المحاربين له بحرمانه فلم يرعوها قبض على لحيته وتكلم بما تكلم به[٧٣] .
ويظهر من رواية الصدوق المذكورة أن الحسين الذي هو حجة من حجج

---

(٧١) الخوارج ، والشيعة ، ص١٨٩ .
(٧٢) علل الشرائع ، ص ٧٧ ـ ٨
(٧٣) أيضا ، ص٦٨ ـ ٩

الله أي امام تألم كما تألم موسى لان قومه لم يرتدعوا من موعظته ، وأسف على عصيانهم وضياعهم . وبذا أصبحت فاجعة كربلاء فاجعة غير بشرية اعتيادية ، وانما هي شبيهة بفاجعات الانبياء ، وان الحسين (ع) الذي كان موضع تلك الفاجعة لم يتألم لما أصاب نفسه ومتعلقيه من القتل والايذاء ، بل انه تألم لان أمة جده المسؤول عن هدايتها بصفته الامام والحجة ضلت بحربها اياه .

ولا عجب بعد أن عرضنا لمحات عن موقف جماعات من الشيعة عرفوا في القرون التالية بالامامية تجاه فاجعة كربلاء ، أن نجد الشيخ الامامي جعفر بن محمد بن قولويه (ت:٣٦٧هـ) يخصص الجزء الاكبر من كتابه الموسوم بـ « كامل الزيارات »(٧٤) للاشادة بفضل زيارة قبر الحسين . ويشبه ابن قولويه قاتل الحسين بقاتل يحيى بن زكريا (ص٧٧) ، وان جميع ما خلق الله بكوا على الحسين (ص٧٩) ، وان السماء والارض بكتا على الحسين ويحيى بن زكريا ، وان الملائكة يدعون لزوار قبر الحسين (ص١١٨) ، وان زائرى الحسين يدخلون الجنة قبل الناس (ص١٣٧) .

ولم يحظ أحد من الائمة الاثني عشر بما فيهم علي بن أبي طالب (ع) بالاهتمام الذي حظى فيه الحسين (ع) من الشيخ جعفر بن قولويه .

ان بذور الفرق الشيعية أخذت تنمو باطراد بعد مقتل الحسين ، وامعان الامويين والزبيريين فى التنكر للشيعة ، وفشل الامويين فى كسب القراء والفقهاء الى جانبهم ، واجحافهم بحقوق قطاعات كبيرة من سكان الامبراطورية الاسلامية بعامة والموالي بخاصة . فظهرت الكيسانية التي ساقت الامامة الى محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي من غير فاطمة بنت

---

(٧٤) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٣٥٦ هـ .

النبي (ص) . ثم تفرقت الكيسانية الى جماعات ساقت احداها الامامة من بعد محمد الى ابنه ابي هاشم[٧٥] . وتزعم المختار الثقفي فرقة الكيسانية قال الطبري قد « اجتمعت رؤوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صرد ... فكان المختار اذا دعاهم لنفسه او الى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة قد انقادوا له واجتمعوا عليه فأخذ يقول للشيعة قد جئتكم من قبل المهدى محمد بن علي بن الحنفية . فوالله ما زال بالشيعة حتى انشعبت اليه طائفة كانت تعظمه وتجيبه »[٧٦]. وقد اورد فلها وزن تفصيلات عن حركة المختار وصلتها بالموالي وغير ذلك مما له صلة بالموضوع[٧٧] .

وبالرغم من ان الكيسانية اول من قالت بفكرة الامام المهدى التى اصبحت فيما بعد محور عقيدة الامامية ، كما ان زعيمها اول من طبقها فى حيز العمل ، وان الزعيم المذكور انتصف للشيعة من اعدائهم حين اخذ بثار الحسين ، فان ظهور تلك الفرقة يعد اول انشقاق عقائدى حصل فى صفوف الشيعة وذلك لان الكيسانية اخرجت الامامة من ابناء فاطمة الى محمد بن الحنفية وهو ابن لعلي من غير زوجته فاطمة . ولما كانت الامامة كما يعتقد القائلون بالنص والتعيين ، منصباً الهياً ليس للبشر أن يمنحوه لاى احد من المسلمين بما فيهم ابناء علي من غير فاطمة ، نجد الشيخ المفيد يدلل على امامة علي بن الحسين المعاصر لمحمد بن الحنيفة امام الكيسانية بوجوه أهمها :

---

(٧٥) انظر عن الكيسانية وفرقها الاشعري (مقالات ج١ ص٨٩ وما بعدها) .

(٧٦) التاريخ ، ٤ ــ ٤٣٤ .

(٧٧) الخوارج والشيعة ، ص ١٨٧ وما بعدها .

أولا ـ أن علي بن الحسين « كان أفضل خلق الله بعد أبيه علما وعملا والامامة للافضل دون المفضول بدلايل العقول ... » .

ثانيا ـ ان عليا كان « اولى بأبيه الحسين عليه السلام وأحق بمقامه من بعده بالفضل والنسب والاولى بالامام الماضى احق بمقامه من غيره بدلالة آية ذوى الأرحام وقصة زكريا عليه السلام » .

ثالثا ـ وجوب الامامة عقلا في كل زمان وفساد دعوى كل مدع للامامة في أيام علي بن الحسين عليهما السلام أو مدعا له سواه فثبتت فيه لاستحالة خلو الزمان من الامام » .

رابعاً ـ « ثبوت الامامة أيضاً في العترة خاصة بالنظر والخبر من النبي (ص) وفساد قول من ادعاها لمحمد بن الحنيفة (ر) بتعريه من النص عليه ، فثبت انها في علي بن الحسين عليهما السلام اذ لا مدعا له الامامة من العترة سوى محمد (ر) وخروجه عنها بما ذكرناه » .

خامسا ـ « نص رسول الله صلى الله عليه وآله بالامامة عليه فيما روى من حديث اللوح الذي رواه جابر عن النبي (ص) ... »[٧٨] .

أن أدلة ابطال امامة محمد بن الحنيفة التي أوردتها عن المفيد في أعلاه تصلح لابطال امامة أى علوى من أئمة الكيسانية والزيدية[٧٩] والاسماعيلية[٨٠] حسب مقاييس الشيعة الذين عرفوا فيما بعد بالامامية والذين يعترفون باثني عشر امام وردت اسماؤهم في حديث اللوح الذي أشار اليه المفيد في ادلته السابقة .

---

(٧٨) المفيد ، الارشاد ، (طهران ، ١٣٧٧) ص ٢٣٧ ـ ٨ .

(٧٩) انظر عن الزيدية «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» للاشعري (ص١٢٩ وما بعدها) ، والنوبختي (فرق الشيعة) ص٥٠ ـ ١ .

(٨٠) انظر عن الاسماعيلية « فرق الشيعة » للنوبختي ص٥٧ـ٨

أما الشيعة اسلاف الامامية فانهم انتهوا الى القول بامامة علي بن الحسين (ت: ٩٤هـ) وعلي هذا هو الامام الوحيد الحق في نظر الشيخ المفيد الامامي الذي ساق الادلة على بطلان أئمة الشيعة الآخرين المعاصرين لذلك الأمام كما بينا ذلك قبل قليل . قال النوبختي « واما الشيعة العلوية الذين قالوا بفرض الامامة لعلي بن ابي طالب (ع) من الله ومن رسول الله (ص) فانهم ثبتوا على امامته ثم امامة الحسن من بعده ثم امامة الحسين بعد الحسن . ثم افترقوا بعد قتل الحسين (ع) فرقا فنزلت فرقة الى القول بامامة علي بن الحسين .. فلم تزل مقيمة على امامته حتى توفي بالمدينة ... في أول سنة اربع وتسعين .. »[81] أما الفرقة الاخرى فقد قالت بانقطاع الامامة بعد الحسين وان لا امامة لاحد بعده . وفرقة « قالت ان الامامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين ... »[82] .

ويترتب على ذلك ان فرق الشيعة عند وفاة علي بن الحسين (٩٤هـ) تنحصر في الفرق التالية :

أ ـ الكيسانية وقد سبقت الاشارة اليها .
ب ـ الجماعة الشيعية القائلة بانقطاع الامامة بعد موت الحسين .
ج ـ الفرقة القائلة بامامة علي بن الحسين .

وبعد وفاة علي بن الحسين ساق جماعة من الشيعة الامامة الى ابنه زيد وعرف هؤلاء بالزيدية وهم الذين « ساقوا الامامة في أولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت الامامة في غيرهم » . الا انهم جوزوا ان يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع ، سخي خرج بالامامة ان يكون اماما واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين[83] .

---

(٨١) فرق الشيعة ، ص ٤٧ .
(٨٢) أيضا ، ص ٤٨ .
(٨٣) الشهرستاني ، الملل والنحل (القاهرة ، ١٩٤٨) ص ٣٠٢ .

وهناك جماعة أخرى من الشيعة استمرت على سوق الامامة في أولاد الحسين وبذا احتفظت بسلسلة الائمة التي تبنتها جماعة الشيعة التي سميت بالامامية فيما بعد • يقول النوبختي « واما الذين ثبتوا الامامة لعلي بن أبي طالب ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي بن الحسين ثم نزلوا الى القول بامامة ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم فأقاموا على امامته الى ان توفي • ولما كانت وفاة الباقر سنة ١١٤ او ١١٩هـ ترتب على ذلك ان الشيعة الذين اعترفوا بامامة الباقر بعد أبيه علي زين العابدين لم يطلق عليهم اسم « الامامية » ونظرا لاعتراف هؤلاء الشيعة بسلسلة الائمة التي تبناها الامامية حين تسموا بهذا الاسم فيما بعد ، كما سنبين ، صح ان نطلق عليهم اسلاف الامامية •

مواطن التشيع والاقوام التي اعتنقته خلال القرنين الاول والثاني للهجرة :

أ ـ مواطن التشيع • يصعب حصر مواطن الشيعة خلال العهد الاموي لانهم كانوا في حالة تستر وكتمان لمعارضتهم للحكم القائم حينذاك • ويبدو ، مع ذلك انهم تركزوا في الكوفة وسوادها والادلة على ذلك كثيرة أهمها :

أولا ـ أصبحت الكوفة بعد انتصار معاوية على علي ، كما أسلفنا ، مجرد ولاية تابعة للشام بعد ان كانت عاصمة للدولة الاسلامية في عهد علي • وبعد ان أصبحت السيادة للشام •

وهذا يتجلى في امتلاكها لبيت المال وفي ارتفاع اعطيات أهلها(٨٤) ، شعر أهل الكوفة ان مجدهم زال بزوال حكومة علي وولده لذا عدّوهم محط آمالهم المقبلة • ونتيجة لذلك امتزج الولاء السياسي بالولاء الديني في

---

(٨٤) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ـ ترجمة عبدالهادي أبو ريده (القاهرة ، لا• ت) ص ١٢٦ •

ولاية الكوفة ، وأخذ التشيع ينتشر فيها مع الزمن ، بحيث أصبحت اول مركز للتشيع طوال عهد الدولة الاموية . وقد وردت احاديث بفضلها فكان علي بن ابي طالب يقول : « مكة حرم الله ، والمدينة حرم رسول الله ، والكوفة حرمي لايريدها جبار بحادثة الا قصمه الله »[85] وكتب المختار من مركزه بالكوفة الى محمد بن الحنفية بعد انتصاره على جيش بني أمية ومقتل عبيدالله بن زياد قائلا : « أما بعد فانني بعثت انصارك وشيعتك الى عدوك يطلبونه ... »[86] قال أحدهم : « دخلنا على ابي عبدالله (ع) في زمن بني مروان فقال من انتم ؟ قلنا من أهل الكوفة . قال مامن البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة لاسيما هذه العصابة، ان الله هداكم لأمر جهله الناس فاحببتمونا وابغضنا الناس ، وبايعتمونا وخالفنا الناس ، وصدقتمونا وكذبنا الناس ، فاحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا ... »[87] قال ابن قولويه (ت: ٣٦٧هـ) ان الامام الباقر (ع) قال : « ان ولايتنا عرضت على أهل الأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة ... »[88] . ويروى حديثاً آخر عن الصادق (ع) ، قال سأل رجل أبا عبدالله فقال : « اني ضربت على كل شيء لي ذهباً وفضة وبعت ضياعي فقلت انزل مكة فقال لا تفعل فان أهل مكة يكفرون بالله جهرة ، قال ففي حرم رسول الله (ص) قال هم شر منهم قال فأين انزل قال عليك بالعراق الكوفة فان البركة منها على اثني عشر ميلاً هكذا وهكذا ، والى جانبها قبرما اتاه مكروب قط ولا ملهوف الا فرج الله عنه »[89] .

---

(٨٥) الكليني ، محمد بن يعقوب . الكافي ، ج ٤ (طهران ، ١٣٨١هـ) ص ٥٦٣ .

(٨٦) الطوسي ، محمد بن الحسن ، الامالى (طبعة حجر ، ١٣١٣) ص ١٥٢ .

(٨٧) الطوسى ، الامالى ، ص ٨٩ .

(٨٨) كامل الزيارات ، ص ١٦٨ ويروى المؤلف حديثا مماثلا فى الصفحة نفسها يقول فيه « ان الله عرض ولايتنا ... » .

(٨٩) أيضا ، ص ١٦٨ ـ ٩ .

وروى ابن قولويه أيضاً ان النبي (ص) قال : « قال لي جبرائيل يا محمد ان أخاك مضطهد بعدك ... يقتله أشر الخلق ... ببلد تكون اليه هجرته ، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده ... »[90] .

ويبدو من الاحاديث السابقة ان أهل الكوفة الذين تقاعسوا عن نصرة علي في حياته ، وان شخصاً كوفيا منهم أجهز عليه في محرابه ، وهم الذين خذلوا الحسن وقتلوا الحسين وسبوا عياله ، أصبحوا فيما بعد أول من خف لقبول ولاية أهل البيت بعد ان رفضها الناس ، وان بلدهم أصبح أجدر بالسكنى من حرم الله وحرم رسوله . وما نالت الكوفة وأهلها ذلك الفضل الذي لايؤهلها له تاريخها السابق بالنسبة لآل البيت الا بكونها أصبحت أول مركز نمت بذور التشيع فيه وتطورت بين ربوعه .

ثانيا ـ كان قوام حركة التوابين من الشيعة الكوفيين ، وكانت أكثرية الذين قتلوا في « عين الوردة » من شيعة الكوفة . روى الطبرى ان سليمان ابن صرد مر بقبر الحسين قبل ذهابه لحرب عبيدالله بن زياد وخطب بجيشه فقال : « اللهم ارحم حسيناً الشهيد بن الشهيد ، المهدى بن المهدى ، الصديق ابن الصديق اللهم أنا نشهدك انا على دينهم وسبيلهم ، واعداء قاتليهم واولياء محبيهم ... »[91] .

ثالثاً ـ اتخذت المعارضة في الكوفة ، غالباً ، مظهراً دينياً . وكان البيت الاموي ، من بين البيوتات المرشحة لحكم الدولة الاسلامية في ذلك العهد ، آخر من يستطيع اثبات حقه بالخلافة من الناحية الدينية . روى الطبرى ان عبدالرحمن بن ابي ليلى الفقيه ، الذي انضم الى العراقيين في ثورتهم ضد الامويين سنة ٨٣هـ ، قال : « قاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه ... » . وقال

---

(٩٠) أيضا ، ص ٢٦٣ .
(٩١) التاريخ ، ج٤ ، ص ٤٥٦ .

الشعبي في المناسبة نفسها : « يا أهل الأسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ، فوالله ما أعلم قوما على بسيط الارض اعمل بظلم ، ولا اجور منهم في الحكم فليكن بهم البدار ». وقال سعيد بن جبير في تلك المناسبة :«قاتلوهم ولاتأثموا من قتالهم بنية ويقين ، وعلى آثامهم ، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلالهم الضعفاء واماتتهم الصلاة»[٩٢] .

ومن الجدير بالذكر ان الفقهاء المذكورين وصفوا بأقوالهم السابقة حكم الحجاج عامل الامويين في العراق . وربما ان الكوفيين بعامة والشيعة منهم بخاصة رأوا في ظلم الحجاج مصداقا لنبؤة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب في الحجاج . روى الاصفهاني ان الاشعث بن قيس اغضب عليا ذات مرة فقال الامام علي : « مالي ولك يا اشعث أما والله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك ، قيل : يا أمير المؤمنين ومن غلام ثقيف ؟ قال : غلام يليهم ولا يبقي اهل بيت من العرب الا ادخلهم ذلا ... »[٩٣] .

ويبدو ان الامويين لم ينالوا التأييد التام الا من أهل الشام الذين كان تأييدهم لسلطان بني أمية مبنياً على الدفاع عن مكان الصدارة الذي كان لولايتهم ، ثم انهم لم يكونوا يأبهون لمسألة الحق الشرعي[٩٤] .

رابعاً ـ ان معظم القبائل العربية التي سكنت الكوفة أيام الفتوحات كانت من اليمن . روى البلاذري ان الشعبي قال : « كنا ـ يعني أهل اليمن ـ اثني عشر الفاً ، وكانت نزار ثمانية آلاف ، ألا ترى انا أكثر أهل الكوفة ، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية فلذلك صارت خططنا بحيث هي »[٩٥] . ويقول فلهاوزن كانت اليمانية في الكوفة أكبر القبائل عدداً وأهمية[٩٦] .

---

(٩٢) الطبري ، التاريخ ٥ : ١٦٣ .
(٩٣) مقاتل الطالبيين ، ص٢٣ .
(٩٤) فلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ١٦١ .
(٩٥) فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٣٢) ص٢٧٦ .
(٩٦) الخوارج والشيعة ، ص ١٦٠ .

ومن الجدير بالذكر ان معظم القبائل اليمانية وخاصة همدان مال الى التشيع لال علي • يقول ماسنيون ان همدان القبيلة العظيمة الخطيرة ذات الشوكة والقوة كانت شديدة التشيع(٩٧) •

ويعزو وات (Watt) تشيع اليمانيين الى اسباب عديدة أهمها :

اولا ـ ان أكثرية القبائل اليمانية قبل الاسلام كانت تعتنق المسيحية على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح « المونوفوستية » وذلك لتأثرها بالاحباش الذين كانوا يعتنقون المذهب المذكور • ويرى المونوفستيون ان للمسيح ، بكونه قائداً روحيا ، طبيعة لاهوتية مضافا الى طبيعته الناسوتية وبعد ان اعتنقت القبائل اليمانية الاسلام تأثرت بتقاليدها الدينية السابقة فمالت نحو التشيع الذي يحتل فيه الامام ، بكونه القائد الروحي للشيعة ، مركز المسيح بالنسبة للمونوفستيين •

ثانيا ـ عاشت القبائل اليمانية لعشرين قرناً خلت ، في بلاد سبق أن تكونت فيها دول ذات مدنية عريقة • وبعد ان سقطت الدولة الحميرية سنة ٥٢٥م ، خضعت اليمن ، في الفترة التي سبقت خضوعها للاسلام لدولتي الاحباش والفرس • وقد ورثت القبائل اليمانية من حكوماتها العربية السابقة تقليداً يتمتع الحاكم بموجبه بصفات روحية «Charismatic» مضافاً الى سلطاته السياسية • وبقي الامراء العرب ، الذين احتفظوا بسلطات محلية على السكان الحضر الذين كانوا ممتزجين مع السكان البدو في معظم تلك المناطق ، يتمتعون بالصفات المذكورة للحكام •

وبعد ان أسلم عرب الجنوب ، قبل معظمهم فكرة القائد الذي يتمتع بصفات شبه الالهية • ويمكن ان نعزو انجذاب هؤلاء نحو الاسلام الى انهم رأوا توفر الصفة المذكورة بمحمد (ص) • واعتقد هؤلاء ان خلاص الفرد

---

(٩٧) خطط الكوفة ـ ترجمة تقي المصعبي (صيدا ، ١٩٣٩) ص ١٦ •

يتحقق عندما يكون عضواً في مجتمع يقوده فرد يتمتع بصفات شبه الهية •
ونتيجة لذلك كان جماعة من انصار علي الاول يردون على نقد الخوارج
قائلين بأن علياً أمام الحق والارشاد • وكانت العبارة الاخيرة ، دون شك
ذات محتوى ديني ، أي ان التوجيه المذكور يرشد الانسان نحو الله أي
نحو الجنة • وفي الوقت الذى نجد فيه الخواج يقبلون شكلاً من الاسلام
تغلب عليه النزعة البدوية ، نجد الشيعة يقبلون شكلاً آخر من الاسلام
أتخذ مملكة يحكمها قائد شبه الهي[٩٨] •

وبالرغم من وجاهة الاسباب التي قدمها « وات » لقبول أكثرية القبائل
اليمانية في الكوفة للتشيع لآل علي ، فن عقيدة الشيعة الامامية ، الذين يهمنا
بحث أحوالهم في هذا الكتاب ، ترفض من آرائه كل فكرة قد تؤل بأن
الائمة الاثني عشر (ع) يتمتعون بصفات شبه الهية • اذ يعتقد الامامية
بصورة قاطعة ان ائمتهم بشر ولكنهم معصومون عن الخطأ والخطيئة والنسيان
كما سنفصل في حينه •

أما الشيعة الذين سكنوا المناطق الشرقية من البلاد الاسلامية أمثال
خراسان والرى وأصفهان وجرجان فيبدو أنهم كانوا في الغالب خلال
القرنين الاول والثاني للهجرة من الغلاة أو من الزيدية • وسنرجيء الكلام
عن الغلاة الى موضعه من هذا الكتاب • وعندما ثار زيد بن علي في الكوفة
انضم اليه جماعات من الشيعة الساكنين في عدد من المناطق الايرانية • ذكر
الاصفهاني : « ان الشيعة لقوا زيداً فقالوا له أين تخرج عنا ••• ومعك مائة
ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان ••• » •

« وأقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون اليه [زيد] ويبايعون حتى احصى
ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة ، سوى أهل
المدائن ••• وخراسان والري وجرجان »[٩٩] • وكان لفشل ثورة زيد

---

(٩٨) Op. Cit, P. 104

(٩٩) مقاتل الطالبيين ، ص ٩٦ •

أثر في تكتل الشيعة وهياجهم ضد حكم بني أمية . قال اليعقوبي :« ولما قتل زيد وكان من أمره ماكان تحركت الشيعة بخراسان وظهر أمرهم ، وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس فعل بني أمية ، وما نالوا من آل رسول الله (ص) حتى لم يبق بلد الا فشا فيه هـذا الخبر وظهرت الدعاة »[(١٠٠)] .

وقبل مقتل يحيى بن زيد قابله متوكل بن هارون فأودعه صحيفة دعاء وقال هي : « أمانة لي عندك حتى توصلها الى ابني عمي محمد وابراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي (ع) فانهما القائمان في هذا الأمر بعدي ... »[(١٠١)] ومحمد وابراهيم هذان هما اللذان ثارا في عهد المنصور العباسي وقتلا بأمر منه[(١٠٢)] .

أما الشيعة اسلاف الامامية فيبدو ان عددهم كان ضئيلاً جداً في الاقسام الشرقية من البلاد الاسلامية في الفترة موضوع البحث . ولم يجد مذهبهم حينذاك تربة خصبة في البلاد الايرانية . وقد وفد المذهب المذكور من الكوفة على يد جماعة من العرب سكنوا في مدينة أسمها « قم » . وقد تكلم الحسن بن محمد القمي (ت : ٣٧٨هـ) عن تأسيس قم على يد جماعة من عرب الكوفة يعرفون بالاشعريين . وعن جهودهم في ادخال المذهب الشيعي ، الذي عرف فيما بعد بالمذهب الجعفري ، الى ايران في كتابه الموسوم بـ « تاريخ قم »[(١٠٣)] وقد أوزد ياقوت الحموي تفصيلات عن قم ، وقال انها « مدينة مستحدثة اسلامية لا أثر للأعاجم فيها ، وأول من مصرها طلحة

---

(١٠٠) التاريخ ، ج ٣ (النجف ، ١٣٥٨هـ) ص ٦٥ .
(١٠١) الصحيفة السجادية (النجف ، ١٣٥٢) ص ٨ .
(١٠٢) الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ج٢ ص١٩٢ وما بعدها .
(١٠٣) طبع الكتاب المذكور بترجمته الفارسية في طهران سنة ١٣٥٣ هـ .

ابن الاحوص الاشعري ... وأهلهـــا كلهم شيعة امامية وكان بدء تمصيرها في ايام الحجاج بن يوسف سنة ٨٣(هـ) ... فلما انهزم ابن الاشعث ورجع الى كابل منهزماً كان في جمله أخوة يقال لهم عبدالله والاحوص وعبدالرحمن واسحاق ونعيم وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الاشعري ... وكان منقدم هؤلاء الاخوة عبدالله بن سعد وكان له ولد قد ربي في الكوفة فانتقل منها الى قم وكان اماميا[١٠٤] وهو الذى نقل التشيع الى أهلها فلا يوجد بها سني قط »[١٠٥] .

وقد نفى الصادق ، وهو امام الشيعة اسلاف الامامية ، وجود شيعة له في خراسان بعد نجاح الدعوة العباسية بقليـــل . ذكر المسعودي ان الامام الصادق قال لعبدالله بن الحسن حين كلمه بأمر رسالة بعثها له أبو سلمة الخلال أول وزير لبني العباس يدعوه فيها لتسلم الخلافة « يا أبا محمد ؟ أمر ما اتى بك قال نعم، هو أجل من أن يوصف، فقال: وماهو، يا أبا محمد؟ قال : هذا كتاب ابي سلمة يدعوني الى ما أقبله . وقد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له أبو عبدالله : يا ابا محمد ومتى كان أهل خراسان شيعة لك ؟ أنت بعثت أبا مسلم الى خراسان وأنت أمرته بلبس السواد ، وهل الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم ، وهل تعرف منهم أحدا ؟ »[١٠٦] .

ويبدو ان الشيعة اسلاف الامامية ، فضلاً عن ندرتهم في خراســان حينذاك ، لـم يسهموا اسهاماً فعالاً في جهد بني هاشم المشترك ضد بني أمية لأن ائمتهم بعد الحسين لا يرون القيام بالسيف في وجه الظلم قبل ظهور

---

(١٠٤) اصبح الشيعى من اسلاف الامامية والشيعى الامامى يعنى شيئا واحدا فى عهد الحموى .

(١٠٥) معجم البلدان ، ج٧ (القاهرة ، ١٩٠٦) ص ١٥٩ .

(١٠٦) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ (القـاهرة ، لا . ت) ص ١٨٤ .

المهدي صاحب الزمان . ويروى ان أبا مسلم كتب الى الصادق قائلا : « اني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية الى موالاة أهل البيت فان رغبت فلا مزيد عليك » . فكتب اليه الصادق « ما انت من رجالي ولا الزمان زماني »[(١٠٧)] .

ويبدو ان الزيدية والكيسانية هم الذين اسهموا في كفاح بني هاشم المشترك ضد بني أمية .

ويقول يحيى بن زيد مقارنا بين نفسه وأبيه وبين أئمة الشيعة اسلاف الامامية . « ان الله عزوجل أيد هذا الامر بنا وجعل العلم والسيف فجمعا لنا وخص بنو عمنا (يقصد الامامين الباقر وابنه الصادق) بالعلم وحده ... »[(١٠٨)] .

ب ـ الاقوام التى قالت بالتشيع خلال القرنين الاول والثاني للهجرة :

يبدو ان التشيع في الفترة المذكورة نما في بيئة عربية في الغالب وهي الكوفة وسوادها ، كما بينا سابقاً ، وكانت غالبية مؤيديه حينذاك من سكانها التى كانت أكثريتهم من العرب . يقول كولدزيهر ان « التشيع كالاسلام عربي في نشأته وفي أصوله التي نبت فيها »[(١٠٩)] .

ان النتيجة التي توصل اليها كولدزيهر لها ما يسندها في الحديث والتاريخ . أما في الحديث فان أبا ذر قال رأيت رسول الله وقد ضرب كتف علي بيده وقال يا علي « من أحبنا فهو العربي ومن ابغضنا فهو العلج ، فشيعتنا أهل البيوتات والمعادن ... »[(١١٠)] وقال الامام الصادق : « نحن

---

(١٠٧) الملل والنحل ، ص ٣٠٠ ـ ١ .
(١٠٨) الصحيفة السجادية ، ص ٥ .
(١٠٩) العقيدة والشريعة فى الاسلام ـ ترجمة محمد يوسف ـ (القاهرة ١٩٤٦) ص٢٠٥ .
(١١٠) الديلمي ، ارشاد القلوب ، ج٢ ، ص٤٧ .

بنو هاشم وشيعتنا العرب وسائر الناس الاعراب » . وقال أيضاً : « نحن قريش وشيعتنا العرب وسائر الناس علوج الروم »[111] .

ان الاحاديث المذكورة ، سواء قالها الائمة ام لم يقولوها ، تكشف عن انطباع الشيعة اسلاف الامامية عن العجم خلال القرون الاسلامية الاولى لأن اكثرية العجم في تلك القرون كانت قد انضمت للفرق الشيعية الغالية ، كما سنبين في موضعه من هذا الكتاب ، كالكيسانية[112] والهاشمية[113] ، التي ساندت العباسيين[114] في أوائل حكمهم مساندة فعلة ، أو لفرق أهل السنة من المسلمين . ومن المعلوم ان كلتا الجماعتين في نظر الشيعة اسلاف الامامية وخلفائهم ، مخطئتين لعدم اعترافهما بأئمة الحق ، وهم في نظر اولئك الشيعة ، الائمة الاثنا عشر المعصومون .

أما الادلة التاريخية التي تؤيد ظهور التشيع بين العرب وفي بيئة تتغلب عليها الصفات العربية ، وهي الكوفة ، فأهمها :

أولاً — كان انصار علي الذين ايدوه في حربه مع خصومه يتكونون ، في الغالب الأعم من عرب الحجاز والعراق ولم نعثر على اسم فرد ذي أهمية أو قائد كبير من قواد علي من كان ايراني الاصل .

ثانيا — كان الذين كتبوا للحسين يستقدمونه ، سنة ٦٠هـ ، للكوفة ، كلهم ، كما يظهر من الاسماء التي وردت في الكتاب[115] المنسوب لابي مخنف ، من زعماء القبائل العربية الساكنة في الكوفة وسوادها حينذاك .

ثالثا — كان انصار سليمان بن صرد الخزاعي في حركة « التوابين »

---

(١١١) الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص ١٦٦ .
(١١٢) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٢٤ .
(١١٣) أيضا ، ص ٤٦ .
(١١٤) فلهاوزن ، الخوارج والشيعة ، ص ٢٤٨ .
(١١٥) مقتل الامام ابي عبدالله الحسين (النجف ، ١٩٦٠) ص ١٨ .

كلهم تقريباً من القبائل العربية في العراق • يقول فلهاوزن اجتمع في النخيلة ٤٠٠٠ من التوابين • وكان بينهم عرب من كل القبائل وكثير من القراء ولم يكن بينهم أحد من الموالي »[١١٦] •

ونستنتج من كل ما سبق ان التشيع نشأ في الاصل ، كما نشأ الاسلام، في بيئة عربية ، وان انصاره الاول كانوا من العرب ويترتب على ذلك انه ليس مذهبا ايراني الاصل • وقد أيدت البحوث التي قام بها فلهاوزن ، بالاضافة الى الادلة التي ذكرناها فيما سبق ، ماذهبنا اليه • ويقول فلهاوزن ، بعد ان يفند آراء دوزى و أ • ملر ، وهما من أوائل القائلين بأن التشيع ايراني الاصل : « أما ان آراء الشيعة كانت تلائم الايرانيين فهذا أمر لاسبيل الى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الايرانيين فليست تلك الملائمة دليلاً عليه • بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك ، اذ تقول ان التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولا في الدوائر العربية، ثم انتقل بعد ذلك منها الى الموالي ••• »[١١٧] •

ويبدو ، بالرغم مما سبق ، ان حركة المختار في الكوفة كانت بداية لانخراط عدد من الموالي في صفوف الغلاة من الشيعة • واستهوى المختار الموالي لاغراض سياسية ، بأن أدخلهم في جيشه وساواهم بالعطاء مع العرب مما أثار حفيظة العرب أنفسهم فقالوا : « عمدت الى موالينا وهم فيء أفاه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فاعتقنا رقابهم تأمل الاجر ••• فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا ••• »[١١٨] • وروى الطبري ان أحد زعماء الكوفة قال لصاحبه في معرض حديثه عن مقاومة المختار «ومع الرجل [المختار] والله شجعاؤكم ••• ثم معه عبدكم ومواليكم ••• وعبيدكم

---

(١١٦) الخوارج والشيعة ، ص ١٩٤ •
(١١٧) الخوارج والشيعة ، ص ٢٤٠ — ١
(١١٨) الطبرى ، ٤ : ٥١٨ •

ومواليكم أشد حنقاً عليكم من عدوكم فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة العجم »[119] .

وكانت سياسة التميز في الحقوق بين العرب وغيرهم من سكان الامبراطورية التى اتبعها الامويون ، الذين كانوا يمثلون سيادة العرب لا سيادة الاسلام ، من العوامل التى دفعت الموالي للأنضواء تحت راية الاحزاب المعارضة من خوارج وشيعة . وحاولت احزاب المعارضة من جانبها ان تجد في الموالي حلفاء على بني أمية ، فاستعان بهم المختار ، كما أسلفنا ، كما استعان بهم عبدالرحمن بن الاشعث في حركته ضد الامويين ، واستعان الخوارج والشيعة بالموالي ، ولكن الشيعة كانوا أكثر نجاحاً من الخوارج في ضم الموالي الى صفوفهم في كفاحهم مع بني أمية[120] .

وكان جل الموالي الذين انضموا الى التشيع خلال المراحل الاولى من تاريخه هم من الغلاة كما سنبين في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

أما الفرق الشيعية المعتدلة التي جمعتها عقيدة الامامية الاثني عشرية فيما بعد، فيظهر أنها لم تجد تربة خصبة في ايران خلال القرون الهجرية الثلاثة الاولى .

وتركز التشيع المعتدل في الفترة موضوع البحث في مدينة قم كما أسلفنا وسبق أن بينا ان الامام الصادق انكر وجود شيعة له في ايران عند قيام الدولة العباسية . كما أن معظم البيوتات المهمة ذات الاصل الايراني أو التي اتخذت من ايران مراكز لحكمها كالبرامكة وبني طاهر والسامانيين لم يكونوا من الشيعة . يضاف الى ذلك ان أمثلة وردت يتبين منها أن الشيعة في النصف الاول من القرن الثالث كانوا مضطهدين في خراسان . روى الكشي ان محمد بن طاهر (ت:٢٢٦هـ) غضب على ابي يحيى الجرجاني ،

---

(١١٩) أيضا ، ج٤ ، ص ٥١٨ .

(١٢٠) فلها وزن ، الدولة العربية وسقوطها ، ص ٦٨ .

وهو من الشيعة « فأمر بقطع لسانه ويديه ورجليه ، وبضربه الف سوط وبصلبه •• وسعى بذلك محمد بن الرازي •• بحديث روى محمد بن يحيى •• لعمر بن الخطاب • فقال أبو يحيى ليس هو عمر بن الخطاب هو عمر بن الشاكر •• »[١٢١] •

وبدو ان غالبية الايرانيين استمرت على رفضها للتشيع خاصة المعتدل منه الى ما بعد الفترة التي حددناها في صدر هذا البحث • فالمقدسي حين يتكلم عن السواد الاعظم من المسلمين يقول : « ولم أر السواد الاعظم الا من أربعة مذاهب ، أصحاب أبي حنيفة بالمشرق ، وأصحاب مالك بالمغرب ، وأصحاب الشافعي بالشاش وخزائن نيسابور ، وأصحاب الحديث بالشام •• وبقية الاقاليم ممتزجون •• » •

ويقول أيضا : « الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة •• وبالكوفة الشيعة الا الكناسة فانها سنة •• وأكثر أهل البصرة قدرية وشيعة •• » وفي الموصل « حنابلة وجلبة للشيعة •• »[١٢٢] •

ويبدو من النص السابق أن مركز الشيعة الرئيسي في القرن الرابع الهجري الكوفة بخاصة والعراق بعامة وان الشعوب الايرانية كانت منقسمة بين مذهبي أبي حنيفة والشافعي •

ولعل انتشار المذاهب السنية في ايران حينذاك يفسر لنا كيف أن معظم قادة الفكر السني في الفترة موضوع البحث كانوا من الايرانيين أو عاشوا بأرض ايرانية ، وذلك أمثال أبي حنيفة والشيخ معروف الكرخي والبخاري والغزالي ونظام الملك الذى عرف بمقاومته للتشيع حين انشأ المدارس النظامية المعروفة •

---

(١٢١) الرجال ، ص ٤٤٧ •

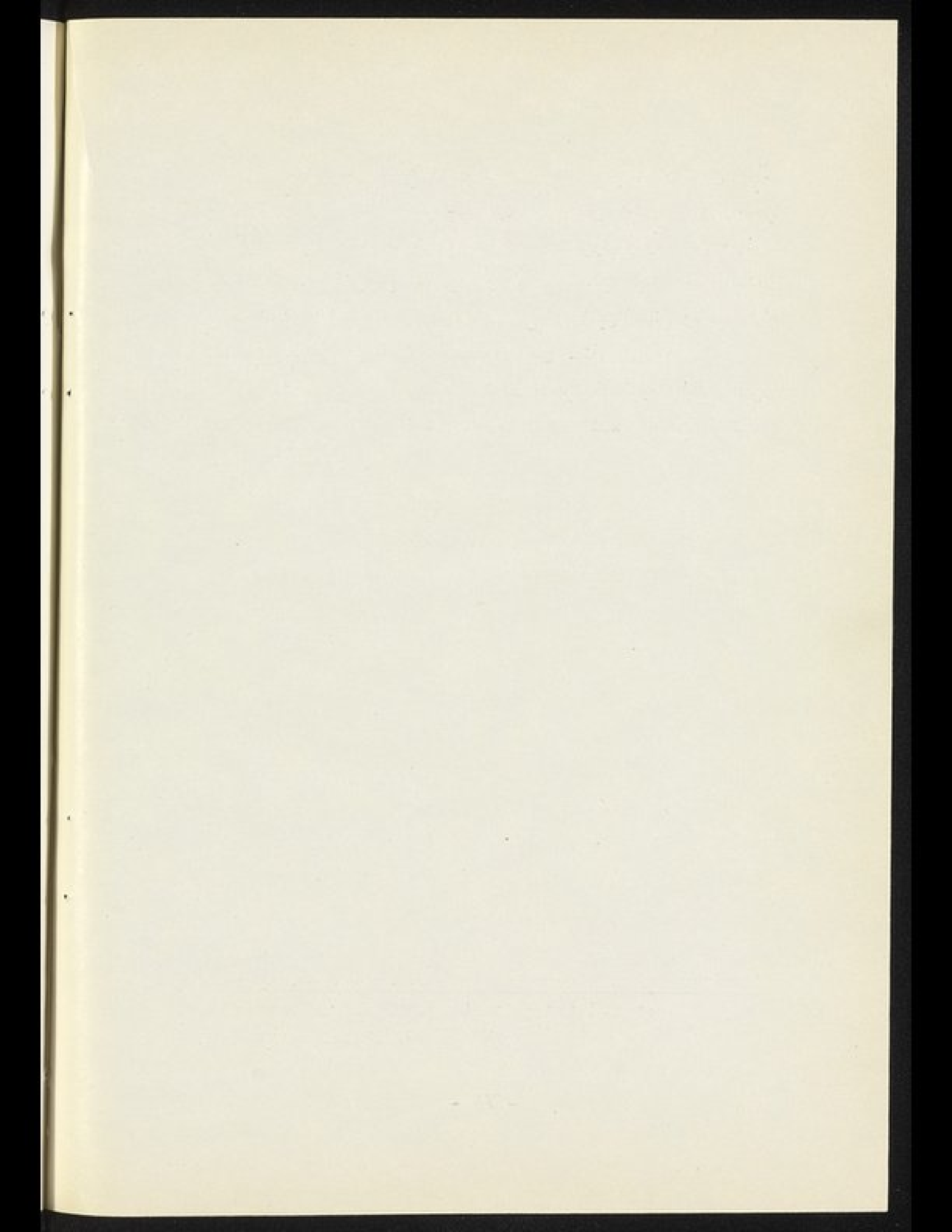
(١٢٢) احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم (ليدن ، ١٩٠٦) ص: ٣٩ ، ١٣٦ ، ١٤٢ •

أما كيف انتشر التشيع في ايران ، وكيف أصبحت ايران من امهات بلدان الشيعة في الوقت الحاضر فهي أمور خارجة عن نطاق بحثنا • ونكتفي هنا بايراد رأيين لكاتبين معاصرين وهما أحمد كسروي ودونالدسن • يقول كسروي « شاع الترفض في ايران ولكنه لم يتمكن الا في بعض البلدان من قم وسبزوار وغيرهما • فكان الغالب على الايرانيين التسنن ولاسيما ايام السلجوقيين الذين كانوا ملوكا يتعصبون لاهل السنة»[١٢٣] •

ويقول دونالدسن « وعندما استولت الأسرة الصفوية في ابتداء القرن السادس عشر على الحكم جعلت بدورها المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة »[١٢٤] •

---

(١٢٣) التشيع والشيعة (طهران ، ١٣٦٤) ص ٥٢ •
(١٢٤) عقيدة الشيعة ، ص ٢٩٠ •



الفصل الثاني

ظهور فرقة الامامية الأثني عشرية ورسوخها بفكرة غيبة المهـدي

تتبعنا في الفصل الاول نشوء فرق الشيعة وتطورها حتى نهاية الربـع الاول من القرن الثاني للهجرة وبينا أنه لم تكن بين تلك الفرق فرقـة تسمى بالامـامية .

وبعد أن انتقلت الامامة الى الصادق بعد وفاة ابيه الباقر اعترف الشيعة أسلاف الامامية بامامته ، ويظهـر ان القائلين بامامته كونـوا فرقـة دينيه متميزة . روى الكشي ان شيعة الصادق في الكوفة سموا بالجعفرية[١] . وبالرغم من ذلك فقد بقي الشيعة الموالون للصادق يسمون بـ «شيعة علي». قال سعيد بن يسار « سمعت أبا عبدالله « الصادق يقول : الحمد لله صارت فرقة مرجئة وصـارت فرقة حرورية ، وصـارت فرقة قدرية ، وسميتم الترابية[٢] وشيعة علي ... »[٣] .

ونفيد من النصوص السابقة ان الفرقة الموالية للصادق كانت في حيـاته تسمى بالترابية أو شيعة علي أو الجعفرية ولم تسم بالامامية .

ويبدو أن اسم «الرافضة» قد أطلق في حياة الصادق على الشيعة الموالية له. وترد أخبار مختلفة عن معنى «الرافضة» وعمن أطلق ذلك الاسم على الشيعة. ويشير أحد تلك الاخبار الى أن المغيرة بن سعيد المقتول سنة ١١٩هـ/٧٣٧م هو الذى أطلق اسم الرافضة على القائلين بامامة جعفر بن محمد الصادق . يقول سعد الاشعري « فلما توفي أبو جعفر (الباقر) (ع) » افترقت فرقته

---

(١) الرجال (بمبى ، ١٣١٧) ص ١٦٥ .
(٢) نسبة لابى تراب وهو لقب اطلقه النبى (ص) على علي (ع) .
(٣) الكلينى ، الروضة (طهران ، ١٣٨١) ص ٨٠ .

فرقتين : فرقة منها قالت بامامة محمد عبدالله بن الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ••• وكن المغيرة بن سعيد نال بهـذا القول لما توفي أبو جعفر محمد بن علي وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه الشيعة شيعة جعفر من محمد ورفضـوه ولعنوه ، فزعم انهم رافضـة ، وانه هو الذى سماهم بهـذا الاسم ••• »[٤] •

ويخالف أبو الحسن الاشعري الرأى السـابق بخصوص تسمية الرافضة فيقول « وانما سموا رافضة لرفضهم امامة أبي بكر وعمر »[٥] •

أما الشهرستاني فله رأي اخر حول الموضوع نفسه • ويقول أن زيد ابن علي كان يقول « يجوز أن يكون المفضول اماما والافضـل قـائم ••• ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه •• فسميت رافضة »[٦] •

وللشيخ المفيد رأي اخر في سـبب تسمية الشيعة بالرافضـة اورده مسنداً بحديث نسب الى الامام الصادق قوله عندما اشتكى اليه أبو بصـير يحيى بن القاسم الأسدى الذى قال : « فانا قد نبزنا نبزا انكسـرت لـه ظهورنا ، وماتت له أفئدتنا ، واستحلت به الولاة دمـاءنا في حـديث رواه فقهاؤهم هؤلاء • قال : فقال : الرافضة ؟ قلت نعم ، قال لا والله ماهم سموكم بل الله سماكم ••• » •

وعلل الامام لابي بصـير ذلك بأن بني اسرائيل رفضوا فرعون ولحقوا بموسى « فأوحى الله الى موسى أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة ، فاني قد نحلتهم ، ثم ذخر الله هذا الاسم حتى سماكم به اذ رفضتم فرعون وهامان وجنودهما واتبعتم محمد وآل محمد ••• »[٧] •

---

(٤) كتاب المقالات والفرق ، ص ٧٦ ـ ٧ •
(٥) مقالات الاسلاميين ، ص ٨٧ •
(٦) الملل والنحل ، ١ : ١٣٨ ـ ٩ •
(٧) الاختصاص ، ص ١٠٤ ـ ٥ •

ونخرج من كل ما قيل عن الرافضة بالنتائج التالية :ـ

أولا ـ أن خصوم الشيعة من أهل السنة هم الذين سموهم بالرافضة لاسباب تتعلق بموقفهم من خلافة الشيخين • ويؤيد ذلك ما أوردته المصادر ، وما قاله أبو بصير في شكواه للامام الصادق المذكورة في اعلاه •

ثانيا ـ أن هدف المفيد من ايراد الحديث السابق الاستناد عليه في عقد مقارنة بين مصائب الشيعة التي حلت بهم على يد خصومهم وبين أصحاب النبي موسى على يد فرعون ، حذو القذة بالقذة ، وذلك لان اولئك وهؤلاء ، في نظر المفيد ، تعرضوا للايذاء بسبب طاعتهم لله كما رسمها موسى لاصحابه في سالف الزمان ومحمد وآل محمد لمواليهم في دولة الاسلام • وقد دأب علماء الشيعة على عقد أمثال المقارنة المذكورة حين تحين المناسبة لها • فابن قولويه ، مثلا ، شبه مقتل الحسين بمقتل يحيى بن زكريا ، كما بينا سابقا • وسنعرض لايراد أمثال هذه المقارنات في أمكنتها من هذا البحث •

ثالثاً ـ ان الرواية التي تنسب للمغيرة تسمية الشيعة بالرافضة ضعيفة ولا تصمد للنقد • لان رفض الشيعة المعتدلين للمغيرة أمر طبيعي لانه من الغلاة ، فلا موجب لحنق الشيعة من تسمية اطلقها عليهم أحد الغلاة الخارجين عن الدين في نظرهم لانهم خرجوا من حد الامامة الى الربوبية • ولا موجب أيضا لان يستحل ولاة السلطان دماء الشيعة ، على حد قول أبي بصير ، اذا كانت التسمية لا علاقة لها بالخلاف المذهبي والمس بسيرة الشيخين •

ويظهر أن كلمة « الشيعة » مجردة كانت تطلق أيضا على الموالين للامام الصادق في عهده • ويدل على ذلك ما رواه الكشي من أن عمرو بن يزيد قال : « دخلت على أبي عبدالله (ع) فحدثني مليا في فضائل

الشيعة ... »[8] وقال أبان بن تغلب المعاصر للامامين الباقر والصادق لزميل له « تدري من الشيعة ؟ الشيعة الذين اذا اختلف الناس عن رسول الله (ص) آخذوا بقول علي ، واذا اختلف الناس عن علي أخذوا بقول جعفر بن محمد »[9] . ويؤكد هذا ما سبق أن بيناه وهو أن انصار الصادق ومواليه لم يسموا بالامامية في عهده . ولما كان هؤلاء يعتقدون بامامة الائمة المعصومين حسب التسلسل الذي تبنته الشيعة الامامية حين سميت بهذا الاسم فيما بعد ، آثرنا أن نطلق عليهم اسم «أسلاف الامامية» . يضاف الى ذلك أن أخذ اولئك الشيعة بقول جعفر بن محمد دون غيره من أولاد علي يعني انهم يعتنقون المذهب الجعفري ، والجعفرية والامامية الاثنا عشرية أصبحوا فيما بعد شيئا واحدا .

ويبدو أن اصطلاح « شيعة » مضافة الى امام معين و « الشيعة » مجردة كانا هما المستعملين دون الامامية للدلالة على موالي آل البيت أثناء امامة موسى الكاظم (ت:١٨٣هـ) . زار الكاظم ، بعد وفاة الصادق ، أحد مواليه فقال « شيعتك وشيعة ابيك »[10] وبعد وفاة الكاظم ظهر الواقفة الذين أنكروا امامة الرضا (ع) . قول الكشي « كان بدو الواقفة انه كان اجتمع ثلاثون الف دينار عند الاشاعثة لزكاة اموالهم وما كان يجب عليهم فيها فحملوه الى وكيلين لموسى (ع) بالكوفة ... وكان موسى (ع) في الحبس فاتخذا بذلك دورا وعقدا العقود .. فلما مات موسى فانتهى الخبر اليهما أنكرا موته واذاعا في الشيعة انه لا يموت لانه القائم ، فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة .. حتى كان موتهما اوصيا بدفع ذلك المال الى ورثة موسى (ع) فاستبان للشيعة انهما ... »[11] وبعد موت الكاظم سمي القائلون

(٨) الرجال ، ص ٣٩٠ .

(٩) النجاشي ، الرجال (طهران ، لا . ت) ص ١٠ .

(١٠) الكشي ، الرجال ، ص ٣٩٠ ـ ١ .

(١١) ايضا ، ص ٣٩٠ ـ ١ .

بامامته ، وامامة علي بن موسى من بعده « القطعية » « لانها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى امامة علي ابنه بعده ولم تشك في أمرها ولا ارتابت ومضت على المنهاج الاول »[١٢] •

ويتضح من النص السابق ان انصار الكاظم ومواليه لم يعرفوا بالامامية عند وفاته • ونفيد من كل ما سبق ذكره ان اصطلاح « الامامية » ما كان معروفا حينذاك بين الاصطلاحات المذكورة ، وان تلك الاصطلاحات جميعها تعني شيئا واحداً لانها كانت تطلق على الشيعة أسلاف الامامية أو الجعفرية أو القطعية بعد وفاة الكاظم ، وهم شيعة آل البيت الذين ساقوا الامامة الى جعفر الصادق وابنه موسى من بعده وعلي بن موسى بعد أبيه ، ويقصد بآل البيت ، في نظر هؤلاء حصراً ، الائمة المعصومون من ولد الحسين دون غيره من آل علي • وهذا ما قصده النوبختي في اعلاه بقوله انها مضت على المنهاج الاول أي تبنت سلسلة الائمة الذين عرفوا فيما بعد بالائمة الاثني عشر المعصومين •

وبعد ما قدمت سأحاول فيما يلي ان اقترح بداية لظهور مصطلح « الامامية » واطلاقه على جماعة من الشيعة القائلين بأمامة اثني عشر اماما تسعة منهم من ولد الحسين وآخرهم المهدي المنتظر •

لقد وصف جماعة من الشيعة قبل حصول الغيبة سنة ٢٦٠هـ بأنهم اماميون منهم علي بن اسماعيل التمار الذي عده الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠هـ) « أول من تكلم على مذهب الامامية »[١٣] وعلي هذا كان معاصراً لهشام بن الحكم الذي توفي سنة ١٩٩هـ على أشهر الروايات • ومنهم محمد بن خليل بن جعفر المعروف بالسكاك صاحب هشام بن الحكم

---

(١٢) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٦٧ ، والشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٥٠ •

(١٣) الفهرست (النجف ، ١٩٦٠) ص١١٣ •

وتلميذه . وكان محمد المذكور « اماميا له كتاب في التشبيه »[١٤] واذا صح ان وفاة هشام بن الحكم كما ذكرنا يظهر ان هناك جماعة عرفوا بالامامية في حدود نهاية القرن الثاني للهجرة . ولكننا نرجح ان مصطلح « امامية » لم يكن معروفا في ذلك الحين ، وان الطوسي وابن داود الحلي (من علماء القرن السابع) اطلقا على علي التمار والسكاك المذكورين في اعلاه كلمة « امامي » لأنهما كانا شيعيين من موالي اهل البيت أو لأن اصطلاح « امامي » و«شيعي» تعني في عهدهما شيئا واحدا . وكان حبيب بن أوس ابو تمام الطائي (ت : ٢٣١هـ) « اماميا وله في أهل البيت مدائح كثيرة »[١٥] ويقول النجاشي (ت : ٤٥٠هـ) عند ترجمته لعلي بن عبيدالله بن حسين بن علي انه « كان ازهد آل ابي طالب واعبدهم في زمانه ، واختص بموسى والرضا (ع) واختلط بأصحابنا الامامية ... »[١٦] .

ولما كانت وفاة الرضا سنة ٢٠٣هـ ، يبدو لأول وهلة ان جماعة من الشيعة عرفوا بالامامية كانت موجودة في بداية القرن الثالث للهجرة . والذي أراه ان نص النجاشي هذا يصدق عليه ماقلناه في اعلاه عن النصين اللذين أوردهما الطوسي والحلي .

ويؤيد ماقاله سعد الأشعري حول انقسام الشيعة الى خمس فرق بعد وفاة علي الرضا (ع) لم يكن بينها فرقة تسمى الامامية . وان من بين تلك الفرق « فرقة قالت الامام بعد علي بن موسى ابنه محمد بن علي ... واتبعوا الوصية والمنهاج الاول من لدن النبي (ص) »[١٧] ان سعدا الاشعري وصف الفرقة الشيعية التي قالت بامامة محمد بن علي الجواد (ت : ٢٢٠هـ) بانها اتبعت الوصية والمنهاج الاول ، ويعني ذلك ان اولئك الشيعة تبنوا سلسلة

---

(١٤) الحلي ، ابن داود ، الرجال (طهران ، ١٣٤٢) ص ٣١٠.
(١٥) أيضا ، ص ٩٨ .
(١٦) الرجال ، ص ١٩٤ .
(١٧) المقالات والفرق ، ص ٩٣ .

الائمة التي تبنتها الامامية حين عرفت بهذا الاسم فيما بعد . فاولئك ، والحالة هذه ، شيعة يمكن تسميتهم اسلاف الامامية او الجعفرية او القطعية ولكنهم حتى وفاة الجواد لم يسموا بالامامية بعد .

وبعد وفاة الجواد نزل أصحابه « الذين ثبتوا على امامته الى القول بامامة ابنه ووصيه علي بن محمد ... فلم يزالوا كذلك حتى توفي علي ابن محمد ... »[١٨] ولما كانت وفاة علي بن محمد المعروف بالهادي سنة ٢٥٤هـ فان الشيعة القائلين بامامته لم يعرفوا بالامامية بعد . ولما كان الهادي يقع ضمن سلسلة الائمة الاثني عشر ، وانه وصي[١٩] ابيه فان شيعته هم الذين عرفوا فيما بعد بالامامية دون ان يسموا بذلك الاسم في عهده .

وبعد وفاة علي الهادي انتقلت الامامة الى ابنه الحسن المعروف بالعسكري ، يقول سعد الاشعرى : « وقال سائر أصحاب علي بن محمد بامامة ابنه الحسن بن علي ... »[٢٠] ولما كانت وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ فان شيعته حتى ذلك التاريخ لم يسموا بالامامية . ولما توفي العسكري لم ير له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر فافترق اصحابه من بعده خمس عشرة فرقة[٢١] ويجعل النوبختي عدد فرق الشيعة التي ظهرت بعد وفاة العسكري أربع عشرة فرقة[٢٢] . وكانت الفرقة الاولى من بين تلك الفرق ، على رواية الأشعرى[٢٣] ، والثانية عشر ، عند النوبختي[٢٤] هي « الامامية » . يقول سعد الاشعري : « ففرقة منها وهي المعروفة « بالامامية »

---

(١٨) أيضا ، ص ٩٩ .

(١٩) يعتقد الشيعة الامامية ان الامام المعصوم لا يوصي الا لامام معصوم مثله ، فتكون وصية والد الهادي له دليل على امامته وعصمته .

(٢٠) المقالات والفرق ، ص ١٠١ .

(٢١) أيضا ، ص ١٠٢ .

(٢٢) فرق الشيعة ، ص ٧٩ .

(٢٣) المقالات والفرق ، ص ١٠٢ .

(٢٤) فرق الشيعة ، ص ٩٠ .

قالت لله في أرضه بعد مضي الحسن بن علي حجة على عباده وخليفة في بلاده قائم بأمره من ولد الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا، امر، ناه، مبلغ عن ابائه، مودع عن اسلافه، ما استودعوه من علوم الله وكتبه واحكامه وفرائضه وسننه عالم بما يحتاج اليه الخلق من أمر دينهم ومصالح دنياهم، خلف لأبيه، ووصي له، قائم بالامر بعده، هاد للأمة مهدي على المنهاج الأول والسنن المضية من الائمة الجارية، فيمن مضى منهم القائمة فيمن بقي منهم، الى ان تقوم الساعة ... ولو كان في الارض رجلان كان أحدهما الحجة، ولو مات أحدهما لكان الباقي منهما الحجة، ما اتصل أمر الله ودام نهيه في عباده ... وذلك ان المأثور عن الائمة الصادقين مما لا دفع بين هذه العصابة من الشيعة الامامية .

ولاشك فيه عندهم ... ولايجوز ان تخلو الارض من حجة من عقب الامام، الامام الماضي قبله ولو خلت ساعة لساخت الارض ومن عليها، فنحن متمسكون بامامة الحسن بن علي، مقرون بوفاته موقنون بأن له خلفاً من صلبه ... وانه الامام من بعد ابيه الحسن ... وانه في هذه الحالة مستتر خائف مغمود، مأمور بذلك، حتى يأذن الله ... فيظهر ويعلن أمره »[٢٥] . ويستمر الأشعري في حديثه عن غيبة الامام الثاني عشر، ويسند تلك الغيبة بقول للامام علي(ع) مفاده «ان الله لايخلي الارض من حجة له على خلقه، ظاهراً معروفاً أو خافياً مغموراً لكي لا يبطل حجته وبيناته». ويبين ان اخباراً مماثلة وردت عن الائمة الآخرين . ولايبيح الأشعري للعباد « ان يبحثوا عن أمور الله ويقفوا أثر مالا علم لهم به، ويطلبوا اظهاره ... » وان فعلوا ذلك ارتكبوا الامور المحرمة عليهم . وان طلب الناس اظهار ماستره الله عنهم، يكونون كمن أعان على سفك دم الامام المهدي ودماء شيعته . ويقول لا يجوز « لنا ولا لأحد من الخلق ان يختار اماماً

---

(٢٥) الاشعرى المصدر السابق، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

ومعقوله » . وينهي الأشعري حديثه عن معتقدات فرقة الامامية بغيبة المهدى بقوله : « فهذه سبيل الامامة وهذا المنهاج الواضح ، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الاجماع من الشيعة الامامية المهتدية ... وعلى ذلـك كان اجماعنا الى يوم مضى الحسن بن علي (ر)»[٢٦] ويوجد تشابه كبير جداً بين رواية الأشعري ورواية النوبختي عن غيبة الامام المهدى التي اعتقدت به فرقة من الشيعة بعد وفاة الحسن العسكرى سنة ٢٦٠هـ وسميت من أجل ذلك بالامامية[٢٧] .

ونفيد من كل ماسبق :

أولا ـ ان سعدا الاشعرى والنوبختي عنيا « بالامامية » الجماعة الشيعية التي أنهت سلسلة أئمتها بالامام القائم أى الحجة صاحب الزمان التي خفيت على الناس ولادته واجمل ذكره ولم يعرف الا انه امام ابن امام وبالرغم من ذلك فان الاشعرى استثنى بعض ثقاة الشيعة من الجهل بأمر ذلك الامام فيقول « ولابد مع هذا الذى ذكرناه ووصفنا استاره وخفائه من ان يعلم أمره وثقاته وثقاة ابيه وان قلوا ، لان الاشارة بالوصية من امام الى امام بعده لا تصح ولا تثبت الا بشهود عدول من خاصة الاولياء ... »[٢٨] . ومن الجدير بالذكر ان عدد ائمة الامامية بلغ اثنا عشر اماما بعد غيبة الامام الثانى عشر وهو المهدى ، لذلك اصبح الشيعة الامامية يوصفون بالاثني عشرية .

ثانيا ـ يظهر ان الاشعرى ، وهو من المعاصرين للغيبة لانه توفي سنة ٣٠١هـ كمـا اسلفنا ، حدد سلطة العقل والرأى فى اختيار الائمة بما فيهم الامام الغائب ، واعتمد بصورة اساسية فى هذا الموضوع على دليل النقـل . ويبدو ان الدليل العقلي المؤيد بعلم الكلام بخصوص اختيـار الامام وغيبتـه

---

(٢٦) أيضا ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢٧) فرق الشيعة ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .
(٢٨) المقالات والفرق ص ١٠٥ ـ ٦ .

أخذ يحتل مركزا اكبر في عقيدة الامامية فيما بعد كما يظهر من كتابات الشيخ الطوسي في كتابيه الموسومين بـ « الغيبة » ، وتلخيص الشافي » الوارد ذكرهما فيما سبق • واعتقد ان ذلك أمر طبيعي لان العقيدة تهذب ، وتسند بالمباحث الكلامية مع الزمن •

ثالثا ـ لقد فند النوبختي معتقدات جميع الفرق الشيعية التى ظهرت بعد وفاة الامام الحادى عشر ، واعلن صواب فرقة « الامامية » الذين سلكوا وحدهم، على رأيه، سبيل الامامة واتبعوا المنهاج الواضح لاعترافهم باتمام سلسلة الامامة بالامام الغائب(٢٩) •

ويظهر ان الاعتراف بغيبة الامام الثانى عشر ، التى حصلت بعد ٢٦٠هـ، اصبح محور التشيع عند الامامية • وقد اورد النعمانى (من علمـاء القرن الثالث) فى كتابه الموسوم بـ « الغيبة »(٣٠) مجموعة من الاحاديث فى اثبات الغيبة • فروى ان الامام الصادق قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم : من زعم انه امام وليس بامام ، ومن زعم فى امام حق انه ليس بامام وهو امـام ، ومن زعم ان لهمـا فى الاسـلام نصيبا » • قال محمد بن تمام « قلت لابي عبـدالله عليه السـلام ان فلانا يقرئك السلام ، ويقول لك اضمن لي الشفاعة فقال امن موالينا ؟ قلت نعم قال أمره ارفع من ذلك قال قلت انه رجل يوالى عليا ولم يعرف من بعده من الاوصياء • فقال ضال • قلت فاقر بالائمة جميعا وجحد الاخر(٣١) • قال كمن أقر بعيسى وجحد محمدا ، أو أقر بمحمد وجحد عيسى نعوذ بالله من جحد حجة من حججه ••• »(٣٢) روى الامام الصادق ان عليا (ع) قـال اعلموا « ان الارض لا تخلو من حجة لله عز وجل ، ولكن الله سيعمي خلقه

---

(٢٩) فرق الشيعة ، ص ٨٠ وما بعدها •
(٣٠) طبع الكتاب المذكور بطهران ، ١٣٨٣هـ •
(٣١) يقصد الامام الغائب •
(٣٢) النعمانى ، محمد بن ابراهيم ، الغيبة ، ص ٥٥ •

عنها بظلمهم وجورهم ، واسرافهم على انفسهم ، ولو خلت الارض ساعة واحدة من حجة لساخت باهلها ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وله منكرون ... »[٣٣] . ويروى النعماني حديثا تنبأ فيه الامام علي بغيبة الحجة ، وما يحدث بعد ذلك من تغلب الاشرار على الشيعة ، ثم يقول : « وفى هذا الحديث عجائب وشواهد على حقيقة ما تعتقده الامامية وتدين به والحمد لله »[٣٤] .

وسنورد تفصيلات عن غيبة المهدى وعن اهميتها عند الشيعة الامامية ، عند كلامنا عن عقائد الامامية فى الفصل الرابع من هذا الكتاب .

ويبدو ان الشيعة الامامية قبيل نهاية القرن الثالث للهجرة اصبحوا متميزين عن غيرهم من الشيعة وانهم اخذوا يخطؤون الفرق الشيعية الاخرى . قال النجاشي ان الحسن بن موسى النوبختي المبرز على نظرائه فى زمانه قبل الثلثمائة وبعدها كتب كتبا عديدة منها كتاب « الرد على فرق الشيعة ما خلا الامامية»[٣٥] ويسمى الامامية بالاثني عشرية أيضا . قال الشريف المرتضى : « قال الشيخ ـ ايده الله ـ وليس من هؤلاء الفرق التى ذكرناها فرقة موجودة فى زماننا هذا ـ وهو ٣٧٣هـ ـ الا الامامية الاثنا عشرية القائلة بامامة ابي الحسن ، المسمى باسم رسول الله القاطعة على حياته ، وبقائه الى وقت قيامه بالسيف »[٣٦] ويقول الشهرستاني في معرض كلامه عن الشيعة الاثني عشرية ان الذين قطعوا بموت موسى الكاظم وسموا قطعية « ساقوا الأمامة بعده فى اولاده . فقالوا الامام بعد موسى الكاظم ولده علي الرضا ... ثم بعده محمد التقي الجواد ... ثم بعده علي بن محمد النقي ومشهده بقم[٣٧] ، وبعده الحسن العسكرى الزكي . وبعده

(٣٣) أيضا ، ص ٧٠ .
(٣٤) أيضا ، ص ٧٢ .
(٣٥) الرجال ، ص ٥٠ .
(٣٦) الفصول المختارة ، ج٢ (النجف ، ١٣٦٠) ص ١١١ .
(٣٧) المعروف ان مشهده بسامراء العراق .

ابنه محمد القائم المنتظر ... وهو الثاني عشر وهذا طريق الأثني عشرية في زماننا هذا »[٣٨] .

وغلب على اولئك الشيعة القائلين بامامة اثني عشر اماما اخرهم القائم المنتظر ، اسم الامامية وهم مدار بحثنا هنا . وترد كلمة الامامية في النصوص مجردة مرة ، ومقرونة بكلمة شيعة مرة اخرى . فاذا عرض ابن النديم لابي النظر محمد بن مسعود يصفه بانه « من فقهاء الشيعة الامامية »[٣٩] . وينعت ابن النديم ابا علي بن أحمد الجنيد بانه من اكابر الشيعة الامامية[٤٠] . ويصف ابن النديم أيضا ، علي بن أحمد الكوفي بانه من الامامية افضلهم[٤١] . ويقول ابن الاثير في حوادث سنة ٤٦٤هـ وتوفي فيها « في شهر رمضان ابو يعلى محمد بن الحسين بن حمزة الجعفري فقيه الامامية»[٤٢] وعندما يتكلم العلامة الحلي عن السيد المرتضى يقول « وبكتبه استفادت الامامية منذ زمانه (ر) الى زماننا وهو سنة ثلاثة وتسعين وستمائة ... »[٤٣] ويقول الطوسي ان علي بن الحسن كان « قريب الامر الى اصحابنا الامامية القائلين بالاثني عشر ...»[٤٤] .

ومن الجدير بالذكر ان النعماني وهو من الشيعة الامامية المعاصرين لغيبة الامام الثاني عشر كان يطلق مصطلح (الشيعة) مجردا ويقصد به الشيعة الامامية حصرا . وذلك انه يصف بالمصطلح المذكور الشيعة الاثني عشرية القائلين بالغيبة وهؤلاء ، كما بينا سابقا ، هم الشيعة الامامية ، دون غيرهم من فرق الشيعة .

---

(٣٨) الملل والنحل ، ج١ ، ص ١٥٠ .
(٣٩) ابن النديم ، الفهرست (القاهرة ، ١٣٤٨) ص ٢٧٥ .
(٤٠) أيضا ، ص ٢٧٧ .
(٤١) أيضا ، ص ٢٧٣ .
(٤٢) الكامل ، ج ١٠ (القاهرة ، ١٢٩٠) ص ٢٦ .
(٤٣) الرجال (طهران ، ١٣١١) ص ٤٦ ـ ٧ .
(٤٤) الفهرست (النجف ، ١٩٦٠) ص ١١٨ .

فالنعماني فى معرض كلامه عن امكان ربط الغيبة بزمن معين او عدمه يقول : « فان قولهم عليهم السلام الذى يروى عنهم في الوقت انما هو على جهة التسكين للشيعة والتقريب للامر عليها اذ كانوا قد قالوا انا لا نوقت ... »[٤٥] .

روى النعماني أيضا ان احدهم قال « سمعت عليا عليه السلام يقول كاني بكم تجولون جولان الابل تبتغون مرعى ولا تجدونها يا معشر الشيعة ... » . ومن المعلوم ان الحالة التى وصفت لا تنطبق الا على الشيعة الامامية وذلك عند ابتلائهم بغيبة الامام الثاني عشر ، ويقصد النعماني اصحابه الامامية ، بخطابه التالي ، دون ان يسميهم باسمهم ، وذلك ان كلمة الشيعة الواردة فى الخطاب المذكور تنصرف اليهم . يقول النعماني ولابد من الايقان « بما ورد عن الائمة عليهم السلام من انه لابد من كون هذه الغمة ثم انكشافها عند مشيئة الله لامشيئة خلقه واقتراحهم جعلنا الله واياكم يا معشر الشيعة المؤمنين المتمسكين بحبله المنتهين الى امره ممن ينجو من فتنة الغيبة ... »[٤٦] .

ومن الواضح ان المقصود بالشيعة الواردة بالنص هم الامامية لانهم ينفردون من بين فرق الشيعة الاخرى بالابتلاء بالغيبة كما بينا سابقا .

ونلخص مما فصلناه فى هذا الفصل بالقول ان مصطلح « الامامية » لم يصبح علما لفرقة من فرق الشيعة الا بعد حصول غيبة الامام الثانى عشر من الائمة المعصومين وان تلك الغيبة تعدّ الاساس الذى بنيت عليه فرقة الامامية . وهذا ما عناه ابن الجوزى بقوله « والامامية قالوا لا يمكن ان تكون الدنيا بغير امام من ولد الحسين »[٤٧] .

---

(٤٥) الغيبة ، ص ١٠٠ .
(٤٦) الغيبة ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .
(٤٧) ابن الجوزى ، أبو الفرج عبدالرحمن ، تلبيس ابليس (القاهرة، ١٩٢٨) ص ٢٢ .

الفصل الثالث

الغلو والغلاة وموقف الشـيعة الامامية منهما

سنتناول في بحثنا عن الغلو والغلاة الخطوط العريضة للموضوع دون الدخول بالتفصيلات ، وسنخص بالتفصيل مظاهر الغلو التي تركزت حول اشخاص وسير ائمة الامامية الاثنا عشرية التي تبدأ سلسلتهم بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وتنتهي بالامام المهدى الحجة المنتظر •

سمي الغلاة بهذا الاسم لانهم غلوا في علي وفي طائفة من الائمة من ولده ، وقالوا فيهم قولا عظيما ، اخرجوهم به من حدود البشرية الى الالهية • وتجمع الاهواء الغالية على تجسد الالهية في علي والائمة من ولده غالبا ، وفي النبي محمد (ص) وفي بعض ولد العباس وفي طائفة من عامة الناس احيانا • ولا يقتصر الامر في هذا القول على اعتبار مشاركة اولئك السادة للكائن الاعلى في الصفات والقوى الالهية التي ترفعهم فوق المستوى البشرى المألوف ، ولكن على اعتبار ان عليا والائمة من ولده بخاصة هم صور واشكال يتمثل فيها الجوهر الالهي ذاته ، وان جثمانية هذا الجوهر ليست الاسوى حادث طارىء •

قال الشهرستاني في تعريفه للغالية « هؤلاء هم الذين غلوا في حق ائمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم باحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق»[١] •

اما الاسباب التي ادت الى ظهور الغلو فهي متعددة من أهمها :

اولا ـ تعلق جماعات من الاقوام التي دخلت الاسلام بتقاليدها الدينية والاجتماعية القديمة التي ورثتها من بيئآتها التي عاشت فيها قبل الاسلام •

---

(١) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٤ •

وتصح الفرضية المذكورة لا على جماعات من القبائل اليمانية التى انخرطت في سلك التشيع بشكله الغالى حسب ، بل على الجماعات الايرانية الاصل التى قبلت فى الغالب التشيع بصورته الغالية خلال القرنين الاول والثانى للهجرة • وسبق ان عرضنا فى الفصل الاول من هذا الكتاب نظرية الاستاذ وات (Watt) التى تتلخص فى ان تلك الجماعات من اليمانية كانت قبل اعتناقها للاسلام تعتنق المسيحية على المذهب المونوفستي ، الذى يقول بان للمسيح ، بكونه قائدا روحيا ، طبيعة لاهوتية بالاضافة الى طبيعته الناسوتية ، وان جماعات من القبائل اليمانية احتفظت بعد اعتناقها للاسلام بتقاليدها الدينية السابقة فاعتنقت التشيع الذى يحتل فيه الامام ، بكونه القائد الروحي للشيعة ، مركز المسيح بالنسبة للمونوفستيين • وقد اورد وات ادلة اخرى لاثبات فكرته المذكورة يجدها القارىء فى موضعها من هذا الكتاب •

اما الجماعات الايرانية الاصل التى انضمت للتشيع بشكله الغالي فقد ورثت من بيئآتها القديمة فكرة عبادة الملوك واتصافهم بصفات الاله •واصبح الائمة فى نظر الموالي الغلاة يحتلون المراكز الروحية التى يحتلها الملوك الايرانيون في عهد الوثنية • وسبق أن اشرنا الى أن جل الموالي الذين اعتنقوا التشيع خلال المراحل الاولى من تاريخه هم من الغلاة • يقول فلهاوزن « وكان تحول الموالي الى شيعة غلاة حادثا ذا اهمية فى التاريخ العالمي ••• وشاء [المختار] القضاء على الفوارق بين المسلمين من الطبقة الاولى ، والمسلمين من الطبقة الثانية ، فمن يأخذ عليه ذلك ، لا يكون له الحق فى ان يأخذ على الحجاج انه عمل العكس فاكد هذه الفوارق بكل قوة واعادها الى ما كانت عليه • والحق ان المختار خليق بالمديح لكونه كان اسبق من غيره فى ادراك ان الاحوال القائمة انذاك لا يمكن ان تبقي كما هي ، اذ لم يكن الاسلام بل العنصر العربي هو الذى يعطي الحقوق المدنية

الكاملة فى الحكومة الدينية • ولو كان المختار قد حقق هدفه الاصلي لكان من الممكن ان يكون منقذ الدولة العربية »[٢] •

ثانيا ـ دور الظلم الذى حل بآل بيت الرسول فى دفع جماعات من المسلمين للمغالاة فى حقهم •تعرض آل البيت لمظالم قاسية اقترفها بحقهم عدد من حكام المسلمين ، فكان ذلك من الدوافع لعطف جماعات كبيرة من معاصريهم على قضيتهم • وتضخم العطف المذكور مع الزمن فتحول عند البعض من الاحترام والتقدير والائتمام بالسير الصالحة الى الغلو والخروج بالائمة من حدود البشرية التى رسموها لانفسهم الى حدود الالهية التى ارادها لهم الغلاة من اتباعهم •

ولسنا هنا فى معرض ايراد التفصيلات عن المظالم التى حلت بآل البيت ، وسنورد طائفة من الاخبار على سبيل المثال لا الحصر •عمد الامويون الى التنكيل بآل البيت وشيعتهم منذ عهد معاوية ، الذى أمر بقتل حجر بن عدى وجماعته صبرا بتهمة مهلهلة لا تعدو حبه لعلي والاخلاص لذكراه بعد موته • ولعل رسالة الحسين بن علي لمعاوية تبين طرفا مما كان الشيعة يلاقونه من عنت الحاكمين • قال الحسين يخاطب معاوية : (ثم سلطت [زيادا] على العراقين يقطع ايدى المسلمين وارجلهم ويسمل عيونهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ••• فكتبت اليه ان اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك ، ودين علي عليه السلام والله الذى كان يضرب عليه اباك ويضربك ••• »[٣] وفى عهد يزيد خلف معاوية حدثت فاجعة كربلاء المعروفة • ووصف محمد ابن الحنفية سيرة معاوية وبنيه بقوله « الا ان اعمال بني امية اسرع فيهم من سيوف المسلمين ••• »[٤] وعندما

---

(٢) الخوارج والشيعة ، ص ٢٥٢ ـ ٣ •
(٣) الكشي ، الرجال ، ص ٣٤ •
(٤) ابن سعد ، الطبقات ، ج٥ (ليدن ، ١٣٣٢) ص ٧١ •

ولي عبدالله بن الزبير الحكم بمكة اساء جوار بني هاشم ، وحصرهم وآذاهم وقصد لمحمد ابن الحنفية فاظهر شتمه وعيبه وامره وبني هاشم ان يلزموا شعبهم بمكة وجعل عليهم الرقباء وقال لهم فيما يقول والله لتبايعن أو لاحرقنكم بالنار فخافوا على أنفسهم ... »[٥] .

وذات مرة كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامله فى المدينة « ان اقسم فى ولد علي بن ابي طالب عشرة آلاف دينار فتعلل الوالي فكتب له عمر « اذا اتاك كتابي هذا فاقسم فى ولد علي من فاطمة (ر) عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم »[٦] .

وقد وردت اشارة يظهر منها ان الامويين ، على لسان احد ولاتهم المعروف بالحجاج ، قالوا قولة لايبيحها لهم الشرع ولا العقل ، وهى انهم فضلوا الخلافة على النبوة . روى المسعودى خبرا رفعه الى الربيع بن خالد قال « سمعت الحجاج يخطب على المنبر وهو يقول : أخليفة احدكم في اهله اكرم عليه أم رسوله فى حاجته ؟ فقلت : الله عليّ ان لا اصلي خلفك ابدا ، ولئن رأيت قوما يجاهدونك لاقاتلنك معهم ... »[٧] فاذا صح هذا الخبر فانه يصلح لان يحتل القمة بين اعمال بني امية التى هى اسرع فيهم من سيوف المسلمين ، على حد قول محمد ابن الحنفية ، الذى اوردناه قبل قليل . واذا علمنا ان سيرة علي وآله ، وخاصة أئمة الشيعة الامامية الذين هم مدار بحثنا هنا ، كانت على النقيض من سيرة حكام بني أمية من حيث التقوى والانقطاع عن مباهج الحياة الدنيا ، نقدر أثر هاتين السيرتين فى تنفير الناس من بني امية من جهة وميلهم لآل البيت من جهة

---

(٥) أيضا ، ج ٥ ، ص ٧٤ .

(٦) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٢١ .

(٧) أيضا ، ج٣ ، ص ٨٧ .

اخرى • وعندما تقاعس الغلاة من رفع آل البيت الى سدة الحكم فى الدنيا زفعوهم الى مصاف الالهة دون رضاهم •

ثالثا ـ تقاعس الكوفيين عن نصـرة علي وآله في حيـاتهم دفعهم الى الغلوبهم فى مماتهم :

كانت الحرب بين علي ومعاوية ، كما اشـرنا فى الفصـل الاول من هذا الكتاب ، عبارة عن حرب بين القيم والمبادىء الاسلامية ممثلة فى علي ، والقيم القبلية والطبقية ممثلة في معاوية • وقد لاقت قيم معـاوية ومبادؤه رواجا بين ابناء ذلك العصر فانفضوا عن علي ونصروا معاوية كما هو معروف وقد لاح للعراقيين بعد ان عضتهم الخطوب ، واثقلتهم ضرائب بني أمية انهم اخطأوا فى تقاعسهم عن نصرة علي وبنيه • يقول الوردى اندفعت « جماهير الناس مع رؤسائهم نحو جانب معـاوية وتركوا عليا وراءهم ، وهم يظنون ان الامر بسيط لا يعدو كونه اختلافا بين زعيمين يدينان بدين واحد ••• ثم تبين لهم بعد مرور الزمن ان الامر اعمق من هذا حيث رأوا ان سياسة علي كانت انفع لهم فى المدى البعيد ، وان سياسة معاوية كانت براقة مغرية فى الظاهر ولكنها تحتوى فى باطنها على سم زعاف لهم »[8] •

وقد اخذ حب الكوفيين لآل البيت يزداد مـع الزمن ، ومع تراكم عوامل الندم ، واشتداد ضغط الحكام حتى تحول عند بعضهم الى الغلو الذى رفع الائمة من مصاف البشر الى الالهية • وقد تبين ذلك الاتجاه الى خصم من خصوم الشيعة معاصر للغلو والغلاة وهو هشام بن عبـدالملك الاموى ، فكتب الى يوسف بن عمرو واليه على العراق : « اما بعد فقد علمت بحال اهل

---

(٨) الوردى ، علي ، مهزلة العقـل البشرى (بغـداد ، ١٩٥٥) ص ٧٩ •

الكوفة في حبهم اهل هذا البيت ووضعهم اياهم في غير مواضعهم لانهم افترضوا على انفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوهم علم ما هو كائن »[٩] .

وظهر لجماعة من الزنادقة ان الناس فتنوا في الامام الصادق في حياته.

روى المفيد ان الامام الصادق كان يفتي الناس في المسجد الحرام ، فلما رآه جماعة من الزنادقة قالوا لزميل لهم اسمه عبدالكريم بن ابي العوجاء المقتول : ١٥٥هـ « هل لك في تغليط هذا الجالس وسؤاله عما يفضحه عند هؤلاء المحيطين به فقد ترى فتنة الناس به وهو علامة زمانه ... »[١٠] .

السبأية :

أما بداية الغلو في الائمة العلويين فقد عزيت الى عبدالله بن سبأ رئيس الفرقة المعروفة بالسبائية[١١] وقد اختلف في أصل عبدالله بن سبأ وفي كونه شخصية حقيقية أم خيالية ، وفي غير ذلك من أمور سنأتي على ذكرها في ما يلي من الصفحات .

فابن سبأ كان يهوديا فاسلم ووالى عليا .[١٢] ويروى الطبرى ان عبدالله بن سبأ كان « يهوديا من اهل صنعاء أمه سوداء »[١٣] . وتبين

---

(٩) الطبرى ، التاريخ ، ج٥ ص ٤٨٨ .

(١٠) الارشاد (طهران ، ١٣٧٧) ص ٢٦٣ .

(١١) النوبختى ، فرق الشيعة ، ص ١٩ .

(١٢) أيضا ، ص ٢٠ .

(١٣) التاريخ ٣ : ٤٥٩ ، محمد بن يحيى ، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان (بيروت ، ١٩٦١) ص ٥٥ .

لهوتسما ان المؤرخين المسلمين اطلقوا على عبدالله بن سبأ لقب ابن السوداء نسبة لأمه ، وانه كان يهوديا من صنعاء[١٤] .

اما سعد الاشعرى فانه ، رغم اشارته الى يهودية ابن سبأ نقلا عن جماعة من العلماء ، يتبنى عروبة ابن سبأ واصله اليماني بقوله « وهو عبدالله بن وهب الراسبي الهمداني » ثم يجعل له مساعدين فى رئاسة السبائية وهما « عبدالله بن حرس وابن اسود »[١٥] . فسعد الاشعرى ربما يكون أول من اثار الشك في يهودية ابن سبأ وذلك باثبات اصله العربي . واعتقد ان لشكه المذكور نتائج مهمة اذ انه يؤدى الى فقدان هدف من اهداف مروجي قصة ابن سبأ وهو زعمهم ان اصل التشيع من اليهودية على اعتبار ان اول من قال بوصية النبي لعلي هو عبدالله بن سبأ اليهودى الاصل .

اما زمان ظهور الاراء السبائية ومكانها ففيهما اختلاف . يقول النوبختي « فلما قتل علي (ع) افترقت التى ثبتت على امامته ... فصاروا فرقا ثلاثا : فرقة منهم قالت ان عليا لم يقتل ولم يمت ... » وهي « اول من قال منها بالغلو وهذه الفرقة تسمى السبأية اصحاب « عبدالله بن سبأ » ... » ويبدو من الرواية السابقة ان زمن ظهور السبأية كان بعد مقتل علي .

اما مكان الفرقة المذكورة فهو العراق لان عليا ، كما تقول الرواية نفسها نفى ابن سبأ من الكوفة الى المدائن[١٦] .

اما الطبرى ، وهو المصدر الرئيس لقصة ابن سبأ ، فيورد روايتين فيما يتعلق بزمن ظهور ابن السوداء قال فى الرواية الاولى انه ظهر بعد أن

---

(١٤) Houtsma, M. Th. "Ibn Sab'a", Ency. of slam, I, P. 29.

(١٥) المقالات والفرق ، ص ٢٠ .

(١٦) فرق الشيعة ، ص ١٩ .

اسلم فى زمن عثمان دون ان يحدد تاريخا معينـ(١٧) ويقول الطبرى فى الرواية الثانية ان عبـدالله بن عامر والي البصرة علم ، بعـد مضي ثلاث سنين من امارته ، بوجود رجل اسمه حكيم بن جبلة كن يسـكن البصرة ويترأس عصابة من اللصوص كانت تغير فى المناسبات على اطراف بلاد فارس فكتب فى امره الى عثمان فامر الخليفة بحجزه وجماعته فى البصرة « فكان [حكيم بن جبلة] لا يستطيع ان يخرج منها فلما قدم ابن السـوداء نزل عليه واجتمع اليه نفر ...»(١٨) •

ولما كانت ولاية ابن عامر على البصرة فى سنة ٢٩هـ(١٩) ، وانه حبس حكيم بن جبلة رئيس اللصوص بعد ثلاث سنين من بدايتها ، يكون قدوم ابن السوداء للبصرة بين ٣٢ ـ ٣٣هـ •

ويظهر من رواية الطبرى السابقة انها تحدد وقتا لظهور السبائية اسبق من رواية الأشـعرى التى اوردناها فى اعــلاه ، فهي تجعل ظهورهم فى السنوات الاخيرة من حكم عثمان بينما الأشعرى يجعل ذلك الظهور بعــد مقتل علي • وسنرى فيما بعد ان تحديد هذا التاريخ كان مهما فى نظر من اقحموا قصة ابن سبأ فى النزاع بين عثمان وبين من ثار عليه من المسلمين لانهم ارادوا ان يظهروا ان خروج ابن سبأ كان فى السنوات الست الاخيرة من حكم عثمان وهى السنوات التي قويت فيها المعارضة وعدهـا المؤرخون فترة المخالفات التي ارتكبها عثمان •

اما المكان او الامكنـة التى ظهر فيها ابن سـبأ وجماعته فهى ، كمـا وردت عند رواة قصة ابن سبأ الحجاز والبصرة والكوفة والشام ثم مصر •

---

(١٧) التاريخ ، ٣/ ٣٧٨ ـ ٩ •
(١٨) أيضا ، ٣ : ٣٦٨ •
(١٩) أيضا ٣ : ٣٢٠ •

قال الطبري اسلم ابن سبأ زمن عثمان « ثم تنقل في بلاد المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند احد من أهل الشام فاخرجوه حتى اتى مصر فاعتمر فيهم ... »[20]
ويؤيد محمد بن يحيى رواية الطبري السابقة مع تغييرات طفيفة ، مما يدل على انه اتخذ الطبري مصدرا له ، ويبدو ان محمد بن يحيى وصل الى النتيجة التي وصلها الطبري وهي ان ابن السوداء جاز من الشام الى مصر « فكثر اصحابه فيها ، وكاتب اخوانه من اهل الامصار ومد لهم في غيهم ، فهو اول من بث دعاة في الناس يدعون الى الخروج »[21] .

ونود ان نشير هنا الى ان قول واضعي قصة السبائية بأن ابن سبأ فشل في الشام ، بينما نجح في مصر لا يخلو من هدف خفي . وذلك انهم ارادوا أن يعزوا ثورة مصر على عثمان الى نجاح دعوة ابن سبأ فيها ، بينما كان هدوء الشام ناتجا عن فشل تلك الدعاوة .

وبعد ما قدمنا نطرح السؤال التالي وهو : هل كان ابن سبأ موجودا في الواقع أم ان شخصيته خيالية ؟

يبدو ان ابن سبأ كان شخصية الى الخيال اقرب منها الى الحقيقة وان دوره ، ان كان له دور ، قد بولغ فيه الى درجة كبيرة لأسباب دينية وسياسية . والأدلة على ضعف قصة ابن السوداء كثيرة منها ، اولا ــ لم ترد قصة ابن سبأ في المصادر المهمة التي روت حوادث خلافة عثمان وقضية مقتله امثال طبقات ابن سعد وانساب الاشراف للبلاذري . وكان الطبري المصدر الرئيس الذي أورد تلك القصة بتفصيلاتها وقد تتبع السيد مرتضى العسكري قصة ابن سبأ فوجد ان المصادر التي روتها والتي كتبت بعد تاريخ الطبري كلها اتخذت الطبري مصدرا لها . وعند الرجوع الى الطبري نجد

(٢٠) التاريخ ، ٣ : ٣٧٨ ـ ٩ .
(٢١) التمهيد ، ص ٥٥ .

ان مصدره في تلك القصة سيف بن عمر البرجمي (ت: ١٧٠هـ) • وقد اورد السيد العسكري تفصيلات وافية عن دور سيف في تزوير التاريخ واختلاق الحوادث• وقد اوصل العسكري بحثه الى ان الرواة قالوا ان سيف « يروى عن خلق كثير من المجهولين • ضعيف الحديث ليس بشيء• متروك يضع الحديث • وهو في الرواية ساقط • يروى الموضوعات عن الثقاة • عامة حديثه منكر• متهم بالوضع والزندقة »[٢٢] •

اما بروكلمان فيقول كن سيف « يحرف الاحاديث والاحداث ، يعظم بعضا ويحقر بعضا ، ولكنه كان يحسن الوصف والبيان ، فاغتر الطبري بذلك واختار كتبه مصدرا أصيلا في تاريخه لما روى من الوقائع في أوائل الاسلام ، وتبع الطبرى المتأخرون ، وفلهاوزن هو الآخر لم يعد سيفا من بين المؤرخين الثقاة»[٢٣] •

ثانيا ـ لو عرضنا القصة للنقد الداخلي لوجدناها حافلة بالتناقض والمبالغة خاصة فيما يخص تاريخ الحوادث التى احتوتها القصة وصعوبة امكان نسبة كثير من الآراء التي بشر بها ابن سبأ اليه •

فتاريخ ظهور السبائية هو عند الاشعري والنوبختي بعد مقتل علي ، كما أسلفنا ، بينما هو عند الطبري وعند من جعله مصدرا له من المؤرخين المتأخرين عنه ، الفترة الاخيرة من حكم عثمان • فالطبري ، وهو المصدر الرئيس لقصة ابن سبأ ، يحدد الفترة الواقعة بين سنة ٣٢ ـ ٣٣ هـ بداية لظهور ابن سبأ • وروى الطبري ان ابن سبأ كان في البصرة في ذلك التاريخ ثم انتقل الى الكوفة ، ومنها الى الشام وهناك لاقى أبا ذر وتباحث معه حول قضية المال وهل هو مال الله أو مال المسلمين • ويترتب على ذلك ان ابن

---

(٢٢) عبدالله بن سبا (النجف ، ١٩٥٦) ص ١٧ ، وخمسون ومائة صحابي مختلق (بيروت ، ١٩٦٨) ص ١١ وما بعدها •

(٢٣) تاريخ الادب العربي ، ج٣ (القاهرة ، ١٩٦٢) ص ٣٧ •

سبأ كان في الشام في حدود سنة ٣٣هـ لان تنقله من البصرة الى الكوفة ثم الشام يتطلب نصف سنة على الأقل • وعند الرجوع الى الطبـري نجد ان المناظرة التي جرت بين معاوية وابي ذر حول قضايا المال كانت في سنة ٣٠هـ قال الطبري « لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال يا أبا ذر الا تعجب الى معاوية يقول المال مال الله ألا أن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين ، فأتاه أبو ذر فقال مايدعـوك الى أن تسمي مال المسلمين مال الله ••• »[٢٤] •

وبعد المناظرة المذكورة كتب معاوية الى عثمان في أمر ابي ذر واخبره أنه يثير الفتنة عليه ، فطلب الخليفة من معاوية أن يبعث بأبي ذر الى المدينة « فبعث [معاوية] بأبي ذر ومعه دليل »[٢٥] ولما وصل أبو ذر المدينة قابل عثمان في السنة نفسها وجرى بينهما نقاش حول المال ، وانتهى الى نفي أبي ذر الى منطقة تعرف بالربذة حيث توفي هناك سنة ٣١ أو ٣٢هـ[٢٦] ومـن هذا يظهر ان الجدل حصل بين أبي ذر ومعاوية في سنة ٣٠ للهجرة وان ابا ذر أعيد للمدينة في السنة نفسها ، ثم مالبث أن توفي في سنة ٣١ أو ٣٢هـ كما أسلفنا • كل هذه الحوادث حصلت قبل التاريخ الذي حدده واضعو قصة ابن سبأ لظهوره وهو سنة ٣٣هـ • فكيف يصح أن نقر مقابلة أبي ذر لابن سبأ في الشام سنة ٣٠هـ مع أن ابن سبأ لم يظهر بعد ، وان ظهوره ان صح ، كان بعد وفاة أبي ذر ولعل في هذا دليل على أن ابن سبأ لم يكن شخصية تاريخية وان أبا ذر لم يلقه في أي وقت من الاوقات •

يقول الدكتور الوردي في معرض كلامه عن شخصية ابن سبأ « ويبدو

---

(٢٤) التاريخ ، ٣ : ٣٣٥ •

(٢٥) أيضا ، ج٣ ، ص ٣٣٦ •

(٢٦) القمي ، عباس ، الكنى والالقاب ، ج١ (النجف ، ١٥٩٦) ص ٧٣ •

أن هذه الشخصية العجيبة اخترعت اختراعا وقد اخترعها اولئك الأغنياء الذين كانت الثورة موجهة ضدهم »[٢٧] •

ويرى الوردي ان ابن سبأ هو عمار ، ويرى أن من غرائب التاريخ أن نرى كثيرا من الامور التي تنسب الى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار ابن ياسر على وجه من الوجوه • ويسوق أدلة على ذلك منها :ـ

١ ـ ان ابن سبأ كان يكنى بأبن السوداء ومثله في ذلك عمار •

٢ ـ كان عمار من أب يماني ، ومعنى هذا انه كان من أبناء سبأ ، فكل يمان يصح أن يقال عنه انه ابن سبأ •

٣ ـ وعمار فوق ذلك كان شديد الحب لعلي بن ابي طالب يدعو له ويحرض الناس على بيعته في كل سبيل •

٤ ـ وقد ذهب عمار في أيام عثمان الى مصر واخذ يحرض الناس ثمة على عثمان • فضج الوالي منه وهم بالبطش به •

٥ ـ وينسب الى ابن سبأ قوله أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق وان صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب •

٦ ـ و٧ ـ قضايا تتعلق بدور عمار في حرب الجمل وفي علاقته مع أبي ذر •

ويستخلص الوردي ان ابن سبأ لم يكن سوى عمار بن ياسر • فقد كانت قريش تعتبر عمارا رأس الثورة على عثمان ، ولكنها لم تشأ في أول الامر أن تصرح بأسمه فرمزت عنه بابن سبأ أو ابن السوداء ، وتناقل الرواة هذا الرمز غافلين وهم لايعرفون ماذا كان يجري وراء الستار[٢٨] •

---

(٢٧) الوردي علي ، وعاظ السلاطين (بغداد ، ١٩٥٤) ص١٥١ •
(٢٨) أيضا ، ص ٢٧٤ ـ ٨ •

وقد قبل الدكتور الشيبي الرأى السابق ، ثم حاول تعزيزه بأيراد نصوص تثبت القضايا التي وردت في محتوياته[٢٩] .

الآراء المنسوبة لعبدالله بن سبأ :

يبدو ان رواة قصة ابن سبأ وضعوا على لسان بطل قصتهم آراء ذات أهمية بالغة منها :

أولا ـ الرجعة : روى الطبري ان ابن سبأ قال « لهم [أهل مصر] فيما يقول لعجب ممن يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع . وقد قال الله عزوجل (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها » .

ثانيا ـ الوصاية : قال ابن سبأ لمريديه ، كما يروي الطبرى « انه كان ألف نبي ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمد ، ثم قال محمد خاتم الانبياء وعلي خاتم الاوصياء ، ثم قال بعد ذلك من اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) ووثب على وصي رسول الله (ص) وتناول أمر الامة. ثم قال لهم بعد ذلك ان عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله (ص) فأنهضوا في هذا الامر فحركوه وابدوا بالطعن على امرائكم واظهروا ألامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الامر فبث دعاته ... »[٣٠] .

ثالثا ـ القول بأن المال مال المسلمين لا مال الله . روى محمد بن يحيى خبرا رفعه الى سيف بن عمر ان ابن السوداء لما ورد الشام لقي أبا ذر فقال : « يا أبا ذر ألا تعجب الى معاوية يقول : المال مال الله عزوجل ،

---

(٢٩) الشيبي ، كامل ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ج١ ص ٣٦ ـ ٤٠ .

(٣٠) التاريخ ، ٣ : ٣٧٨ ـ ٩ .

ألا كل شيء لله كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين؟ فأتاه أبو ذر فقال : مايدعوك الى أن تسمي مال المسلمين مال الله ، فقال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله ، والمال ماله والخلق خلقه ، والامر أمره ، قال : فلا تقله . قال : فاني لاأقوله أنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين وأتوي . واتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له مثل ذلك ، فقال له : من أنت ؟ أظنك والله يهوديا . فأتى عبادة بن الصامت فتعلق به فأتى به معاوية ، فقال هذا : والله الذي بعث عليك أبا ذر . وقام أبو ذر بالشام ، وجعل يقول يامعشر الاغنياء ، واسوا الفقراء ، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار ... فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك ، وأوجبوه على الاغنياء ، وحتى شكا الاغنياء ما يلقون من الناس »[٣١]

رابعا ـ نسبة الالهية الى علي . يقول الرازي ان السبائية هم أتباع عبدالله بن سبأ . « وكان [عبدالله بن سبأ] يزعم ان عليا هو الله تعالى . وقد أحرق علي (ر) منهم جماعة ... »[٣٢] .

ولابن السوداء آراء اخرى ذات صلة بالنقد الذي وجه للخليفة عثمان والى ولاته . « والى ابن السوداء » يقول طه حسين « يضيف كثير من الناس كل ماظهر من الفساد والاختلاف في البلاد الاسلامية أيام عثمان »[٣٣] .

أما القول بالرجعة الذي نسب الى ابن سبأ فهو يختلف عن الرجعة التي تحصل بعد ظهور المهدي ، والتي أصبحت من ضروريات مذهب

---

(٣١) التمهيد ، ص ٧٤ ـ ٥ ، والطبرى ، ٣ : ٣٣٥ .

(٣٢) الرازى ، فخر الدين ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (القاهرة ، ١٩٣٨) ص ٧٢ .

(٣٣) الفتنة الكبرى ، ج ١ (القاهرة ، ١٩٤٧) ص ١٢٨ ـ ٩ .

الامامية • وسنشير الى ذلك عند كلامنا عن عقائد الامامية في فصل لاحق • ويطلق ابن الجوزي على الغلاة القائلين برجعة من نوع الرجعة المنسوبة لابن سبأ اسم « الرجعية » ويعدها فرقة متميزة عن الامامية • ويقول انهم « زعموا أن عليا واصحابه يرجعون الى الدنيا وينتقمون من اعدائهم »[٣٤] • ويبدو ان واضعي قصة ابن سبأ استهدفوا من نسبتهم القول بالرجعة الى ابن سبأ تشويه فكرة الرجعة عند الشيعة الامامية • تلك الفكرة التي تختلف في مضمونها ، كما سنبين في حينه ، عن مفهوم الغلاة للرجعة •

أما القضية الثانية التي نسبت الى ابن سبأ فهي القول بوصية النبي لعلي • ويعلم واضعو قصة ابن سبأ أن الشيعة يقولون بفكرة الوصاية • ولكن الشيعة يرون ان الله أمر نبيه محمدا أن ينص على علي بالوصية • ونص النبي على ذلك في يوم الغدير بحضور سبعين أو ثمانين ألفا من المسلمين • ويرى الحلي ان حديث الوصية لم يرد بكتب الشيعة فقط بل أورده أحمد بن حنبل في مسنده بطرق ثمانية ، وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ، وأورده مسلم في الصحيح[٣٥] • بينما أراد واضعو قصة ابن سبأ أن يجعلوا مصدر وصاية النبي لعلي يهوديا طارئا على الاسلام هو ابن السوداء وليس النبي وبأمر من الله • ولا يخفى ما في هذه القضية من التشويه والنكاية بالشيعة وهو ، على ما أعتقد ، ماقصده واضعو قصة ابن سبأ •

أما فيما يتعلق بالزعم القائل بأن ابن سبأ وجماعته نسبوا الالهية الى علي فيبدو أن الغلو بالامامة عند السبائية تطور مع الزمن فتحول الى القول بالالهية • يقول سعد الاشعري بعد أن يشرح عقيدة السبائية بالغلو في علي

---

(٣٤) تلبيس ابليس ، ص ٢٢ •

(٣٥) الحلي ، الحسن بن يوسف ، اثبات الوصية (النجف لا • ت) ص ١٩ •

« وقالوا بعد ذلك في علي أنه اله العالمين ... »[٣٦] أما الرازي فيجعل القول بالهية علي عقيدة أساسية لدى السبائية ونص بصراحة على أن ابن سبأ « يزعم أن عليا هو الله تعالى »[٣٧] . وبمرور الزمن اصبح ابن سبأ لم يقل بالهية علي حسب بل يزعم أنه هو نبيه . يقول العلامة الحلي : « عبدالله بن سبأ ... غال ملعون حرقه أمير المؤمنين عليه السلام بالنار ، كان يزعم أن عليا عليه السلام اله وانه نبي لعنه الله »[٣٨] . وهكذا جعلوا ابن سبأ ينتقل مع الزمن ، من القول بالغلو بأمامة علي الى القول بألهيته وينتهي الى الادعاء بالنبوة . ولعل التنقل المذكور ، وتراكم الاضافات على محتوى القصة يقوم دليلا على ضعفها وعلى اختلاق الاقوال المنسوبة لابن سبأ فيها . ويقول هوتسما ان افكار ابن سبأ لم تبق على ما أرادها واضعوها الاوائل بل تطورت . ويضيف قائلا : « يصعب جدا أن نقرر القضايا التي قالها ابن سبأ وتلك التي قالها خلفاؤه »[٣٩] .

وهكذا أراد واضعو قصة ابن سبأ أن ينالوا من مركز الامام علي بأتخاذ ابن سبأ له بمثابة الاله ، وسبق لهم أن شكوا في وصية الرسول له حين نسبوها لابن السوداء . وبعد أن فرغوا من الدس على علي تناولوا بالتشهير زعماء شيعته أمثال أبي ذر وعمار والاشتر وغيرهم .

وقد ركز واضعو قصة ابن سبأ على نزاع ابي ذر مع عثمان حول قضية المال وهل هو مال الله أم مال المسلمين أو بعبارة اخرى هل أن الخليفة مطلق بالتصرف بأموال الدولة أم أنه خاضع لرقابة المسلمين ولا يحق له

---

(٣٦) المقالات والفرق ، ص ٢١ .
(٣٧) اعتقادات ، ص ٧٢ .
(٣٨) الحلي ، الحسن بن يوسف ، الرجال (طهران ، ١٣١٢) ص ١١٤ .
(٣٩) Op. cit, I, P. 29.

التصرف بأموالهم دون مراعاة مصلحتهم . والنزاع المذكور في واقعه حصل بين الخليفة عثمان وابي ذر في المدينة قبل فترة من نفي أبي ذر الى الشام حيث رتب اللقاء المزعوم بينه وبين ابن سبأ ولا علاقة لابن سبأ في تلقين أبي ذر لآرائه في انفاق المال العام وفي واجب الاغنياء نحو الفقـراء .

وذات يوم في مجلس ضم عثمان وأبا ذر وكعب الاحبار الذي كان يهوديا فأسلم ، قال عثمان « أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره ؟ فقال كعب : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع ابو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت ياابن اليهودي ، ثم تلا « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» فقال عثمان : أترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننفقه فيمـا ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقال كعب لابأس بذلك ، فرفع أبو ذر عصاه فدفع بها في صدر كعب ، وقال : أيا ابن اليهودي ما أجرأك على القول في ديننا فقال له عثمان : ما أكثر اذاك لي ! غيب وجهـك عني فقد آذيتني ، فخرج أبو ذر الى الشام ، فكتب معاوية الى عثمان : ان أبا ذر تجتمع اليـه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فأن كان لك في القوم حاجة فاحمله اليك . فكتب اليه عثمان بحمله فحمله على بعير ... »[٤٠] .

ونود أن ننبه القاري الى مايأتي :ـ

أولا ـ مصدر آراء ابي ذر في المال . يظهر ان أبا ذر لم يتأثر بشخص أو أشخاص معينين عندما أعلن رأيه بالمال العام والخاص ، وانه اقتبس ذلك الرأي من بيئة المدينة ومن تعاليم الاسلام . لذلك نجده يغضب على ابـن اليهودي كعب عندما أراد التدخل في تلك القضية التي تقصر معرفته بها ، في نظر أبي ذر ، عن معرفته هو في حين نجد عند واضعي القصة ان ابن سبأ ، أثناء مقابلته في الشام لابي ذر علمه آراءه في المال العام والخاص[٤١] .

---

(٤٠) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص ٢٢٨ .
(٤١) الطبرى ، ٣ : ٣٣٥ .

ثانيا ـ مكان الحوار والاشخاص المشتركون فيه • يبــدو من نص المسعودي الذي أوردناه في اعلاه ، ان الحوار جرى بين عثمان وابي ذر في المدينة • بينما جعل واضعو قصة السبائية ذلك الحوار يجرى لاول مرة بين معاوية وابي ذر في الشام لا في المدينة •

ثالثا ـ زمان الحوار : كان الزمان عند واضعي القصة سنة ٣٠هـ(٤٢) أي بعد وصول أبي ذر الى الشام ، بينما جرى الحوار المذكور ، كما يبدو من نص المسعودي أيضا ، قبل سفر أبي ذر للشام أى قبل سنة ٣٠هـ •

ولا يخفى على القارىء أن جميع الجهود التي بذلها واضعو قصة ابن سبأ في تزييف الحوادث المذكورة كانت ترمي الى هدف مهم في نظـــرهم وهو رغبتهم في أن يثبتوا أن تصرف عثمان وولاته في الاموال كان سليما ، وان أبا ذر في نقده لذلك التصرف كان مغررا به من قبل ابن سبأ اليهودي الاصــل •

ومن الجدير بالذكر ان آراء أبي ذر المالية كانت معقــدة وتناولت الشك بحق الخليفة في أن يتصرف ببيت المال كما يريد دون أخذ مصلحة المسلمين بنظر الاعتبار ، كما تناولت واجب الاغنياء في مواساة الفقراء بغض النظر عن دفعهم الضرائب المفروضة كالزكاة مثلا • قال البلاذري « لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه ، واعطى الحارث بن الحكم ثلاث مائة ألف درهم ، واعطى زيد بن ثابت ••• مائة ألف درهم وجعل أبو ذر يقول : بشر الكانزين بعذاب أليم ••• » ولما طلب عثمان من أبي ذر أن ينتهي قال : « فوالله لارضى الله بسخط عثمان احب الي وخير لي من أن اسخط الله برضاه فأغضب عثمان ذلك واحفظه ••• »(٤٣) • قال المسعودي

---

(٤٢) أيضا ، ٣ : ٣٣٥ •

(٤٣) البلاذرى ، انساب الاشراف ، ج٥ ، ص ٥٢ •

كان أبو ذر بحضرة عثمان حين « أتي بتركة عبدالرحمن بن عوف الزهري من المال ، فنضت البدر حتى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم ، فقال عثمان : اني لارجو لعبدالرحمن خيرا ، لانه كان يتصدق ، ويقرىء الضيف وترك ماترون ، فقال كعب الاحبار : صدقت ياأمير المؤمنين ، فشال أبو ذر العصا فضرب بها رأس كعب ، ... وقال ياابن اليهودي تقول لرجل مات وترك هذا المال : ان الله اعطاه خير الدنيا والآخرة ، وتقطع على الله بذلك وانا سمعت رسول الله (ص) يقول : « مايسرني ان أموت وادع مايزن قيراطا » فقال له عثمان : وارعني وجهك ... »[٤٤] .

واذا علمنا ان كعب الاحبار الذي عَب عليه ابو ذر تدخله في النقاش بينه وبين الخليفة حول قضايا المال العام والخاص ، كان ذا قدم راسخة في الاسلام ، وانه صحب النبي (ص) . تظهر لنا صعوبة قبول ابي أبي ذر لتلقين ابن سبأ الذي لم يكن ابن يهودين مثل كعب الاحبار حسب ، بل هو طارىء في الاسلام اسلم في أواخر أيام عثمان كما يقول ابطال قصته .

أما عمار بن ياسر فقد أراد واضعو قصة ابن سبأ أن يشوهوا معارضته لعثمان ويجعلوها ناتجة عن وقوعه تحت تأثير ابن سبأ . قال الطبري ان عثمان بعد أن سمع فيما أثاره ابن سبأ من التشويش في الامصار ارسل رجالا ممن يثق بهم الى الامصار فأرسل محمد بن مسلمة الى الكوفة ، واسامة بن زيد الى البصرة ، وعمار بن ياسر الى مصر ، وعبدالله بن عمر الى الشام . فرجعوا جميعا قبل عمار وقالوا : «أيها الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره اعلام المسلمين ولا عوامهم ... » واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه اغتيل فلم يفجأهم الا كتاب من والي عثمان على مصر ابن أبي سرح يخبرهم ان عمارا قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا اليه منهم عبدالله ابن

---

(٤٤) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ـ ٩ .

السوداء[٤٥] . وأراد واضعو القصة أن يورطوا عمار بن ياسر في الوقوع تحت تأثير ابن سبأ كما وقع أبو ذر وغيره من قبل . ولو رجعنا الى المصادر لوجدنا أن معارضة عمار لعثمان تعود الى بداية تولي الاخير للخلافة . خطب عمار بعد بيعة عثمان في المسجد فقال : « يامعشر قريش ، أما أن صرفتم هذا الامر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما انا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله ... »[٤٦] . وذات مرة أخذ عثمان مالا من بيت المال بالمدينة بسفط فيه حلي وجوهر فأخذ منه عثمان ماحلى به أهله فأظهر الناس الطعن عليه.. فقال لنأخذ حاجتنا من هذا الفيء وان رغمت أنوف أقوام فقال له علي اذا تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه . وقال عمار بن ياسر اشهد الله ان أنفي أول راغم من ذلك فقال عثمان أعلي ياابن المتكأ تجتريء؟ خذوه . فأخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه ... »[٤٧] . ويبدو انمعارضة عمار لعثمان كانت مستمرة وعنيفة نال من أجلها عمار الضرب وحاقت به الفتن . وقد أثارت شدة عثمان تجاه عمار غضب بني مخزوم حلفاء عمار فأنحرفوا عن عثمان من أجل ذلك[٤٨] .

ونود أن نشير هنا الى مايأتي :

أولا ـ ان رواية سيف بن عمر في الطبري التي تبناها واضعو قصة ابن سبأ اظهرت على لسان اعضاء بعثة عثمان للامصار ، خلا عمار الذى وقع بمصر في شراك ابن سبأ ، ان الامور في الامصار التي زاروها كانت جارية على مايرام وان المسلمين خواصهم وعوامهم لم ينكروا شيئا من سيرة عثمان .

---

(٤٥) الطبرى ، ٣ : ٣٧٩ .
(٤٦) المسعودى ، مروج ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
(٤٧) انساب الاشراف ، ٥ : ٤٨ .
(٤٨) المسعودى ، مروج ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

ثانيا – استثنى واضعو القصة مصر من بقية الاقطار وجعلوا الناس فيها متذمرين من سيرة عثمان لا بسبب انحراف تلك السيرة ولكن بسبب نجاح دعاوة ابن سبأ فيها بمعاونة عمار ، رسول الخليفة الى مصر ، الذي انجرف هو الآخر بأباطيل ابن سبأ اليهودي الاصل •

ثالثا – لو رجعنا الى الروايات التاريخية التي سلمت من تأثير واضعي قصة ابن سبأ لظهر لنا ان التذمر من سياسة عثمان في آخر فترة من خلافته كان شاملا للامصار الاسلامية كافة ماعدا الشام لنجاح سياسة معاوية فيها • ولعل في ذلك دليلا على بطلان قصة ابن سبأ ، وان أبا ذر وعماراً وعليا كانوا ضحايا بريئة من التهم التي ألصقها بهم ابطال قصة ابن السوداء •

واليك فيمايلي نماذج من تلك الروايات :

روى البلاذري أن الوليد بن عقبة والي الكوفة في عهد عثمان استلف من بيت المال مبلغا من المال • وعندما طلب اليه الخازن عبدالله بن مسعود أن يرجع المال ماطله وامتنع عليه • ثم كتب الوليد الى عثمان يعلمه في امعان ابن مسعود في مطالبته ، فكتب عثمان الى عبدالله بن مسعود انما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما اخذ من المال • نطرح ابن مسعود المفاتيح وقال كنت أظن اني خازن للمسلمين فأما اذ كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك ،[49] وتعقدت القضية بعد ذلك بين الخليفة وابن مسعود واستدعي ابن مسعود للمدينة وعاقبه الخليفة بالضرب حتى كسر ضلعه[50] •

ويبدو أن عثمان كان يسير على خطة مقصودة في تولية اقربائه على الامصار رغم انهم اقل كفاءة أحيانا واضعف ايمانا ، في نظر معاصريهم ، من الولاة الذين حلوا محلهم وقد وضح الخطة المذكورة الوليد بن عقبة في محاورة له مع سعد بن أبي وقاص حين حل محله في ولاية الكوفة • قال

(٤٩) انساب الاشراف ، ج ٢ ، ص ٣١ •

(٥٠) أيضا ، ج ٢ ، ص ٣٦ •

البلاذري جاء الوليد واليا على الكوفة محل سعد بن أبي وقاص « فلما دخل الكوفة قال له سعد : ما أدري أحمقت بعدك . قال ماحمقت بعدى ولا كست بعدك ، ولكن القوم ملكوا فاستأثروا » . وقال الناس عن الوليد الذي استبدل بسعد نتيجة لان القوم ملكوا فاستأثروا « بئسما ابتدلنا به عثمان عزل أبا اسحاق الهين اللين الجسر صاحب رسول الله (ص) وولى أخاه الفاسق الفاجر الاحمق الماجن ... »[51] .

وبعد أن عزل الوليد عن الكوفة وليها سعيد بن العاص الذي كان عثمان قد وهبه أموالا كثيرة . قال البلاذري « انكر الناس على عثمان اعطاء سعيد بن العاص مائة ألف درهم . فكلمه علي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف في ذلك . فقال ان له قرابة ورحما قالوا فما كان لابي بكر وعمر قرابة وذو رحم ؟ فقال : ان أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وانا احتسب في اعطاء قرابتي قالوا : فهديهما والله احب الينا من هديك .... »[52] .

ويظهر من الرواية السابقة ان معظم اعضاء مجلس الشورى اجمعوا على انتقاد سياسة عثمان المالية . وهؤلاء ، كما هو معروف ، كانوا رؤساء المسلمين في عهد عثمان . فهل لقن ابن السوداء واعوانه هؤلاء كلهم ، ودفعهم لانتقاد عثمان ؟ اعتقد ما من احد يعتقد امكان ذلك الا من وضعوا قصة ابن السوداء .

وقد أثار سعيد بن العاص مشكلات لعثمان في الكوفة ذات أهمية بالغة ، وهي جديرة بأن تؤلب أهل الكوفة على عثمان وولاته . فقال سعيد يوما « انما السواد بستان قريش » فقال مالك الاشتر « اتجعل مراكز رماحنا

---

(٥١) انساب الاشراف ، ج ٢ ، ٢٩ — ٣٠ .

(٥٢) أيضا ، ج ٥ ، ص ٢٨ .

وما افاء الله علينا بستانا لك ولقومك والله لورامه أحد لقرع قرعا ...»[٥٣]
وأثار سعيد دون أن يشعر مشكلة تتعلق بقسمة الفيء بين قريش وبقية القبائل العربية من جهة ، وتتعلق أيضا بفكرة الفيء وهل هو مال المسلمين بما فيهم من أسلم من غير العرب (الموالي) أم أنه لعثمان وولاته أولا ، ولبقية قريش ثانيا . وكتب في قضية السواد ورأى سعيد فيه الى عثمان فما كان جوابه الا أن أمر بنفي مالك الاشتر وصحبه الى الشام وعدهم عصاة خارجين على النظام . ولم يسمع الخليفة رسالة القراء فيهم حين كتبوا له :

« ان سعيدا كثر على قوم من أهل الورع والفضل والعفاف فحملك في أمرهم مالا يحل في دين ولا يحسن في سماع وانا نذكرك الله في أمة محمد ... »[٥٤] ولا نعلم ، بعد هذا ، هل ان معارضة اهل الكوفة بزعامة مالك الاشتر تتعلق بأمر حقهم في الفيء أم أنها وليدة تحريض ابن السوداء وصحبه ؟

ومن الجدير بالذكر ان واضعي قصة ابن السوداء استثنوا اهل الشام من فتنته . فصوروهم وكأنهم لم يشعروا ، كما شعر غيرهم من اهل الامصار بسوء سيرة عثمان وولاته ، أو أنهم أكثر تقوى من غيرهم ، لذا لم يثوروا على امامهم العادل عثمان وولاته الذين شوه ابن سبأ سيرتهم . والواقع ان سكوت أهل الشام عن نقد سيرة عثمان وولاته لايعود لجهلهم أو لتقواهم ولكنه يعود لجدارة واليهم معاوية الذي ساسهم بالعزم والدهاء .

ونختتم قضية البحث عن أسباب الثورة على عثمان وولاته برأي ابن سعد حول حكم عثمان . قال ابن سعد « لما ولي عثمان عاش اثنتي عشرة سنة أميرا يعمل ست سنين لاينقم الناس عليه شيئا ، وانه لاحب الى قريش من عمر لان عمر كان شديدا عليهم ، فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ، ثم

---

(٥٣) البلاذري ، انساب ، ٥ : ٤٠ .
(٥٤) أيضا ، ٥ ، ٤١ .

توانى في أمرهم واستعمل اقرباءه واهل بيته في الست الأواخر ، وكتب لمروان بخمس مصر ، واعطى اقرباءه وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، واتخذ الاموال واستلف من بيت المال ... فأنكر عليه ذلك »[٥٥] .

وأعتقد ان ماذكره ابن سعد يكفي لثورة المسلمين على عثمان ولا حاجة بهم لان ينتظروا ابن سبأ حتى يحرضهم على الثورة على خليفتهم دون حق.

ونفى وجود ابن سبأ عدد من الكتاب المحدثين كان من بينهم الدكتور علي الوردي الذى سبقت الاشارة اليه ، والدكتور طه حسين[٥٦] ، والدكتور كامل مصطفى الشيبي[٥٧] والسيد مرتضى العسكرى الذى الف كتابا في الموضوع اسماه « عبدالله بن سبأ »[٥٨] وعند الكلام عن ابن سبأ يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : « أما عبدالله بن سبأ ـ الذي يلصقونه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ـ فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه . واخف كلمة تقولها كتب الشيعة في حقه ويكتفون بها في ترجمة حاله عند ذكره في العين هكذا : « عبدالله بن سبأ العن من أن يذكر » ويتابع كاشف الغطاء قوله : « على أنه ليس من البعيد رأى القائل : ان عبدالله ابن سبأ ومجنون بني عامر وابي هلال وامثال هؤلاء الرجال والابطال كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وارباب السمر والمجون ... »[٥٩] .

الكيسانية :

وكان الكيسانية من الشيعة الغلاة . يقول سعد الاشعري ان الكيسانية قالوا « في علي قولا عظيما شنعا ... »[٦٠] وكانوا يقولون بأمامة محمد بن

---

(٥٥) الطبقات الكبرى ، ج ٣ (بيروت ، ١٩٥٧) ص ٦٤ .
(٥٦) الفتنة الكبرى ، ج ١ (القاهرة ، ١٩٤٧) .
(٥٧) الصلة بين التصوف والتشيع ، ج ١ ، (بغداد ، ١٩٦٣) .
(٥٨) عبدالله بن سبأ (القاهرة ، ١٣٨١) .
(٥٩) أصل الشيعة واصولها (بيروت لا٠ ت) ص ٨٤ .
(٦٠) المقالات والفرق ، ص ٢٣ .

علي المعروف بابن الحنفية ، وزعموا « ان علي بن ابي طالب نص على امامة ابنه محمد بن الحنفية لانه دفع اليه الراية بالبصرة »[٦١] . وقالوا بالتناسخ « ويزعمون ان الامامة جرت في علي ثم في الحسن ، ثم في الحسين ثم في ابن الحنفية ، ومعنى ذلك ان روح الله صارت في النبي ، وروح النبي صارت في علي ، وروح علي صارت في الحسن ، وروح الحسن صارت في الحسين ، وروح الحسين صارت في محمد ابن الحنفية ، وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم ... »[٦٢] ويعتقدون في ابن الحنفية « اعتقادا فوق حده ودرجته ، من : احاطته بالعلوم كلها ، واقتباسه من (السيدين) الاسرار بجملتها من علم التأويل والباطن ، وعلم الافاق والانفس »[٦٣] ويجمع الكيسانية « القول بأن الدين طاعة رجل »[٦٤] .

وقالت فرقة من الكيسانية « ان محمد بن الحنفية هو المهدي سماه أبوه علي مهديا ، ولا يجوز أن يكون مهديان : مهدى في أيام ابن الحنفية ومهدى بعد ذلك » وقالوا ان ابن الحنفية « غاب فلا يدرى اين هو وسيرجع ويملك الارض ، ولا امام بعد غيبته الى رجوعه ... »[٦٥] .

ونفيد من النصوص السابقة مايأتي :

أولا ـ ان الكيسانية خرجوا بالامامة من أولاد علي من فاطمة الى ولده محمد بن الحنفية . وبذلك مهدوا لخروج الامامة لا من ولد فاطمة

---

(٦١) الاشعرى ابو الحسن ، مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(٦٢) الاشعرى ، سعد ، المقالات والفرق ، ص ٢٦ ـ ٧ .
(٦٣) الشهرستانى الملل والنحل ، ج ١ ص ١٣١ وقصد الشهرستانى بالسيدين الحسن والحسين (ع) .
(٦٤) أيضا ، ١ : ١٣١ .
(٦٥) الاشعرى ، المقالات ، ص ٢٧ .

حسب بل من ولد علي كافة . فظهر جماعة منهم « يتسمون المعاوية[٦٦] ويزعمون ان الارواح تناسخ ، وان روح الله « صارت في محمد ، ثم في علي ، ثم في محمد بن الحنفية ، ثم في ابنه ابي هاشم ، ثم فيه [عبدالله بن معاوية] »[٦٧] . وقد توفي عبدالله بن معاوية هذا في سجن ابي مسلم في خراسان سنة ١٣٠هـ بعد فشل ثورته التي سبق أن قام بها ضد الامويين .

وبذا اخرجت « المعاوية » الامامة من ولد علي الى شخص غير علوي من ذرية جعفر بن أبي طالب وتوسعت قضية اخراج الامامة ، مع الزمن ، على يد فرق الكيسانية ولم تعد تلك الامامة مقتصرة على آل ابي طالب بل ان دائرتها توسعت فشملت بني هاشم . وذلك ان فرقة اخرى من الكيسانية يصح أن نعدها سلفا للراوندية جعلت الامامة في ولد العباس قل سعد الاشعري ان الكيسانية افترقت بعد موت ابي هاشم فقالت فرقة ان أبا هشم أوصى « الى محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ... فهو الامام وهو الله وهو العالم بكل شيء ، فمن عرفه فليصنع ماشاء ، وهؤلاء غلاة الروندية [الراوندية] ... »[٦٨ أ] .

وأرجح ان وصية أبي هاشم الى محمد بن علي العباسي موضوعه ، وان « الهاشمية » جماعة ابي هاشم واسلاف الراوندية قالوا بأمامة محمد ابن علي العباسي مباشرة ، وذلك انه بعد ان جاز اخراج الامامة من ولد علي من فاطمة الى ابن الحنفية ، ثم الى ولد جعفر بن أبي طالب اصبح

---

(٦٦) نسبة الى عبدالله بن معاوين بن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب .

(٦٧) الاشعرى ، سعد ، المقالات ، ص ٤٢ . قال الاشعرى (ص ٤٣) ان ابا مسلم قتل عبدالله هذا .

(٦٨) أ ـ المقالات والفرق ، ص ٣٩ ـ ٤٠ .

من الممكن تقليدها لبني العباس وقد استفاد العباسيون ودعاتهم[٦٨ب] من الغلو ووجهوا تذمر الغلاة ، الذين كان جلهم من الموالي في عصر الامويين لمصلحتهم فاستعملوه للتشهير ببني أمية أولا ثم في اسقاط حكمهم يوم حان الوقت •

ثانيا ـ وقد انحط مركز الامامة كثيرا على يد فرق من الكيسانية وذلك حين أباحت تلك الفرق لافراد من الناس لايمتون للعلويين ولا للهاشميين بصلة أن يتقلدوا الامامة • قل سعد الاشعري ان حمزة بن عمارة البربرى الذى كان ينتمي الى أصحاب ابن حرب من الكيسانية ثم فارقهم ، « ادعى أنه نبي وان محمد بن الحنفية هو الله ••• »[٦٩] وقال الاشعري أيضا ان فرقة من الكيسانية خرجت « الى القول بأمامة بيان بن سمعان النهدي ، وادعى بيان ان أبا هاشم اوصى اليه فاستجابت له طائفة ممن قال بامامة ابن الحنفية »[٧٠] ثم ان طائفة « ادعت ان امامة عبدالله بن عمرو ابن الحرب الكندي الشامي بعد أبي هاشم ، وانه أوصى اليه ، وان روح ابي هاشم انتسخت فيه ••• »[٧١] وهكذا اصبحت الامامة بفعل فرق من الكيسانية الغلاة تنتقل من أصحابها الشرعيين ، وهم حسب عقيدة الامامية ، الائمة الاثنا عشر المعصومون ، الى ابناء علي من غير فاطمة ثم الى أحد ولد جعفر بن أبي طالب ، ثم الى العباسيين واخيرا الى رجل بربري وآخر نهدى وثالث كندى •

وقد التفت الشيخ المفيد احد فقهاء الشيعة الامامية الى خطر ذلك

---

(٦٨) ب ـ روى الشهرستاني (الملل ، ١:١٣٧) ان ابا مسلم صاحب الدولة كان كيسانيا وانه « اقتبس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها » •

(٦٩) الفرق والمقالات ، ص٢٨ـ٣٢ •

(٧٠) أيضا ، ص ٣٥ •

(٧١) أيضا ، ص ٣٥ •

الاتجاه فتقدم بأدلة نقلية واخرى عقلية[٧٢] ، اتينا على ذكرها في الفصل الاول من هذا الكتاب ، على ابطال امامة محمد بن الحنفية واثبات امامة معاصره علي بن الحسين المعروف بزين العابدين •

واعتقد ان من بين الاسباب التي أدت الى انحطاط مركز الامامة ، وسهل للغلاة أن يلصقوا افكارهم الغالية الغريبة عن الاسلام فيها ، هو الاتجاه الذي تبناه بعد مقتل الحسين (ع) الائمة المعصومون حين أجلوا الخروج بالسيف على ظلم معاصريهم من الحكام انتظارا لخروج المهدي القائم • قال الشيخ الطوسي :(ت٤٦٠هـ) «كان المعلوم من حال ابائه [المهدي صاحب الزمان] لسلاطين الوقت وغيرهم انهم لايرون الخروج عليهم • ولا يعتقدون انهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول ، بل كان المعلوم من حالهم انهم ينتظرون مهديا لهم ، وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد امامتهم اذا امنوهم على مملكتهم ولم يخافوا جانبهم •••»[٧٣] وقد رأى جماعات من المعارضين وبخاصة الموالي ، الذين كانت اكثريتهم غلاة ،والذين آلمهم التميز العنصري واثقلت الضرائب كاهلهم ، ان العدل الذى يعم الارض بعد خروج المهدى الغائب بعيد المنال ، وان فيهم حاجة ملحة الى قيادة حاضرة تقودهم نحو النصر على حكامهم الظالمين • ولما عجز هؤلاء عن وجود تلك القيادة في المرشحين الشرعيين للامامة ، انصرفوا عنهم للاخرين من ذوي الطموح السياسي ، وربما من ذوى الرغبة في الاصلاح الاجتماعي أمثال المختار وزيد بن علي وعبدالله بن معاوية واخيرا بني العباس •

ثالثا ـ كان الكيسانية أول من رسخوا فكرة المهدي الغائب وطرحوها في حيز العمل • نسب الكيسانية القول بفكرة مهدية محمد بن الحنفية الى أبيه علي (ع) كما يظهر من نص سابق أوردناه في صدر هذا البحث •

---

(٧٢) المفيد ، الارشاد ، ص ٢٣٧ ـ ٨ •
(٧٣) الغيبة (النجف ، ١٣٨٥) ص٢٠٠ •

ويبدو ان فكرة مهدية ابن الحنفية كانت شائعة في عصره . قال ابن سعد « فلما اتسق الامر للمختار كتب لمحمد بن علي المهدي من المختار ..»[٧٤] وفي محادثة مع ابراهيم بن الاشتر قال المختار لابراهيم « وقد كتب اليك المهدي ... »[٧٥] وذات مرة جاء رجل الى ابن الحنفية وقال « السلام عليك يامهدى ...» وجرى حديث بين محمد والرجل عن أمر آل محمد فقال الرجل « كانت تبلغنا عنك أحاديث من وراء وراء فأحببت أن أشافهك للكلام ... »[٧٦] .

ويظهر ان ابن الحنفية لم يقر الغلو الذي قيل فيه ، ولم يعترف بأنه المهدى المنتظر ، روى ابن سعد حديثا رفعه الى ابي العريان المجاشعي قال : « بعثنا المختار في ألفي فارس الى محمد بن الحنفية ... قال فبلغ محمدا انهم يقولون ان عندهم شيئا أي من العلم . قال فقام فينا وقال انا والله ماورثنا من رسول الله الا مابين هذين اللوحين ثم قال اللهم حلا وهذه الصحيفة في ذوابة سيفي قال فسألت وما كان في الصحيفة قال من أحدث حدثا أو آوى محدثا ... »[٧٧] وقال محمد للرجل الذي قابله وسأله عن اشياء سرية نميت الى الرجل عن محمد : « أما بعد فاياكم وهذه الاحاديث فأنها عيب عليكم ، وعليكم بكتاب الله ... فأنه به هدى اولكم وبه يهدي آخركم ... »[٧٨] .

ويظهر ان المختار هو الذي روج فكرة مهدية محمد لاسباب سياسية أى أنه أراد أن يحكم بأسمه دون اشراكه بالسلطة الفعلية . وعندما هم

---

(٧٤) الطبقات ، ج ٥ ، ص ٧٣ .
(٧٥) ايضا ، ج ٥ ، ص ٧٢ .
(٧٦) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٥ ، ص ٧٠ .
(٧٧) أيضا ، ج ٥ ، ص ٧٧ .
(٧٨) أيضا ، ج٥ ، ص ٧٠ .

« ابن الحنفية أن يقدم الى الكوفة وبلغ ذلك المختار فثقل عليه قدومه فقال « ان في المهدي علامة ، يقدم بلدكم هذا فيضربه رجل في السوق بالسيف لاتضره ... فبلغ ذلك ابن الحنفية فأقام ... »[٧٩] .

المغيرية :

اطلق اسم « المغيرية» على هؤلاء نسبة الى المغيرة بن سعيد البجلي المقتول سنة ١١٩هـ . وادعى المغيرة ، رغم تبرؤ[٨٠] الامام من ذلك ، ان الامام الباقر « أوصى اليه فهو الامام الى أن يخرج المهدي »[٨١] والمهدى عند أصحاب المغيرة هو « محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن » المقتول في عهد المنصور العباسي . وبذا يكون المغيرة قد جعل نفسه في أول الامر اماما ولكن بصورة مؤقتة . والمغيرة بادعائه الامامة وممارسة وظيفتها معا خطا خطوة جريئة . في حين ان من سبقه من الغلاة ، أمثال المختار الثقفي كانوا يدعون بأنهم يحكمون نيابة عن الامام دون أن يصرحوا بأنهم أئمة . ولعل ذلك يؤيد ماقلناه سابقا وهو ان الادعاء بنيابة الامام كان خطوة ممهدة للادعاء بالامامة بصورة فعلية . ومما يؤيد ذلك أيضا هو ان الخطوات التالية التي اتخذها المغيرية آلت الى اخراج الامامة ممن ينتمون الى عنصر النبوة والامامة وحصرها في ابن سعيد ثم في ابنه من بعده . اذ نجد جماعة من المغيرية بعد وفاة الباقر يصرفون دعوتهم الى « محمد بن عبدالله بن حسن.. فلما قتل صاروا لا امام لهم ولا وصي ولا يثبتون لاحد امامة بعده »[٨٢] وبذا سد المغيرية جميع الابواب التي توصل العلويين للامامة بعد محمد بن عبدالله وعندئذ انتقلوا الى الخطوة الاخيرة وهي اثبات امامة ابن المغيرة من بعد ابيه.

---

(٧٩) أيضا ، ج ٥ ، ص ٧٤ .
(٨٠) الكشي ، الرجال ، ص ١٩٥ .
(٨١) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٥٤ .
(٨٢) أيضا ، ص ٥٢ .

فقالت جماعة منهم « ان الامام عبدالله بن المغيرة بن سعيد بعد ابيه »[٨٣] .

ويبدو ان المغيرة بن سعيد ، شأنه في ذلك شأن جماعة من أمثاله من الغلاة ، عمل على اخراج الامامة من اطارها البشري برفع الائمة الى مصاف الالهة ليستطيع اشغال منصب الامام في الحياة الدنيا ويستغله لمصلحته قال سعد الاشعري « وكان المغيرة بن سعيد وبيان بن سمعان وبزيع[٨٤] وصائد[٨٥] قد نصبوا أنفسهم انبياء وآل محمد (ص) أربابا خالقين ... »[٨٦] ومن المعلوم ان الارباب الخالقين لايحكمون مباشرة في هذه الارض ، بل ان انبياءهم يطبقون احكامهم على العباد عن طريق تنفيذ شرائعهم . ولم يكتف المغيرة بأن يكون نبيا لواحد من آل محمد (ص) فادعى انه نبي لرب العالمين . قال النوبختي « ثم تراقى الامر بالمغيرة الى أن زعم أنه رسول نبي وان جبرائيل (ص) يأتيه بالوحي من عندالله»[٨٧]

وكان المغيرة يقول « بالتناسخ »[٨٨] ، ويعني ذلك ان روح الامام الباقر انتقلت من جسده وحلت في جسد المغيرة ، وان روح المغيرة انتقلت الى جسد ابنه عبدالله ، فهما والحالة هذه امامان تجب طاعتهما . وناقش الدكتور الشيبي رأي فريد لندر الذي يصور مذهب المغيرة بأنه عبارة عن مزيج من الديانات الشرقية القديمة ، وانه متأثر بالغنوصية وخاصة الماندية والمانوية . ويخلص الشيبي الى القول بأن ذلك سواء صح أم لم يصح « فأن المغيرة ومعاصره وزميله في الغلو والمصير بيانا قد ربطا عقيدتهما ربطا

---

(٨٣) الاشعرى ، سعد ، المقالات ، ص ص ٤٤ .

(٨٤) زعيم فرقة من الغلاة تسمى « البزيعية » الاشعرى ، ص٥٤ . يضبطه النوبختي (فرق ، ص ٣٨) بالغين .

(٨٥) زعيم فرقة من الغلاة ، النوبختى ، فرق الشيعة ، ص ٢٥ .

(٨٦) الاشعرى ، المقالات ، ص ٥٥ .

(٨٧) فرق الشيعة ، ص ٥٥ .

(٨٨) أيضا ، ص ٥٥ .

(٨٩) الصلة بين التصوف والتشيع ، ج١ ، ص١٣٣-٤ .

محكما بما تأولاه من القران سند لدعوتهما فبدتا وكأنهما فكرتان ذات اصالة وطـــابع » •

الخطـــابية :

هم أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الاجدع الاسدى المقتول سنة ١٣٨ هـ وظهر أبو الخطاب في الكوفة وقال بالغلو • وكان « يدعي ان أبا عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام جعله قيمه ووصيه من بعده وعلمه اسم الله الاعظم ، ثم تراقى الى أن ادعى النبوة ، ثم ادعى الرســـالة ، ثم ادعى أنه من الملائكة ، وانه رسول الله الى أهل الارض والحجـــة عليهم »[٩٠] •

وكان أبو الخطاب من تلامذة الصادق وقد التقى به عـــدة مرات • روى الكشي ان الصادق قال « كان أبو الخطاب احمق فكنت احدثه فكان لايحفظ وكان يزيد من عنده »[٩١] • وروى معاوية بن حكيم في خبـــر يرفعه الى جده انه قال انه اجتمع مع أبي الخطاب في مجلس الصادق وان أبا الخطاب أظهر خشونة في تصرفه تجاه الامام[٩٢] وروى عنبسه بن مصعب ان الصادق قال له « أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟ قال : سمعته يقول انك وضعت يدك على صدره وقلت له : عه ولا تنسى وانك تعلم الغيب ، وانك قلت له : هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على احيائنا وامواتنـــا • قال : لا والله ما مس شيء من جسدي جسده الا يده • وأما قوله اني قلت « اعلم الغيب » فوالله الذى لا اله الا هو ما اعلم الغيب ••• واما قوله اني قلت هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على احيائنا وامواتنا ، فلا آجـــرنى الله في أمواتي ، ولا بارك في احيائي ان كنت قلت له شيئا من هذا قط»[٩٣] •

---

(٩٠) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٣٨ •
(٩١) الرجال ، ص٢٥١ •
(٩٢) أيضا ، ص ٢٥٠ •
(٩٣) أيضا ، ص ٢٤٨ •

ونفيد من النصوص السابقة انه بالرغم من تلمذة ابي الخطاب للامام الصادق ، وانهما التقيا في مناسبات عدة ، فان الامام نفى بصورة قاطعة ما نسبه اليه أبو الخطاب من أقوال . ويبدو ان ابا الخطاب كان من الغلاة الطموحين وانه ، شأنه في ذلك شأن من سبقه من الغلاة ، اراد أن يتخذ من صلته بالامام الصادق جسرا للوصول الى أهدافه ، ومباشرة العمل باسم الامام . وذات مرة قال احدهم « لما لبى القوم الذين لبوا[٩٤] فيالكوفة دخلت على أبي عبدالله (ع)[٩٥] فأخبرته بذلك فخر ساجدا ودق جؤجؤه بالارض وبكى ... واقبل يلوذ باصبعه ويقول : بل عبدالله قن داخر ، مرارا كثيرة ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته ، فندمت على اخباري اياه فقلت جعلت فداك وما عليك انت من ذا . فقال : يامصادف ان عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقا على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره . ولو سكت عما قال في ابو الخطاب لكان حقا على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري »[٩٦] .

أما الآراء التي تبناها أبو الخطاب فكانت مناقضة للشريعة الاسلامية. فأحل أبو الخطاب لاصحابه المحارم من الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وامرهم بترك الزكاة والصلاة والصيام والحج ، واباح لهم الشهوات . وتأولوا على ما استحلوا قول الله : يريد الله أن يخفف عنكم[٩٧] « وقالوا خفف عنابأبي الخطاب ووضع عنا الاغلال والآصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج ، فمن عرف الرسول النبي الامام فليصنع ما أحب »[٩٨] .

---

(٩٤) عند ما قال الغلاة اصحاب ابي الخطاب « لبيك جعفر لبيك » النوبختي ، فرق ، ص ٣٩ .

(٩٥) يقصد الامام الصادق .

(٩٦) الكشي ، الرجال . ص٢٥٣ .

(٩٧) القرآن ٤:٢٨ .

(٩٨) النوبختي ، فرق الشيعة ، ص ٣٨ .

ويبدو من النص السابق ان الخطابية توصلوا الى ماتوصلت اليه الكيسانية من قبل وهو أن الدين طاعة رجل ، وان من عرف الرسول النبي الامام فليصنع ما أحب على حد قولهم . ولعل في ذلك مايقوم دليلا على أن كثيرا من آراء الغلاة السابقين تجمعت في عقيدة ابي الخطاب ، وانه كان لا وارثا لتلك الآراء حسب بل كان منظما ومفلسفا لها . وقد التفت الدكتور الشيبي الى ذلك فقال كان لابي الخطاب دور خطير في تطوير الغلو واسناده بالنصوص والاحاديث[٩٩] .

واستعان الخطابية في دعم آرائهم بالتأويل وهو باب واسع يستطيع أن يلجه بسهولة كل من أراد ادخال آراء غريبة في الاسلام . قال سعد الاشعري تأول الخطابية قول الله : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيبها)[١٠٠] لكي لاتعطب أهلها ، ان السفينة ابو الخطاب وان المساكين أصحابه ، وان الملك الذي وراءهم عيسى بن موسى العباسي ، وهو الذى قتل أبا الخطاب وان أبا عبدالله (يقصد الامام الصادق) أراد أن يعيبنا بلعنه ايانا في الظاهر وفي الباطن عنى أضدادنا ومن خالفنا . وتأولوا في ذكره أبا الخطاب أنه عنى قتادة بن دعامة البصري فقيه اهل البصرة ، وكان قتادة يأتي أبا جعفر [الامام الباقر] وابا عبدالله ، وكان يكنى بأبى الخطاب . فتأول ابو الخطاب وأصحابه أنه الذي لعنه أبو عبدالله ، وان أبا عبدالله يلبس على أصحابه ليزيدهم ضلالا وتيها .

فأخبر أبو عبدالله بذلك فقال « والله ماعنيت الا محمد بن مقلاص ابن أبي زينب الاجدع البراد عبد بني أسد فلعنه الله ولعن أصحابه ولعن الشاكين فيه ، ولعن من قال اني أضمر وابطن غيرهم[١٠١] ... » .

---

(٩٩) الصلة بين التصوف والتشيع ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
(١٠٠) القرآن ١٨ : ٨٠ .
(١٠١) المقالات ، ص ٥٥ .

وهكذا نجد الخطابية يحلون كثيرا من مشكلاتهم العقائدية وغير العقائدية بتأويلهم الغريب للاية المذكورة .

ونختم بحثنا عن حركات الغلو العنيفة بحركة ابي الخطاب وهو معاصر للامام الصادق ، كما أسلفنا . وهذا لايعني ان حركة ابي الخطاب كانت نهاية للغلو ، كما لايعني ان حركات الغلو انتهت بمقتل مؤسسيها أو موتهم فالمغيرة بن سعيد ، مثلا ، قتل سنة ١١٩ هـ ولكن حركته لم تمت بموته، بل بقيت جماعةمن أتباعهتقول بارائه الىمطلع القرنالرابع الهجري. قال سعد الاشعري كان المغيرة بن سعيد « يدعي بأنه يحيي الموتى ، ويقول بالتناسخ وكذلك قول اصحابه الى اليوم »[١٠٢] .

ولما كانت وفاة الاشعري سنة ٣٠١هـ يعني ذلك ان طائفة من المغيرية كانت موجودة في حدود ذلك التاريخ .

كما اننا لم نستقص حركات الغلو لانها كانت متشابهة في خطوطها العامة الى درجة لايستهان بها ، سواء كان ذلك من حيث الاهداف التي استهدفها مؤسسو تلك الحركات ، أو من حيث كون تلك الحركات جميعا كانت متشحة بلباس ديني في الظاهر ، بينما تخفي في باطنها الدعوة الى تهديم الاسلام والتشكيك بأهداف قادته من أئمة وعلماء وخلفاء أحيانا . ويبدو ان هؤلاء الغلاة استهدفوا تشويه مبادىء الاسلام من الداخل بعد أن اعياهم دحره بالسيف .

وقد سهلت سيرة حكام المسلمين المعاصرين لحركات الغلو وغير المعاصرين لها ، مهمة اولئك الغلاة واكسبتهم عطف عناصر مهمة من المستضعفين في الارض وذلك ان اولئك الحكام أيدوا حركة التميز العنصري والمحلي، وأثقلوا طبقات كبيرة من رعاياهم ، والموالي منهم بخاصة ، بالضرائب في عهد بني أمية ، كما أحل اولئك الحكام الطبقية محل التميز العنصري، واستمروا

---

(١٠٢) المقالات ، ص ٧٧ .

على فرض الضرائب الثقيلة في صدر الدولة العباسية . واذا علمنا ان مبادىء الاسلام ، كما وردت في القرآن والسنة لاتقر استغلال المسلم لاخيه المسلم ، ولا تبيح استعباد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا ، ندرك الاسباب التي دعت جماعات كبيرة من المستضعفين في الارض لان يرفعوا عقيرتهم بالشكوى والتذمر .

وكانت النتيجة أن أصبح عدد كبير من اولئك المستضعفين أنصارا للمنادين بمقاومة الاستغلال عند ظهوره بشكل بشع خلال خلافة عثمان ، كما أصبحوا من انصار المختار ، وزيد بن علي ، وعبدالله بن معاوية . والمغيرة بن سعيد ، وبيان النهدي ، وابي الخطاب وغيرهم من الاسماء التي أتينا على ذكرها أثناء البحث .

وهكذا كان للتذمر الاجتماعي نصيب كبير في نجاح طائفة من ذوي الطموح السياسي أو من ذوى الاخلاص لدياناتهم القديمة التى كانوا يدينون بها قبل الاسلام ، وفي تمكين هؤلاء أيضا من قيادة حركات الغلو وتوجيهها نحو الاهداف التي رسم خطوطها العامة اولئك القادة ومستشاروهم .

أما لماذا اتخذت اكثرية فرق الغلاة آل البيت رمزا لثورتهم ، فنرى ان ذلك يعود الى ان آل البيت كانوا من عنصر النبوة والامامة ، أولا ، وانهم لايؤيدون استغلال المسلم لاخيه المسلم كما كان الحكام المسلمون المعاصرون لهم يفعلون ، ثانيا ، وان بني الحسين وبخاصة ماعرف منهم فيما بعد بالائمة المعصومين ، اعتزلوا السياسة بعد مقتل الحسين وانصرفوا للارشاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا بحيث أصبح استغلال اسمائهم ميسورا للطامعين والطامحين من قادة الغلاة ، ثالثا .

موقف الشيعة الامامية واسلافهم من الغلو والغلاة :

اتخذ من عاصر الغلو من أئمة الشيعة ، الذين عرفوا فيما بعد بالائمة المعصومين الاثني عشر ، موقفا صريحا وصلبا في الوقت نفسه تجاه الغلاة .

فتبرأوا منهم ونفوا وجود أية صلة لهم بأولئك الغلاة . واتخذت مقاومة الشيعة المعتدلين وائمتهم للغلاة اشكالا متعددة ، واتبع منظمو تلك المقاومة وسائل متنوعة ، استهدفت جميعها تفنيت دعوة اولئك الغلاة . ومن أشهر تلك الوسائل :

أولا ـ التأكيد على مناقضة الغلو للاسلام . روي ان الامام علي قال : « بني الكفر على أربع دعايم الفسق والغلو والشك والشبهة»[١٠٣] وقال الامام الصادق : « ادنى مايخرج به الرجل من الايمان أن يجلس الى غال فيستمع الى حديثه ، ويصدقه على قوله . ان أبي حدثني عن أبيه عن جده (ع) ان رسول الله (ص) قال : صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الاسلام الغلاة والقدرية »[١٠٤] أما النوبختي ، وهو من الشيعة الامامية ، فيقول عند بحثه عن الغلاة : « فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع والى الخرميدنية ، والمزدكية ، والزنديقية والدهرية مرجعهم جميعا لعنهم الله . وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الجليل الخالق ... واثباتها في بدن مخلوق »[١٠٥] . وبعد أن استعرض سعد الاشعري ، وهو من الامامية أيضا ، أقوال الغلاة ، قال « تعالى الله عما يقولون لعنهم الله »[١٠٦] وقال الاشعري في موضع آخر « وفرقة من الغلاة لعنهم الله أظهروا دعوة التشيع واستبطنوا المجوسية »[١٠٧] .

روى الكشي ان الصادق قال لاحد أصحابه « قل للغالية توبوا الى الله فأنكم فساق كفار مشركون »[١٠٨] .

---

(١٠٣) الكليني ، الكافي ، ص ٣٦٩ .

(١٠٤) القمي ، محمد بن علي ، الخصال (طهران ، ١٣٢٠) ص٣٧ .

(١٠٥) فرق الشيعة ، ص ٤١ .

(١٠٦) المقالات ، ص ٥٩ .

(١٠٧) أيضا ، ص ٦١ .

(١٠٨) الرجال ، ص ٢٥٤ .

ثانيا ـ نفي الائمة لوجود صلة عقيدية بينهم وبين قادة الغلاة ، والتصريح بأن اولئك القادة كانوا يكذبون عليهم : تبرأ الائمة في مناسبات عدة من الغلاة ونفوا وجود أية صلة عقيدية بينهم وبين قادة اولئك الغلاة . روى الكشي ان ا لامام الرضا (ع) قال « كان بنان[109] يكذب على علي بن الحسين (ع) فاذاقه الله حر الحديد وكان مغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر (ع)[110] فأذاقه الله حر الحديد . وكان محمد بن بشير[111] يكذب على أبي الحسن موسى فأذاقه الله حر الحديد . وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبدالله (ع) فأذاقه الله حر الحديد »[112] .

ونفى الامام الصادق وجود صلة لابيه الباقر بالمغيرة بن سعيد ، كما نفى صلته هو بأبي الخطاب . وذات مرة قال الصادق لاصحابه « لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق ، ان المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الايمان ، وان قوما كذبوا عليّ ما لهم أذاقهم الله حر الحديد ... ابرأ الى الله مما قال فيّ الاجدع البراد عبد بني أسد ابو الخطاب لعنه الله ، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ألا تقبلوه ... أشهدكم اني امرؤ ولدني رسول الله (ص) وما معي براءة من الله ، ان أطعته رحمني ، وان عصيته عذبني ... »[113] .

وذات مرة قال الصادق لبشار الشعيري (ت . ح : ١٨٠هـ) « اخرج عني لعنك الله » وبعد خروجه قال الامام « ويله الا قال بما قالت اليهود ،

---

(١٠٩) الصحيح بيان بن سمعان النهدي المقتول سنة ١١٩هـ .

(١١٠) هو الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين المتوفى سنة ١١٤/١١٩هـ .

(١١١) زعيم فرقة من الغلاة تسمى (البشيرية) ترجم له الكشي (الرجال ، ص ٤٠٥ وما بعدها) .

(١١٢) الرجال ، ص ٢٥٦ .

(١١٣) أيضا ، ص ١٩٦ ـ ٧ .

الاقال بما قالت النصارى، الاقال بما قالت المجوس...والله ماصغر الله تصغير هذا الفاجر أحد ... » ثم وصف الشعيري بأنه « شيطان ابن شيطان » وانه خرج ليغوى الشيعة ، وأخيرا حذر شيعته من الشعيرى بقوله « اني عبدالله ابن عبدالله فوالله ضمتني الاصلاب والارحام ، واني لميت واني لمبعوث »(١١٤) .

ويظهر من الحديث المذكور ان القول بالغلو كان اعظم بلية ، في نظر الامام من اعتناق اليهودية أو المسيحية أو المجوسية ، كما يظهر منه ان الامام أكد على عبوديته لربه لينفي ما لصقه به الغلاة ، والشعيري من بينهم ، من صفات الهية .

ثالثا ـ محاولة الائمة لقطع طريق الدس على الغلاة ومنعهم من انتحال الحديث. عمل زعماء الغلاة على انتحال الاحاديث ودسها في أقوال الائمة. وكان هدفهم من العملية المذكورة مزدوجا. فانتحال الاحاديث ذات الاهداف المعينة ، يساعد على كسب الانصار والمؤيدين من جهة ، ويسهم في تهديم شريعة الاسلام من جهة اخرى . وكلا الهدفين كانا من صميم حركة الغلو .

ويبدو أن الائمة قد تنبهوا لعملية الانتحال فحاولوا قتلها في مهدها ولكنهم لم يحققوا جميع آمالهم في هذا المجال(١١٥) . روى ان الامام الصادق

---

(١١٤) أيضا ، ص ٣٤٢ .

(١١٥) راجع ما اوردناه عن كتب الحديث عند الامامية في كتابنا الموسوم بـ «الاجازات العلمية عند المسلمين المطبوع ببغداد سنة ١٩٦٧م» . ولعل في ما اوردناه هنا عن تسرب أحاديث الغلاة لبعض كتب الحديث عند الشيعة، يبرر دعوتنا لتهذيب ذلك الصنف من مجموعات الحديث الشيعية. تلك الدعوة التي انتقدها ، دون حق ، فضيلة الاستاذ الغريفي في كتابه الموسوم بـ « قواعد الحديث » المطبوع في النجف سنة ١٩٦٩م . وكانت الدعوة المذكورة في جوهرها ، منصبة بالدرجة الاولى ، على تنقيح ذلك النوع من المجموعات مما يحتمل تسربه اليها من احاديث الغلاة . أما الذى تصوره الغريفي من توثيقنا لرواة صحيحي مسلم والبخاري فهو أمر لم نتطرق اليه ولا نقره .

قال : « لاتقبلوا علينا حديثا الا ماوافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدمة ، فأن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي ، فأتقوا الله ولا تقبلوا علينا ماخالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا محمد (ص) ••• »[١١٦] •

وقد وردت اشارة يبدو منها أن الغلاة كانوا ينتحلون الاحاديث عن الائمة ويضعونها على السنة رواة من ثقات الشيعة المعتدلين ليضمنوا رواجها بين الناس بعامة وجماعات الغلاة بخاصة • قال سعد الاشعري ان الحربية من الغلاة قالوا « بالغلو والتناسخ والاظلة[١١٧] والدور[١١٨] ، وادعوا ان هذه المقالات كان يرويها جابر بن عبدالله الانصاري ، وجابر بن يزيد الجعفي[١١٩] ، وان مذهبهما هذا ، وابطلوا جميع الفرائض والشرائع والسنن »[١٢٠] •

ويلجأ الغلاة أحيانا الى دس أحاديثهم المنتحلة في كتب الشيعة ،ويبدو ان الائمة التفتوا الى ذلك فحذروا منه • روى الكشي ان هشام بن الحكم سمع الصادق يقول : « كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه ، وكان اصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها الى المغيرة فكان يدس فيها الكفر والزندقة ويسندها الى أبي ثم يدفعها الى أصحابه فيأمرهم أن يثبتوها في الشيعة ، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم »[١٢١] •

---

(١١٦) الكشي الرجال ، ص١٩٥ •
(١١٧) الاظلة تعني عالم المجردات (الاشعري ، المقالات ، ص١٨٢) •
(١١٨) انظر الاشعري ، ص١٨٣ • تجد تفصيلات عن معنى الدور•
(١١٩) قال النوبختي (فرق ، ص٣١) ان جابرا الانصاري وجابرا الجعفي كانا بريئين مما نسبه اليهما المغيرية •
(١٢٠) الاشعري ، المقالات ، ص٤٣ •
(١٢١) الرجال ، ص١٩٦ •

ويبدو ان عملية انتحال الأحاديث من قبل الغلاة ودسها في كتب الشيعة المعتدلين لم تنته بمقتل المغيرة سنة ١١٩ هـ بل نجد اشارة للعملية نفسها تعود الى مطلع القرن الثالث الهجري • ولعل في ذلك ما يدل على عمق غور حركة الغلو من جهة ، واستمرارها من جهة اخرى • قال الكشي ان يونس بن عبدالرحمن قال : «.وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب ابي جعفر (ع) ••• فسمعت منهم واخذت كتبهم فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا (ت/٢٠٣ هـ) فأنكر منها أحاديث كثيرة ان يكون من احاديث ابي عبدالله (ع) وقال لي : ان أبا الخطاب كذب على أبي عبدالله (ع) لعن الله أبا الخطاب ، وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الاحاديث الى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبدالله (ع) فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فانا ان تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة •••»[١٢١] •

ونختم البحث عن الغلو والغلاة بآراء وملاحظات ندرجها فيما يلي :ـ

أولا ـ احتل علي وآل بيته مركزا مرموقا بين الغالبية العظمى من المسلمين ، فلا عجب أن نجد الغلو في بداية ظهوره يتركز في الغالب حول أشخاصهم ويظهر في بيئة شيعية هي الكوفة ونواحيها • وكلما أمعن خصوم علي من المسلمين في تشويه منزلته وافتعال الاحاديث والاخبار في الحط من قدره ، كلما زادوه رفعة وجعلوا طوائف من المسلمين يفتتنون بهويخرجونه وآل بيته من مصاف البشر الى منزلة الربوبية دون علم منه أو رضاه • روى المفيد ان الشعبي كان يقول « لقد كنت اسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) على منابرهم وكأنما يشال بضبعه الى السماء ، وكنت اسمعهم يمدحون اسلافهم على منابرهم وكأنهم يكشفون عن جيفه » • وقال الوليد بن عبدالملك لبنيه يوما يابني عليكم بالدين فأني لم أر الدين بنى شيئا فهدمته الدنيا ، ورأيت الدنيا قد بنت بنيانا فهدمه الدين • مازلت اسمع اصحابنا واهلنا يسبون علي بن أبي طالب(ع) ويدفنون

(١٢٢) الرجال ، ص١٩٥ ـ ٦

فضائله ويحملون الناس على شنأنه فلا يزيده ذلك من القلـوب الا قربا ، ويجتهدون في تقريبهم من نفوس الخلق فلا يزيدهم ذلك من القلوب الا بعـدا »[١٢٣] •

وهكذا نجد عوامل عدة تتظافر لتجعل من علي وآل بيته موضعا للغلو الذي افتتن فيه الكثيرون من الناس • وقد أثارت هذه الظاهرة قلق الائمة وقلق المعتدلين من شيعتهم فأخذوا يعملون بجد لايقاف تيار الغلو ، ولكـن وسائلهم التي ذكرناها في أعلاه ، كانت غير كافية لان التبرؤ من الغـلاة ، واظهار كذبهم لم يزدهم الا تماديا في الغي في أغلب الاحيان •

ويبدو ان علماء الامامية بعد أن تسلموا زمام المذهب بعد الغيبة التفتوا الى الناحية المذكورة فعملوا على مقاومة عدد من أفكار الغلاة ، أمثال الدعوة الى اتخاذ الائمة أربابا من دون الله ، والقول بالتناسخ والحلول ، وتلقـي الائمة للوحي ، ولكنهم من ناحية ثانية هذبوا ونسقوا الصـفات التي خص الله بها ائمتهم ، كما يعتقدون ، ومنها العصمة والالهام والعلم ، وغير ذلك من اختصاصات الائمة • فقالوا ان الامام لابد أن يكون معصوما من الذنوب لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما دخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج أن يقام عليه الحد كما يقيمه هو على غيره فيحتاج الامام حينئذ الى امام الى غير نهاية •

والامام لا يوحى اليه « لان الوحي من جميع جهاته وفنونه منقطع بعد النبي (ص) بأجماع الامة »[١٢٤] ولكن العقيدة تقول ان الله يعلّم الامـام بوسائل منها « الالهام والنكت في القلب والنقر في الاذن والرؤيا في النوم ، والملك المحدث له، ووجوه رفع المنار له، والعمود والمصباح وعرض الاعمال عليه ، لان ذلك كله قد صح بالاخبار الصحيحة القوية الاسانيد انهـا من علامات علوم الامام وجهاتها فلا يجوز دفعها ••• »[١٢٥] •

---

(١٢٣) الارشاد ، ص١٤٦ •
(١٢٤) الاشعري ، المقالات ، ص٩٧ •
(١٢٥) أيضا ، ص٩٧ •

ثالثا ـ ان طائفة من المفاهيم والافكار الشيعية ذات العلاقة بالبـدأ والرجعة تعرضت للتهذيب والتشذيب وخلصت من كثير من الافكار الغريبة التى ادخلها الغلاة ، واسندت بالقرآن والسنة ومباحث علـم الكلام بحيث اصبحت تلك المفاهيم تختلف فى المحتوى والهدف عن تلك التى قال بهـا الغـلاة •

ولعل فكرة انتقال أرواح الانبياء والحجج في الاصلاب ادخلت لتحل محل فكرتي التناسخ والحلول اللتين ادخلهما الغلاة • روى الكشي ان محمد بن فرات سأل الباقر (ع) « عن قوله عزوجل (وتقلبك في الساجدين) قال في أصلاب النبيين • وفي رواية الحسن بن احمد قال : من صلب نبـي الى صلب نبي »[١٢٦] •

وقد وردت أقوال نسبت للامام علي أو لغيره من الائمة منها ماروى عن الباقر انه قال « قال أمير المؤمنين (ع) أنا وجه الله ، وانا جنب الله ، وانا الاول ، وانا الآخر ، وانا الظاهر ، وأنا الباطن وانا وارث الارض ، وانـا سبيل الله ، وبه عزمت عليه • فقال معروف بن خربوذ ولها تفسير غير مـا يذهب فيها أهل الغلو »[١٢٧] •

واعتقد ان القول المذكور وامثاله من صنع اهل الغلو ولكن التفاسـير التي أشار اليها ابن خربوذ هي من صنع علماء الشيعة المعتدلين •

---

(١٢٦) الرجال ، ص١٩٤ •
(١٢٧) الكشي ، الرجال ، ص ١٨٤ •

الفصل الرابع

العقائد الاساسية للشيعة الامامية

سأتاول في هذا الفصل العقائد الاساسية للامامية أمثال الامامة ، والعصمة، والغيبة، ثم الحق ذلك ببحث مختصر للقضايا الفرعية ، من تقية، ورجعة ، وغير ذلك مما له صلة بعقائد الفرقة المذكورة • وسيكون اهتمامي منصبا بالدرجة الاولى على الجوانب العقيدية ذات الصلة بتاريخ الفرقة ، وبما يميزها عن غيرها من الفرق • أما مايتصل من عقائد الامامية بالالهيات والعبادات فمكانه غير هذا الكتاب •

الامامة :

الاعتقاد بالامامة أمر واجب بالنسبة لكل شيعي امامي• وقد شذ بعضهم عن اجماع الغالبية العظمى من علماء الامامية[1] أ • فرأى « ان دفع الامامة كدفع النبوة لا فرق بينهما لان الجهل بالامامة كالجهل بالنبوة »[1] ب • ويسوق الامامية ادلة من الكتاب والسنة على وجوب الامامة • قال ابن شهراشوب ان الله بقوله : « اني جاعل في الارض خليفة»[2] بدأ بالخليفة

---

(١) أ ـ الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان ، ج٩ (النجف ، ١٩٦٣) ص ٣٥١ ـ ٢ •

فسر الطوسي الاية (١٤) من سورة الحجرات بما ياتي :ـ

قال في وصف المؤمن : « ثم وصف المؤمن على الحقيقة فقال (انما المؤمنون على الحقيقة (الذين آمنوا بالله) وصدقوا وأخلصوا بتوحيده (ورسوله) أي وأقروا بنبوة نبيه (ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا في شيء من أقوالهما ••• » •

ونخلص من ذلك بنتيجة وهي ان الاعتراف بوحدانية الله ، والتصديق برسالة محمد (ص) وعدم الشك في شيء من أقوالهما تكفي لوصف الفرد بالايمان • وعبر بعضهم عن ذلك بقوله ان الامامة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين •

(١)ب المرتضى ، علي بن الحسين ، مجموعة في فنون علم الكلام • تحقيق محمد حسين آل ياسين (بغداد ، ١٩٥٥) ص٧١ •

(٢) البقرة : ٣٠ •

قبل الخليقة ، والحكيم العليم يبدأ بالاهم قبل الاعم ، وقوله : « فقد وكلنا بها قوما ليسوا بكافرين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »[3] دليل على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين أما نبي أو امام .[4] وقال الشيخ الطوسي عند تفسيره للاية التالية : «واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتي قل لاينال عهدي الظالمين »[5] . الكلمات هي الامامة على ماقال مجاهد . والمراد بالعهد هو الامامة وهو المروي عن أبي جعفر ، وابي عبدالله (ع) قالوا لا يكون الظالم اماما .

وقال الطوسي أيضا « واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الامام لايكون الا معصوما من القبائح لان الله تعالى نفى أن ينال عهده ـ الذي هو الامامة ـ ظالم ، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم : أما لنفسه أو لغيره »[6] .

أما الادلة على وجوب الامامة في السنة فهي كثيرة ، وقد جمع ابن شهراشوب طائفة منها[7] . وروى الكليني ان حديثا جرى عن الامامة بحضور أحد أصحاب الرضا (ع) فأخبره بذلك . فقال الامام الرضا : « جهل القوم ... ان الله ... لم يقبض نبيه (ص) حتى اكمل له الدين .. وانزل في حجة الوداع .. : (اليوم أكملت لكم دينكم ...) وامر الامامة من تمام الدين ... هل يعرفون قدر الامامة ومحلها من الامة فيجوز فيها اختيارهم ... ان الامامة خص الله ... بها ابراهيم الخليل (ع) بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة ... فقال : (اني جاعلك للناس اماما) فقال

---

(٣) الانعام : ٨٩ .

(٤) ابن شهراشوب ، محمد بن علي ، مناقب آل ابي طالب ، ج١ (النجف ، ١٩٥٦) ص٢١١ .

(٥) البقرة : ١٢٥ .

(٦) التبيان في تفسير القرآن ج١ (النجف ، ١٩٥٧) ص ٤٤٦ ، وما بعدها .

(٧) مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٢١١ وما بعدها .

الخليل مسرورا بها : (ومن ذريتي) قال الله ••• : « لاينال عهدي الظالمين » فأبطلت هذه الآية امامة كل ظالم الى يوم القيامة وصارت في الصفوة فلم تزل في ذريته ••• حتى ورثها الله تعالى النبي (ص) ••• فقلدها (ص) عليا (ع) •• فصارت في ذرية الاصفياء ••• فهي في ولد علي (ع) خاصة الى يوم القيامة ••• ان الامامة منزلة الانبياء وارث الاوصياء ••• »[8] •

وتناول الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة موضوع الامامة بالتفصيل في كتابه الموسوم بـ « تلخيص الشافي في الامامة »[9] • وتوصل الطوسي الى أن وجود الامام ضروري لان الشريعة مؤبدة وان المصلحة لها ثابتة الى قيام الساعة لجميع المكلفين ، وعلى هذا لابد لها من حافظ ، وليس يخلو الحافظ من أن يكون جميع الامة أو بعضها • ثم يستطرد فيقول « وليس يجوز أن يكون الحافظ لها الامة ، لان الامة يجوز عليها السهو والنسيان ، وارتكاب الفساد والعدول عما علمته ، فاذن لابد لها من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو ، ليتمكن المكلفون من المصير الى قوله • وهذا هو الامام الذي تذهب اليه »[10] •

وبعد أن يفند الطوسي امامة الآخرين ، يثبت امامة ائمة الشيعة الامامية ويقول « فقد ثبت بهذا الترتيب : ان الامام بعد الرسول (ع) أمير المؤمنين (ع) بنصه عليه بالامامة لان كل من قال : وانه (ع) الامام بعد الرسول (ص) ' بلا فصل ' لم يثبت الامامة له الا بالنص » • ثم يسوق الطوسي أدلة حصر الامامة في علي أمير المؤمنين دون غيره ومنها :

أ ـ ان الامام لابد أن يكون مقطوعا بعصمته ، ولم يتوفر الشرط المذكور الا في الامام علي (ع) فهو نتيجة لذلك الامام دون غيره من معاصريه •

---

(٨) الكافي ، ج١ ، ص١٩٩ ـ ٢٠٠ •

(٩) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٦٣ •

(١٠) الطوسي ، تلخيص الشافي ، ج١ ص ١٣٣ ـ ٤ •

ب ـ يكون الامام أفضل الخلق ، ولا تتحقق تلك الصفة لغيره . واذا ثبت ذلك فلابد أن يكون هو الامام لفساد امامة المفضول .

ج ـ ان الامام لايكون الا اعلم الناس . وقد ثبت بالاجماع ان ابا بكر والعباس لم يكونا بهذه الصفة ، بل كانا فاقدين لكثير من علوم الدين وذلك ظاهر من حالهما فبطلت امامتهما ، وثبتت امامة أمير المؤمنين (ع)[(١١)] .

ونفيد مما سبق ان الامامة قضية جوهرية في نظر القائلين بالنص الجلي ، وهم الأمامية . وسبق أن أشرنا في الفصل الاول من هذا الكتاب الى النص بنوعيه الجلي والخفي فلا ضرورة للتكرار . وينزل الشيعة الامامية الامامة منزلة تلي منزلة الرسالة . « والامامة من أجل الامور بعد الرسالة ، اذ هي فرض من أجل فرائض الله ... »[(١٢)] وهي حصرا في علي لان « النبي (ص) نص عليه واشار اليه ، بأسمه ونسبه وعينه ، وقلد الامة امامته واقامه ونصبه لهم علماء وعقد له عليهم أمرة المؤمنين، وجعله وصيه وخليفته ووزيره في مواطن كثير »[(١٣)] .

ويترتب على ذلك ان الشيعة الامامية يبطلون امامة من تقدم على علي أمير المؤمنين . « فالشيعة تقول ... » كما جاء في رواية الطوسي « ان من تقدم على أمير المؤمنين (ع) لايصلح للامامة »[(١٤)] ويرى الشيعة ان امارة المؤمنين سلبت من علي بمؤامرة دبرها جماعة من بينهم أبو بكر وعمر وذات مرة سمع الحارث بن الحصيرة الاسدي الامام الباقر يقول « كنت دخلت مع أبي الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال : في هذا الموضع تعاقد القوم ان مات رسول الله (ص) أو قتل الا يردوا هذا الامر في أحد

---

(١١) أيضا ، ج١ ، ص ٧ ـ ١٠ ملخصا .
(١٢) الاشعري ، المقالات ، ص١٦ .
(١٣) أيضا ، ص ١٥ ـ ١٦ .
(١٤) تلخيص الشافي ، ج٣ ، ص٩٦ .

من أهل بيته أبدا ، قال قلت : ومن كان ؟ قال : كان الاول والثاني وابو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة »[١٥] •

ويبدو ان الاب لامانس Lammens تبنى الرواية المذكورة وأمثالها عندما أعلن فرضيته المعروفة القائلة بوجود تعاون بين أبي بكر وعمر وابي عبيدة لنيل الخلافة في سقيفة بني ساعدة •

ومن الجدير بالذكر ان اشارات وردت في كتب الشيعة يتبين منها ان ذكر امامة علي وآل بيته لم يقتصر على القرآن والسنة ، بل ورد مايشير اليه في الكتب المقدسة الاخرى • روى المفيد ان حديثا جرى بين النبي(ص) واحد اليهود • فقال النبي : « ان أول ما في التوراة مكتوب محمد رسول الله ••• ثم تلى هذه الآية (يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)[١٦] (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)[١٧] واما الثاني والثالث والرابع فعلي وفاطمة وسبطيهما ••• في التوراة (ايليا وشبرا وشبيرا وهليون) يعني فاطمة والحسن والحسين (ع) »[١٨] وروى المفيد أيضا أن محمد بن الفضيل قال : «سمعت أبا الحسن (ع) يقول ولاية علي (ع) مكتوبة في جميع صحف الانبياء »[١٩] •

وأميل الى القول بأن الحديثين المذكورين وأمثالهما دخلا في كتب الشيعة مع مادخل من الاسرائيليات الى طائفة من كتب المسلمين كافة •وربما كان دخولهما ودخول أمثالهما يعود الى الفكرة القائلة بأنه يجرى في الاسلام مايجرى في الاديان الاخرى حذو القذة بالقذة •

ويعتقد الشيعة ان نص النبي على امامة علي لايقتصر عليه بل يتسلسل

---

(١٥) الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٥٤٥ •
(١٦) الاعراف : ١٥٧ •
(١٧) الصف : ٦ •
(١٨) الاختصاص ، ص٣٧ •
(١٩) أيضا ، ص١٨٧ •

في الائمة المعصومين الاثني عشر من ولـده قال المسـعودى ان أهل الامامة انفردوا بالقول بأن « الامامة لاتكون الا نصا من الله ورسوله على عين الامام واسمه واشتهاره كذلك ، وفي سائر الاعصار لاتخلو الناس من حجة الله فيهم ظاهرا وباطنا ••• » وبعد أن يعدد المسعودي فضائل علي ويورد نص النبي على امامته يقول « وان عليا نص على ابنه الحسن ثم الحسين ، والحسين على علي بن الحسين ، وكذلك من بعده الى صاحب الوقت الثاني عشر »[٢٠]

روى المفيد ان سلمان قال « رأيت الحسين بن علي (ع) في حجـر النبي (ص) ••• وهو يقبل عينيه ويقول : أنت ••• حجة ابن حجة أبـو حجج ، أنت الامام ابن الامام ابو الائمة التسعة من صلبك ، تاسـعهم قائمهم »[٢١] •

وروى المفيد أيضا ان عبدالعزيز القراطيسي قال ان الصادق (ع) قال « الائمة بعد نبينا (ص) اثنا عشر نجباء مفهمون من نقص منهم واحدا أو زاد فيهم واحدا خرج من دين الله ولم يكن من ولايتنا على شيء »[٢٢] •

ويعتقد الشيعة ان وجود الامام ضروري لحفظ نظام الكون والى هذا أشار الامام الصادق بقوله : « لو ان الامام رفـع من الارض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله »[٢٣] وكان الامام الصادق يقول : « ما ترك الله الارض بغير امام منذ قبض آدم يهتدي به الى الله وهو الحجة من تركه هلك ومن لزمه نجا »[٢٤] ويرى الطوسي « ان الزمان لا يخلو من حجة لله عقلا وشرعا »[٢٥] •

---

(٢٠) مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٥٦ •
(٢١) الاختصاص ، ص ٢٠٧ — ٨ •
(٢٢) أيضا ، ص٢٣٣ •
(٢٣) الكليني ، الكافي ، ص٦٣ •
(٢٤) الكشي ، الرجال ، ص٢٣٧ •
(٢٥) الغيبة (النجف ، ١٣٥٨) ص ٥٦ •

ويظهر ان اعتقاد الشيعة بفكرة تسلسل الوصاية من آدم الى آخر أئمتهم ، الحجة القائم ، رفع من اهمية تلك الوصاية وجعلها ليست صادرة من النبي محمد (ص) وحسب ، ومقتصرة على الفترة الاسلامية ، بل هي ارادة الهية تستهدف استمرار الرسالة الالهية من آدم الى صاحب الزمان • ومن هذا يظهر أن الشيعة ، شأنهم شأن بقية المؤرخين المسلمين القدامى ، عدوا التاريخ أنه تاريخ الشعوب الموحدة فقط لا تاريخ البشرية بما فيهم غير الموحدين ، ولما كان صاحب الزمان ، كما بينا سابقا لم يمت ، وهو في حالة الغيبة وسيخرج في آخر الزمان ليملأ الارض قسطا وعدلا ، ترتب على هذا أن أئمة الشيعة ، بما فيهم القائم ، سيبقون حماة لفكرة التوحيد حتى آخر الزمان •

علم الائمة :

أود أن أشير ، قبل الدخول في البحث ، الى أن جل المصادر التي استعملتها هنا كانت كتب الحديث • وهي ، كما أعتقد ، من خير المصادر التي تستعمل عند البحث عن عقائد فرقة من الفرق • أما تاريخية جميع المعلومات التي وردت في تلك الاحاديث فهي موضع جدل بين الباحثين •

ويعتقد الامامية ان ائمتهم محيطون بالعلوم الالهية • قال الشيخ الطوسي ومما يدل «على أن الامام يجب أن يكون عالما بجميع أحكام الدين : ما ثبت من كون الامام حجة في الدين وحافظا للشرع»[٢٦] روى المسعودي ان الامامية قالوا لابد أن « يكون [الامام] أعلم الخليقة ، لانه ان لم يكن عالما لم يؤمن عليه أن يقلب شرائع الله واحكامه فينقطع من يجب عليه الحد ، ويحد من يجب عليه القطع ، ويضع الاحكام في غير الموضع التي وضعها الله •••»[٢٧] •

---

(٢٦) تلخيص الشافي ، ج١ ، ص٢٧١ •
(٢٧) مروج الذهب ، ج٣ ، ص١٥٦

والامام لايوحى اليه ، كما أشرنا في الفصل الثالث من هذا الكتاب ، بل أنه يستمد علمه من رسول الله (ص) . قال الطوسي ان « الامام لايكون عالما بشيء من الاحكام الا من جهة الرسول واخذ ذلك من جهته »[٢٨] .

أما المصدران اللذان اخذ منهما الائمة العلم عن رسول الله فهمـــا الكتاب والسنة . روى الصادق ان رسول الله (ص) قال : « ان على كـل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه » . وقال الصادق أيضا « اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) والا فالذي جاءكـم به أولى به » . وقال أيضا « كل شيء مردود الى الكتاب والسنة ... »[٢٩]. واتخذ الشيعة الامامية كتاب الله وسنة نبيه بمثابة مصدر للتشريع وقد وصف الباقر الفقيه حق الفقيه هو « المتمسك بسنة النبي (ص) » . وقال الباقر أيضا « ما من أحد الا وله شرة وفترة ، فمن كانت فترته الى سنة فقد اهتـدى ، ومن كانت فترته الى بدعة فقد غوى » . وقال أيضا « كل من تعدى السنة رد الى السنة »[٣٠] وامتنع الشيعة عن الاخذ بالقياس واعتبروه بدعـــة . روي ان الصادق قال « ان أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم تزدهم المقائيس من الحق الا بعدا ، وان دين الله لا يصاب بالمقائيس». وقال الامام مرة لجماعة من شيعته « ... انما هلك من قبلكم بالقياس » وانتقد أبا حنيفة لانه كان يقول « قال علي وقلت أنا ، وقالت الصـحابة وقلت ... » وذات مرة قال أبو الحسن الاول (ع) أي الامام الرضا (ع) ليونس بن عبدالرحمن « لاتكونن مبتدعا ، من نظر برأيه هلك ... »[٣١] .

ونفيد مما سبق أن تسمية اتباع المذاهب الاربعة من المسلمين لانفسهم

---

(٢٨) تلخيص ، ج١ ، ص٢٥٣ .
(٢٩) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩ .
(٣٠) أيضا ج١ ، ص ٧٠ ـ ١ .
(٣١) أيضا ، ج١ ، ص٥٦ ـ ٧ .

بأهل السنة لاتعني انهم يتمسكون بسنة الرسول دون الشيعة الامامية وغيرهم من المسلمين • وربما وضعت تلك التسمية نكاية بالشيعة ومما يؤيد ذلك ان كتب الشيعة القديمة لاتنعتهم بالاسم المذكور ، انما تسميهم بـ « العامة » مقابل « الخاصة »[٣٢] وهو الاسم الذي أطلقه الشيعة على أنفسهم •

أما السبب الذى من أجله وجدت مجموعات حديث خاصة عند الشيعة الامامية تختلف عن تلك التي عند السنة ، فيعود الى أن الشيعة الامامية لايروون السنة النبوية في الغالب الاعم الا عن طريق المعصومين بينما أهل السنة لا يشترطون عصمة من يروون عنه ، ولكنهم يطبقون مقاييسهم الخاصة على رواتهم • فالبخاري صاحب الصحيح لم يرو عن الصادق (ع) مع أنه أكثر رواة الحديث اهمية عند الامامية وقد روى اكبر كمية من الاحاديث عن آبائه من المعصومين ، وذلك ان المعصوم لا يروى الا عن معصوم •

أما الكيفية التي تكونت بها مدرستان فكريتان في الحديث احدهما عند أهل السنة والثانية عند الامامية فقد أتينا على ذكرها في الفصل الاول من هذا الكتاب ونضيف هنا مايأتي :

جرى حديث بين عمر بن حنظلة والامام الصادق حول الطريقة الفضلى التي تحل بموجبها خصومة قد تجري بين شيعيين • فنصحه الامام بعدم الاحتكام للسلطان وقضاته ، وبضرورة اللجوء الى فقيه شيعي • وفي حالة اختلاف المتخاصمين يصار الى الاعدل والاصدق في الحديث • وعند وجود أخبار متعددة عن الائمة في تلك القضية يصار الى الخبر المجمع عليه من علماء الشيعة • وعند وجود خبرين مشهورين عن الائمة يصار الى ماوافق « حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة » ويقصد بالعامة هنا أهل السنة • وعندما سأل ابن حنظلة عن وجود خبرين توفرت فيهما جميع الشروط سوى ان أحدهما كان موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم •

---

(٣٢) المفيد ، الارشاد ، ص٢٥٣ •

قال الامام يؤخذ «ما خاف العامة ففيه الرشاد» + • ونستنتج مما أوردناه سابقا ومن الخبر الوارد في أعلاه ان هناك مدرستين اسلاميتين فكريتين مختلفين أحدهما شيعية امامية وثانيتهما لاهل السنة ، وينحصر اختلافهما لا في ماهية المنبعين الرئيسين للاحكام الشرعية ، وهما الكتاب والسنة ، بل في طريقة الوصول الى ارادة الله الكامنة في المنبعين المذكورين •

ونحتمل أن موقف البخاري المشار اليه في أعلاه من الامام الصادق كان ردا على موقف الامام من الغالبية العظمى من أحاديث اهل السنة • كما احتمل أن من بين العوامل التي حدت بالصادق لاتخاذ ذلك الموقف هو لجوء أهل السنة الى القياس ، وروايتهم عن الضعفاء أحيانا ، أمثال أبي هريرة •

ونعود الى ذكر الطريقة التي سد بها الشيعة الامامية النقص الذي حصل عن الاستغناء عن القياس • ونحتمل ان علماء الامامية استعانوا بما ورد عن أئمتهم من احاديث تضمنت حلولا لمشكلات لم توجد فيها سنة صريحة أو آية من القرآن • ولعل الائمة توصلوا لتلك الحلول بما علمهم الله ، كما يعتقد الشيعة الامامية ، من الالهام ، والنكت في القلب ، والنقر في الاذن ، والرؤيا في النوم ، والملك المحدث للامام ووجوه رفع المنار له ، والعمود والمصباح وعرض الاعمال عليه[٣٣] • روى المفيد ان عبدالرحيم قال « سمعت أبا جعفر (ع) يقول : ان عليا كان اذا ورد عليه أمر لم يجيء فيه كتاب ولم تجيء به سنة رجم فيه ــ يعني ساهم ــ ، فأصاب ، ثم قال : ياعبدالرحيم وتلك من المعضلات»[٣٤] • ولما كان الامام معصوما عند الامامية فلا مجال للشك فيما يقول •

+ الكليني ، الكافي ج١ ، ص ٦٨ •

(٣٣) الاشعري ، المقالات ، ص٩٧ •

(٣٤) الاختصاص ، ص ٣١٠ •

أما معرفة الائمة للقرآن فقد روى الكليني ان جعفر بن محمد قال : « ان الله علم نبيه التنزيل والتاويل فعلمه رسول الله (ص) عليا (ع) قال - وعلمنا والله...»[35] روى الكليني ان الرضا قال « ان الانبياء والائمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ، ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالا يؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم اهل الزمان ... »[36] ويعتقد الشيعة ان الامام عليا اعلم الناس بالقران وأكثرهم تعليما له . قال الكليني قلت للناس - « من قيم القران ؟ فقالوا ابن مسعود يعلم ، وعمر يعلم ، وحذيفة يعلم ، قلت كله قالوا لا ، فلم أجد أحدا يقال أنه يعرف ذلك الا عليا فأشهد أن عليا صلوات الله عليه كان قيم القرآن »[37] ويستند الامامية، فيما يستندون ، في اعتقادهم بأن عليا محيط بعلوم القرآن كلها على روايات منها - قال الامام علي « كنت أدخل على رسول الله كل يوم دخلة ، وكل ليلة دخلة فيخليني فيها أدور معه حيث مادار ، وقد علم اصحاب رسول الله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ... وكنت اذا سألته اجابني، واذا سكت وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول الله آية من القرآن الا اقرأنيها واملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها ، وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها »[38] وقال علي أيضا « سلوني قبل أن تفقدوني والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية في ليل أنزلت أو في نهار انزلت مكيها ، ومدينها ، سفريها وحضريها ، ناسخها ومنسوخها محكمها ومتشابهها ، وتأويلها ، وتنزيلها لاخبرتكم به »[39] .

---

(٣٥) الكليني ، الكافي ، ج٧ ، ص٤٤٢ .
(٣٦) ايضا ، ج ، ص ٢٠٢ .
(٣٧) الكليني ، الكافي ، ص٥٩ .
(٣٨) القمي ، محمد بن علي ، الخصال (طهران ، ١٣٢٠ ص١٢٣ .
(٣٩) المفيد ، الاختصاص ، ص ٢٣٦ .

ويعتقد الشيعة أن عليا (ع) لم يكن واسع المعرفة في علوم القرآن حسب ، بل كان واسع الاطلاع في الحديث أيضا • وقد كتب علي عن رسول الله (ص) حديثا كثيرا ضمنه في صحف[٤٠] توارثها الائمة من بعده •

ويعتقد الشيعة ان كتب الامام علي كانت تنتقل الى أئمتهم يتوارثها الخلف عن السلف • وذات مرة قيل لزيد بن علي أن الصادق « لم يترك شيئا مما سألناه عنه الا أجابنا بما يقع فتبسم زيد ثم قال ـ أما والله لئن قلت هذا فأن كتب علي عنده دوننا »[٤١]

ومن الجدير بالذكر انه ليس للصحف المذكورة اهمية في الوقت الحاضر ، فهي لم تكن من بين كتب الحديث الشيعية الاربعة التي هي بمثابة الصحاح الستة عند أهل السنة • كما أنها لم تكن موجودة في الوقت الحاضر ويظهر انها غير موجودة عند غير الائمة من الشيعة • ولم نعثر على كاتب امامي أشار الى أنه استقى معلومات بصورة مباشرة من هذه الصحف المذكورة • وكل ما عثرنا عليه أقوال للائمة (ع) اخبروا فيها شيعتهم انهم استقوا الحديث الفلاني عن كتب علي التي يحتفظون بها صاغرا عن كابر[٤٢]

---

(٤٠) وكانت احدى الصحف المذكورة تسمى « الجفر » ويصفه الكليني (الكافي ، ٨٥ ـ ٦) بأنه (وعاء من آدم فيه علم النبيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني اسرائيل ••• وهناك صحيفة ثانية تسمى « مصحف فاطمة » وحجمه يزيد على حجم القرآن بثلاث مرات على رواية الكليني السابقة • ويقصد بالمصحف هنا كتاب الحديث لان (الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله اليه (النبي) للاعجاز والتحدي لتعليم الاحكام ••• وانه لانقص فيه ولا تحريف ولا زيادة وعلى هذا اجماعهم •••) • انظر ـ محمد حسين كاشف الغطاء « أصل الشيعة ، ص ١٠٦ » •

(٤١) ابن شهراشوب ، محمد بن علي ، مناقب آل ابي طالب ، ج٣ (النجف ، ١٩٥٦) ص ٣٧٤ •

(٤٢) المسعودى ، مروج الذهب ، ج٤ (القاهرة ، لا•ت) ص ١١٤•

وكان أئمة الشيعة يعدون تعليم مايحيطون به من علوم بمثابة تبليغ للرسالة التي عهد الله تبليغها للنبي محمد (ص) ، والنبي بدوره عهد اليهم، بكونهم مبلغين عنه اتمام تلك الرسالة . روى الشيخ المفيد ان جعفر بن محمد (ص) قال - « من جاءنا يلتمس الفقه والقران والتفسير فدعوه ...»[٤٤] وروى احدهم انه سمع الرضا (ع) يقول « رحم الله عبدا أحي أمرنا . فقلت له كيف يحي امركم قال - يتعلم علومنا ويعلمها اناس فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لتبعونا »[٤٥] .

اما قضية تأويل القرآن فالامامية ، على رواية الكليني ، يقولون ان أئمتهم محيطون بتأويله ، وان الراسخين في العلم الواردة في القران تعني أئمتهم المعصومين (ع) . روى الكليني ان الامام الصادق قال ان المقصود بالاية « ... وما يعلم تأويله الا والله والراسخون في العلم »[٤٦] هو أمير المؤمنين والائمة (ع)[٤٧] . وأورد الكليني نماذج من تأويل الائمة للقرآن منها :

١ - ان أباولاد قال : « سألت أبا عبدالله عن قول الله عز وجل : (الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به)[٤٨] قل : هم الائمة (ع) »[٤٩] .

٢ - سأل محمد بن الفضل الامام الباقر عن معنى الآية : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم »[٥٠] فقال الامام « هم الائمة خاصة »[٥١] .

---

(٤٤) المفيد ، الامالي (النجف ، ١٣٥١) ص١ .
(٤٥) القمي ، معاني الاخبار (طهران ، ١٣٧٦) ص ١٨٠ .
(٤٦) آل عمران : آية - ٧
(٤٧) الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤١٥ .
(٤٨) البقرة : آية - ١٢٠ .
(٤٩) الكافي ، ج١ ، ص٢١٥ .
(٥٠) العنكبوت : آية - ٤٨ .
(٥١) الكافي ، ج١ ، ص٢١٤ .

٣ ـ سأل عبدالله بن عجلان الباقر عن معنى الآية « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون »[٥٢] • قال الامام (ع) : « نحن قومه ونحن المسؤولون »[٥٣] •

٤ ـ سأل العلاء بن سيابة الصادق عن معنى قوله تعالى « ان هذا القرآن يهدي التي هي اقوم »[٥٤] • قال (ع) : « يهدى الى الامام »[٥٥] •

ويبدو ان رواية الكليني المذكورة في اعلاه شاذة ولا تمثل رأي الامامية كافة في قضية خطيرة وهي تاويل القرآن بالشكل الذى اوردته قبل قليل • ومن الادلة على ذلك هو أن طائفة من المفسرين الامامية لم يفسروا عبارة الراسخين في العلم الواردة في القرآن الكريم بانها تعني الائمة حصرا • وأشار الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ) والطوسي الى اختلاف المفسرين حول امكان العلماء تأويل القرآن أو عدمه • كما لم يخصصا نوع العلماء الذي يستطيع تأويل القرآن[٥٦] وعندما فسر الطوسي الآية التي وردت في رقم(١) من النمذج السابقة قال : « المعني بهذه الآية ـ في قول قتادة واختيار الجبائي ـ أصحاب النبي (ص) الذين آمنوا بالقرآن وصدقوا به »[٥٧] • وعند تفسيره للآية الواردة في رقم (٤) من النماذج ، قال الطوسي « ان هذا القرآن الذى أنزله [الله] على محمد (ص) (يهدي) أي يدل (للتي أقوم) قال الفراء : لشهادة ان لا اله الا الله • ويحتمل ان يكون المراد يهدى لجميع سبل الدين ••• من توحيد الله ، وعدله ، وصدق انبيائه •••»[٥٨] •

---

(٥٢) الزخرف : آية ـ ٤٣ •

(٥٣) الكافي ، ١ج ، ص٢١٠ •

(٥٤) الاسراء : آية ـ ٩ •

(٥٥) الكافي ، ج١ ، ص ٢١٦ •

(٥٦) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ج٣ (النجف ، ١٩٥٧) ص٤٠٠ ، الشريف الرضي ، محمد ، حقائق التاويل في متشابهات التنزيل ، ج٥ (النجف ، ١٩٣٦) ص٧ ـ وما بعدها•

(٥٧) التبيان ، ج١ ، ص ٤٤١ •

(٥٨) أيضا ، ج٦ ، ص ٤٥٢ـ٥٣ •

والذى نقرره هنا ان المفسرين الامامية ، لا المحدثين منهم ، هم خير من يعول عليهم في معرفة رأى الطائفة الامامية في تفسير القرآن وتأويله • ثم ان النتيجة التي توصلت اليها في هذا الباب تؤيد ما سبق ان اوردته في صدر هذا المبحث حول عدم تاريخية جميع المعلومات التي ترد في الاحاديث•

وقد برزت طائفة من الائمة في كثير من العلوم الاسلامية أمثال التفسير والحديث وادب الدعاء والخطابة وغير ذلك مما له صلة في العلوم المذكورة • فعلم النحو مثلا ينسب تأسيسه كثير من الكتاب الى الامام علي والى تلميذه ابي الاسود الدؤلي • قال أبو حيان التوحيدي « ان علي بن ابي طالب عليه السلام سمع قارئا يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك فتقدم الى ابي الاسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلا ومثالا وقياسا بعد ان وفق له حشيته ومهد له مهاده وضرب له قواعده[٥٩] • قال الديلمي أن أهل العلم كافة ينسبون الى علي (ع) « أما علم الكلام فاصلة ابو هاشم بن محمد بن الحنفية الذى استفاد منه عليه السلام ، وأما علم الادب فهو الذى قسم الكلام على ثلاثة اضرب ، وأمر ابا الأسود الدؤلي وضعه بعد أن نبهه على أصله ، وأما علم التفسير فأصله ابن عباس تلميذ علي عليه السلام ، واما علم الفصاحة فهو عليه السلام علم الناس الخطب والكلام الفصيح • وأما علم الفقه فانتساب الشيعة اليه ظاهر • وابو حنيفة كان تلميذ الصادق (ع) والشافعي قرأ على محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة وأحمد تلميذ الكاظم (ع) ومالك قرأ على ربيعة الرأى وربيعة الرأى قرأه على عكرمة ، وعكرمة قرأ على ابن عباس تلميذ علي (ع) »[٦٠] • وقال السيد المرتضى « اعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين صلوات الله عليه • وخطبه فانها تتضمن من

---

(٥٩) البصائر والذخائر ، ج١ ، (بغداد ، ١٩٥٤) ص١٧٥ •

(٦٠) الديلمي ، محمد ، الشاد القلوب ، ج٢ ، (بيروت ، ١٣٨١) ص٧ـ٨ •

ذلك ما لا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعده في تصنيفه وجمعه ، انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول • وروى عن الائمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ••• »[٦١] •

وقد وصف حذيفة بن اليمان عليا بانه « أرجح الناس علما »[٦٢] وقال فيه خزيمة بن ثابت :

وجدناه اولى الناس بالناس انه　　اطب قريش بالكتاب وبالسنن[٦٣]

وقال مرة « يا طالب العالم ان للعالم ثلاث علامات ، العلم بالله ، وبما يحب الله وبما يكره الله ••• »[٦٤] وكن علي بن ابي طالب بالكوفة في الجامع اذا قام اليه رجل من أهل الشام فسأله عن مسائل[٦٥] وكان الامام يدقق في رواية الحديث عن الرسول (ص) • وكان يقول : « ما حدثني أحد بحديث الا استحلفته عليه »[٦٦] وذات مرة قال ابن عباس « علي علمني وكان علمه من رسول الله ••• وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة في البحر ••• »[٦٧] وذكر اليعقوبي جماعة من تلامذة الامام علي (ع) الذين كانوا يحملون عنه العلم ، وكان من بينهم الحارث بن الاعور ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، وحبة العربي ورشيد الهجرى ، وجويرية بن مسهر ، والاصبغ بن نباته ، وميثم التمار

---

(٦١) المرتضى ، الامالي ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٤) ص ١٤٨ •

(٦٢) المفيد ، الفصول ، ج٢ ، ص٦٥ •

(٦٣) أيضا ، ج٢ ، ص٧٧ •

(٦٤) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٢ ، ص١٨٣ •

(٦٥) القمي ، الخصال (طهران ، ١٣٠٢) ص ١٣٦ •

(٦٦) المفيد ، الفصول ، ج٢ ، ص١٢٤ •

(٦٧) الطوسي ، الامالي ، ص٨ •

والحسن بن علي[٦٨] وكان أبو رافع من تلامذة علي أيضا ، وألف كتاب السنن والاحكام والقضايا[٦٩] .

وفي مسجد الكوفة القى الامام (ع) الاكثرية العظمى من خطبه التي حواها نهج البلاغة . قال ماسنيون « وأما في النثر ففي الكوفة تكونت تلك المجموعة المعتبرة النفيسة (نهج البلاغة) الحاوية على الخطب والمواعظ التي القاها علي هناك »[٧٠] .

وكان الامام علي بن الحسين من بين الائمة الذين وردتنا معلومات عن اهتمامهم بالرواية ونشر العلم . ولكن شهرة الامام زين العابدين ترتكز على أدب الدعاء . وقد وصلتنا مجموعة من أدعيته عرفت بـ « الصحيفة السجادية » . وسميت الصحيفة أيضا بـ « الكاملة »[٧١] وتبدأ الصحيفة بسند روايتها الذى يبدأ بالسيد الاجل نجم الدين بهاء الشرف محمد بن الحسن الحسيني ، وتلقى الحسيني الصحيفة عن محمد بن أحمد بن شهريار الخازن لخزانة مولانا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب سنة ست عشرة وخمسمائة للهجرة . وينتهي سند الصحيفة الى الامام زين العابدين[٧٢] . ويبلغ مجموع أدعية الصحيفة أربعة وخمسين دعاء . وقد الحق بها الناشر أدعية للامام زين العابدين قيلت بمناسبات مختلفة . وتتميز أدعية الصحيفة بلهجة تنم عن الخشوع التام ، والحزن العميق . ولعل في ذلك دليلاً على صحة نسبتها للامام زين العابدين ، نظرا لان

---

(٦٨) التاريخ ، ج٢ ، ص١٩٠ .
(٦٩) الكشي ، الرجال ، ص٧٦ .
(٧٠) خطط الكوفة – ترجمة تقي المصعبي (صيدا ، ١٩٣٩) ص ١٣ .
(٧١) الامام زين العابدين ، الصحيفة السجادية (النجف ، ١٣٥٢) ص ٦ .
(٧٢) أيضا ، ص ٢ – ٦ .

الامام المذكور عاش ظروفاً قاسية ، وشهد مصرع أبيه الحسين وأصحابه في كربلاء وذاق مرارة الاسر وتحمل مسؤوليات جساماً .

ويقول الشيبي عن الصحيفة المذكورة « ولاشك في نسبه كثير من اجزاء الادعية المذكورة الى الامام زين العابدين ، ولكن يبدو ان اضافات كثيرة قد اكتنفت النصوص الأصيلة ، وسادتها الصنعة البلاغية بحيث طالت نصوصها ، والمفروض في نص الدعاء ان يكون قصيراً ليسهل حفظه ... »[٧٣] .

وكان الامام زين العابدين يتوثق من الرواة الذين يروون عنه الحديث ويحذرهم من الكذب وذات مرة نصح علي بن الحسين (ع) القاسم بن عوف لما سمع انه يكذب عليه ويروى عنه احاديث منكرة . قال القاسم بن عوف لقيت « علي بن الحسين (ع) فقال لي يا هذا اياك ان تأتي أهل العراق فتخبرهم انا استودعناك علما ، فانا والله ما فعلنا ذلك واياك ان تترأس بنا فيضعك الله ، واياك ان تستأكل بنا فيزيدك الله فقراً ، وأعلم انك ان تكن ذنبا في الخير لك من ان تكون رأسا في الشر ، وأعلم انه من يحدث عنا بحديث سألنا يوما فان حدث صدقا كتبه الله صديقا ، وان حدث وكذب كتبه الله كذابا ... »[٧٤] .

وعندما تولى الامام الباقر الأمامة أولى عنايته للعلم ونشره . قال محمد بن مسلم « سمعت من ابي جعفر (ع) ثلاثين ألف حديث ، ثم لقيت جعفرا ابنه فسمعت منه ... ستة عشر ألف حديث أو قال مسأله ... »[٧٥] وقال جابر بن يزيد الجعفي « حدثني ابو جعفر (ع) سبعين ألف حديث[٧٦] وقال جابر أيضا قلت لابي جعفر (ع) جعلت فداك انك قد حملتني وقرا عظيما بما حدثتني

---

(٧٣) الصلة بين التصوف والتشيع ، ج١ ، ص ١٦٦ .
(٧٤) الكشي ، الرجال ، ص ١١٤ ــ ٥ .
(٧٥) الكشي ، الرجال ، ص ١٥٠ .
(٧٦) المفيد ، الاختصاص ، ص ٦٦ .

به .. »[٧٧]. وذات مرة سأل أحدهم عبدالله بن عمر عن مسألة فلم يدر بما يجيبه فقال ـ « اذهب الى ذلك الغلام فسله واعلمني بما يجيبك ، واشـار الى محمد بن علي الباقر ، فأتاه فسأله فأجابه فرجع الى ابن عمر فأخبره . فقال ابن عمر انهم أهل بيت مفهمون[٧٨] . قال ثوير بن فاخته « خرجت حاجا فصحبني عمرو بن ذر القاضي وابن قيس الماصر والصلت بن بهرام وكانوا اذا نزلوا ـ انظر الان فقد حررنا اربعة آلاف مسألة نسأل أبا جعفر (ع) منها عن ثلاثين كل يوم وقد قلدناك ذلك ... »[٧٩] .

« ويورد الشيخ الطوسي عددا من تلامذة الباقر والصادق (ع) ومن بين هؤلاء اسماعيل بن زياد البزاز الكوفي الاسدى روى عنه [أي الباقر] وعن ابي عبدالله (ع) » . « والحسن بن شهاب بن يزيد البارقي الأزدي الكوفي . روى عنه (ع) وعن ابي عبدالله (ع) » . و « زهير المدائني روى عنـه (ع) وعن ابي عبدالله (ع) » . والحكم بن المختار بن ابي عبيدة ... روى عنه وعن ابي عبدالله (ع)[٨٠] » .

ويبدو مما سبق ان الامام الباقر كان من مشاهير علماء أهـل البيت ومحدثيهم . وقال عنه المجلسي انه « لم يظهر عن أحد من أولاد الحسن والحسين (ع) من العلوم ما ظهر منه [أي الباقر] من التفسير والكلام والفتيا والحلال والحرام ... وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين . فمـن الصحـابة نحو جابر بن عبدالله الانصارى ، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السنحتياني صاحب الصوفية ، ومن الفقهاء نحو ابن المبارك ، والزهرى ، والأوزاعي ، وابي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وزياد بن المنذر ، والنهدي ، ومن المصنفين نحو

---

(٧٧) الكشي ، ص ١٧١ .

(٧٨) المجلسي ، محمد باقر ، بحار الانوار ، ج١١ (طهران ، ١٣١٥) ص ٨٣ .

(٧٩) الكشي ، الرجال ، ص ١٩١ .

(٨٠) الطوسي ، الرجال ، ص ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ،

الطبري ، والبلاذري والسلامي والخطيب في تواريخهم . وفي الموطأ ، وشرف المصطفى ، والأبانة ، وحلية الاولياء ، وسنن ابي داود ، ... ومسند ابي حنيفة ، والمروزي ، والراغب الأصفهاني ، وبسيط الواحـدي وتفسير النقاشي ، والزمخشري ، ومعرفة أصول السمعاني . [وكانوا] يقولون قال محمد بن علي وربما قالوا محمد الباقر »[٨١] .

تولى الامامة بعد الباقر ابنه الصادق (ع) . ويعد انتقال الامامة الى الصادق نقطة فاصلة في تاريخ الشيعة الذين عرفوا فيما بعد بالامامية ، وعهدا مهد لتوضيح قواعد مذهبهم وتركيزها . وكان عصر الصادق مواتيا من الناحيتين السياسية والثقافية . فمن الناحية السياسية كان عصره عصر انتقال من العهد الاموي الى العهد العباسي . وخفت الرقابة على أئمة الشيعة في العصر المذكور مما مكنهم من الانصراف كلية للعلم . أما من الناحية الثقافية فيعد عصر الصادق العصر الذى انتشر فيه تدوين معظم العلوم الاسلامية من فقه وحديث ، هذا فضلا عن ظهور علم الكلام الذى تأثر واضعوه بالعلوم اليونانية . وكان الامام الصادق (ع) من أكثر أئمة الشيعة اسلاف الامامية نشاطا وعملا على نشر علوم أهل البيت من جهة ، والدفاع عن مذهبهم في وجه ممثلي الجماعات الاخرى ، من المسلمين ، أو من الغلاة والزنادقة من جهة أخرى . وكان الصادق(ع) يشجع طلبته على كتابة ما يسمعون ويوصيهم بحفظ كتبهم . وذات مرة قال لتلميذه عبيد بن زرارة « ان رسول الله (ص) قال قيدوا العلم ، وفسر له تقييد العلم كتابته » . ثم قال له « احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها »[٨٢] . وقد وردت اشارة يستدل منها ان الامام الصادق كان يدرس طلبته أحيانا كتبا معينة . قال زرارة «أمر أبو جعفر(ع) أبا عبدالله فاقرأني صحيفة الفرائض فرأيت جل ما فيها على أربعة اسهم »[٨٣] .

---

(٨١) المجلسي ، بحار الانوار ، ج١١ ، ص٨٤ .
(٨٢) الطوسي ، محمد بن الحسن ، الامالي (طبعة حجر) ص٩٥ .
(٨٣) الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٨١ .

ويبدو ان عدد تلامذة الصادق كان كبيرا . روى النجاشي ان الحسن ابن علي الوشاء قال : « ادركت في هذا المسجد تسع مائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد »[٨٤] . وقال الشيخ المفيد في معرض كلامه عن الصادق (ع) « كان انبههم [اخوته] ذكرا ، وأعظمهم قدرا ، وأجلهم في الخاصة والعامة ونقل الناس عنه من العلوم ماسارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان ، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه ، ولا لقى أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الاخبار ، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن ابي عبدالله (ع) فان اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقاة على اختلافهم في الاراء والمقالات فكانوا اربعة آلاف رجل من اصحابه »[٨٥] .

ووردت اشارة الى ان الامام الصادق كان يصحح مؤلفات تلامذته أحيانا . روى الحلي ان لعبيد الله كتابا « عرضه على الصادق (ع) وصححه وقال عند قراءته ليس هؤلاء في الفقه مثله . وهو أول كتاب صنفه الشيعة »[٨٦] .

وللشهرستاني رأي عن الصادق وعن غزارة علمه يقول فيه : « وهو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا ، وورع تام عن الشهوات . وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له اسرار العلوم ... ثم دخل العراق واقام بها مدة ما تعرض للامامة قط ، ولا نازع أحدا في الخلافة قط ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط ، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط »[٨٧] .

---

(٨٤) الرجال ، ص ٣١ .

(٨٥) الارشاد ، ص ٢٤٩ .

(٨٦) الطوسي ، الرجال ، ص٥٦ .

(٨٧) الملل والنحل ، (القاهرة ، ١٩٤٧) ص ٣٣٤ ـ ٥

وللجاحظ رأي في الامام الصادق وأبيه الباقر • يقول الجاحظ : « وكان محمد بن علي بن الحسين ، سيد فقهاء الحجاز ، ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه ، وهو الملقب بالباقر ، باقر العلم »(٨٨) •

أما الكتاب المعاصرون فلهم آراؤهم في علم الامام الصادق• فدونالدسون عد الامام الصادق صاحب مدرسة شبه سقراطية(٨٩) ورأى أمير علي أن المدرسة التي أسسها الامام الصادق ، لم تغلق بوفاته ، بل ظلت تزدهر برعاية ابنه موسى الكاظم(٩٠) •

ولعل فيما أوردناه عن المركز العلمي الذي احتله الأمامان الباقر والصادق يضعف رأي الدكتور كامل الشيبي الذي يقول فيه أما الباقر « فقد اشتهر بالعلم حتى لقب بالباقر بناء على نبوءة من النبي بولادته ، ولكن علمه ضاع •• ولم يبق منه الا كونه لام اخاه زيداً ••• على الاخذ من واصل بن عطاء شيخ المعتزلة ••• » وعند كلامه عن علم الصادق يقول الشيبي أيضا « لكن هذا العلم ضاع في زحمة التلفيق عليه حتى لقد أعرض البخارى عن رواية أحاديثه • ولم يبق من تراث الصادق الا الشاذ من المعارف كالرسائل التي يرويها جابر بن حيان عنه في الكيمياء ••• والجفر في علم ما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص ••• »(٩١) •

وقد أوردنا معلومات وافية عن الانجازات الفكرية للائمة المعصومين بما فيهم الباقر والصادق في كتابنا الموسوم بـ « تاريخ التربية عند الامامية بين عصرى الامام الصادق والطوسي »(٩٢) •

---

(٨٨) الرسائل ــ باعتناء السندوبي (القاهرة ، ١٩٣٣) ص١٠٨ •

(٨٩) دونالدسن ، دوايت ، عقيدة الشيعة تر : ع•م (القاهرة ، ١٩٤٦) ص ١٣٢ •

(٩٠) مختصر تاريخ العرب ، تر : عفيف البعلبكي (بيروت ، ١٩٦١) ص ٢٠٩ •

(٩١) الفكر الشيعي (بغداد ، ١٩٦٦) ص ٣٣ ــ ٤ •

(٩٢) الكتاب المذكور اطروحتنا للدكتوراه ، وهو مهيء للطبع •

وبعد الامام الصادق تولى الامامان الكاظم والرضا الامامة بالتعاقب . واشتهر الامامان بالعلم ، ولكن دورهما رغم أهميته ، لايقارن من حيث الاهمية بدور الامامين الباقر والصادق . ويعود ذلك الى :

أولا - كانت رقابة خلفاء بني العباس المعاصرين للامام الكاظم شديدة على الامام المذكور[٩٣] .

ثانيا - انشغال الامام علي الرضا لفترة من حياته في السياسة وذلك حين ولاه المأمون ولاية العهد .

وكان للامام الكاظم عدد من التلامذة رووا عنه الحديث والفقه . منهم ابراهيم المروزي الذى ألف كتابا ضمنه ماسمعه من أحاديث الامام وهو في السجن[٩٤] . والحسن بن علي بن يقطين وله « كتاب مسائل موسى بن جعفر (ع) »[٩٥] وبكر بن الاشعث الذى روى « عن موسى بن جعفر كتابا »[٩٦] .

وقد وردت اسماء طائفة كبيرة من أصحاب الامام الكاظم (ع) في كتب الرجال ومن بينها رجال الطوسي[٩٧] .

أما تلامذة الامام الرضا (ع) فكان منهم يونس بن عبدالرحمن[٩٨] وعبدالله بن سعد بن حيان الذى روى عن الامام الرضا «كتاب الديات»[٩٩] .

وقد وردت أسماء طائفة كبيرة من اصحاب الامام الرضا وغيره من الائمة المعصومين الذين تولوا الامامة بعده أمثال محمد الجواد ، وعلي الهادى ، والحسن العسكرى في كتب الرجال ومن بينها رجال الطوسي .

---

(٩٣) المفيد ، الارشاد ، ص ٢٧٢ .
(٩٤) النجاشي ، الرجال ، ص ٣١٩ .
(٩٥) الطوسي ، الفهرست (النجف ، ١٩٣٧) ص ٧٣ .
(٩٦) النجاشي ، الرجال ، ص ٨٤ .
(٩٧) الرجال ، ص ٣٤٢ - وما بعدها .
(٩٨) الحلي ، الرجال ، ص٨٩ .
(٩٩) ايضا ، ص٤٣ .

العصمـــة :

يعتقد الشيعة الامامية بعصمة الائمة من الخطأ والخطيئة والنسيان • ويرون أن الامام بمثابة النبي معصوم من جميع الرذائل والفواحش ماظهر منها ، وما بطن ، من سن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا • قال الامام علي بن الحسين (ع) : « ان الامام منا لايكون الا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخليقة فيعرف بها ولذلك لايكون الا منصوصا • فقيل له : ••• فما معنى المعصوم ؟ قال هو المعتصم بحبل الله ، وحبل الله هو القرآن لايفترقان الى يوم القيامة »[(١٠٠)] •

وعالج الشريف المرتضى عصمة الانبياء والائمة في كتابه الموســوم بـ « تنزيه الانبياء »[(١٠١)] فقال عند كلامه عن الانبياء « قالت الشيعة الاماميـــة لا يجوز عليهم شيء من المعاصي والذنوب كبيرا كان أو صغيرا لا قبل النبوة ولا بعدها ، ويقولون في الائمة مثل ذلك »[(١٠٢)] •

ويعد العلامة الحلي (ت : ٧٢٦ هـ) من أكثر الكتاب الامامية عنايـة في معالجة موضوع العصمة • ويبدو أن تبلور عقيدة العصمة وتطورها عند الامامية مكنتاه من تقديم عدد كبير من الادلة على وجوبها مسندة بالقرآن والسنة ، وعلم الكلام • وضمن الحلي أدلته تلك بكتابه الموسوم بـ « الالفين الفارق بين الحق والمين »[(١٠٣)] •

---

(١٠٠) القمي ، محمد بن علي ، عيون أخبار الرضا ، ج١ (طهران ، ١٣١٨) ص ٥١ •

(١٠١) طبع الكتاب المذكور في النجف سنة ١٩٦٠ •

(١٠٢) المرتضى ، تنزيه الانبياء ، ص٣٠ •

(١٠٣) طبع الكتاب المذكور بعنوان « الالفين في امامة امير المؤمنين علي بن أبي طالب ع » في النجف ، سنة ١٣٧٢ هـ • ويبدو أن الكتاب لم يتمه مؤلفـه • وجاء في آخـر النسخة المطبوعة التي اعتمدناها « فهذا آخـر ما أردنا ايراده في هذا الكتاب من الادلة الدالة على وجوب عصمة الامام (ع) وهي الف وثمانية وثلاثون دليلا » •

ونورد هنا طائفة من الادلة التي أوردها الحلي في اثبات العصمة بعد أن عرف العصمة بأنها مايمنع المكلف من المعصية • وقال الحلي « وهي مايمتنع المكلف معه من المعصية متمكنا منها ولا يمتنع منها مع عدمها »[(١٠٤)]

أولا ـ لما « كان نصب الامام واجبا على الله تعالى استحال صدور الذنب منه » • اذ لو « صدر عنه الذنب لجوزنا الخطأ في جميع الاحكام التي يأمر بها وذلك مفسدة عظيمة »[(١٠٥)] •

ثانيا ـ « كل صفة نقص توجب احتياج موصفها في الكمال ونحوه الى غيره ، انما توجب الاحتياج الى غير موصوف بتلك الصفة فعدم المعصية أوجبت الاحتياج الى علة خارجة والخارج عن كل الممكن لا يكون ممكنا وواجب عدم الخطأ هو المعصوم »[(١٠٦)] •

ثالثا ـ أمر الله بطاعته ، وطاعة رسوله ، وطاعة اولي الامر « وكل من أمر الله تعالى بطاعته فهو معصوم لاستحالة ايجاب طاعة غير المعصوم مطلقا لانه قبيح عقلا »[(١٠٧)] •

رابعا ـ جاء في قوله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »[(١٠٨)] وغير المعصوم ضال فلا يسأل اتباع طريقه قطعا[(١٠٩)] •

ويرى كاتب امامي معاصر أن العصمة أمر ضروري لان الائمة حفظة الشرع والقوامون عليه ، حالهم في ذلك حال الانبياء (ص) ، وان الدليل

---

(١٠٤) الحلي ، الحسن بن يوسف ، الالفين (النجف ، ١٣٧٢) ص ٥٠

(١٠٥) أيضا ، ص ٥٥ •

(١٠٦) أيضا ، ص ٥٧ •

(١٠٧) أيضا ، ص ٦٠ •

(١٠٨) الفاتحة : آية ـ ٧ •

(١٠٩) الحلي ، الالفين ، ص ٦١ •

الذى اقتضانا أن نعتقد بعصمة الانبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الائمة بلا فرق[110] •

وناقش دونالدسن فكرة العصمة عند الشيعة وتوصل الى أن هذه الفكرة لم تأت عن طريق الاسفار الدينية اليهودية ، وكذلك العهد الجديد لم ينسب صفة العصمة الا ليسوع وحده • وقد اتخذه الذين آمنوا به لاول مرة المسيح المنتظر ، فنسبوا تلك الصفة له بأعتباره مسيحا لا نبيا ••• ويستخلص دونالدسن من بحثه « ان القرآن نفسه لا يؤيد عصمة الانبياء » • ويضرب أمثلة على ذلك عصيان آدم وموسى وداود[111] •

ويبدو أن دونالدسن اعتمد في تكوين فكرته السابقة عن العصمة على ظاهر القرآن • ويدحض الشريف المرتضى فكرة الاعتماد على ظاهر القرآن فيما يتعلق بالاخطاء التي نسبت للانبياء بقوله : « ان قوله تعالى (فان كنت في شك مماأنزلنا اليك) ظاهر الخطاب له (ع) والمعنى لغيره ••• وليس يمتنع عند من أنعم النظر أن يكون الخطاب متوجها الى النبي (ص) ، وليس يمتنع اذا كان الشك لا يجوز عليه لم يحسن أن يقال له : ان شككت فأفعل كذا كما قال تعالى : (لئن اشركت ليحبطن عملك)[112] ومعلوم أن الشرك لايجوز عليه •

ولا خلاف بين العلماء في أنه (ع) داخل في ظاهر آيات الوعيد والوعد وان كان لايجوز أن يقع منه مايستحق به من العقاب »[113] •

ويقول المرتضى أيضا : « أنه اذا ثبت بالدليل عصمة الانبياء (ع) فكل ماورد في القرآن مما له ظاهر ينافي العصمة ويقتضى وقوع الخطأ منهم ، فلابد من صرف الكلام من ظاهره ، حمله على مايليق بأدلة العقول ، لان

---

(١١٠) المظفر ، محمد رضا ، عقائد الشيعة (النجف ، ١٩٥٤) ص٤٥
(١١١) عقيدة الشيعة ، ص ٣٢٥ ـ ٦ •
(١١٢) الزمر ـ آية : ٦٥ •
(١١٣) المرتضى ، الامالي ، ج٢ (القاهرة ، ١٩٥٤) ص ٣٨٢ •

الكلام يدخله الحقيقة والمجاز ، ويعدل المتكلم به عن ظاهره ... على أن ظواهر الآيات التي خوطب بها النبي (ص) مما ظاهره كالعتاب ، منهـا المقصود به أمته ، والخطاب متوجه اليه ، ولهذا روى عن ابن عباس انه قال: نزل القرآن بأياك اعني واسمعي ياجارة ... »[١١٤] .

ثم يطرح السيد المرتضى السؤال التالي وهو : ماحقيقة العصمة التي يعتقد وجوبها للانبياء والائمة عليهم السلام ؟ وبعد أن يناقش المرتضى معنى العصمة يورد الجواب التالي لسؤاله السابق : « اعلم ان العصمة هي اللطف الذى يفعله الله تعالى ، فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح ، ويقـال ان العبد معصوم ، لانه اختار عند هذا الداعي الذى فعل له الامتناع مـن القبيح »[١١٥] .

ورأى المسعودى أن السبب الذى من أجله قال الامامية بالعصمة هو تجنب تسلسـل الائمة الى غير نهاية من جهة ، وخوفهم من أن يكون غـير المعصوم فاسقا أو فاجرا في الباطن من جهة اخرى . وينص على ذلك بقوله: « نعت الامام فى نفسه أن يكون معصوما من الذنوب ، لانه ان لم يكن معصوما لم يؤمن أن يدخل فيما دخل فيه غيره من الذنوب ، فيحتاج أن يقام عليه الحد ، كما يقيمه هو على غيره ، فيحتاج الامام الى امام الى غير نهايـة ، ولم يؤمن عليه أيضا أن يكون في الباطن فاسقا فاجرا ، كافرا »[١١٦] .

وبعد ماسبق نقول أن لعقيدة العصمة اهمية كبرى عند الامامية ويعود ذلك لما يأتى :

أولا ـ أراد الامامية فى تبني العصمة حصر القدسية بأئمتهم الاثنـي عشر المعصومين دون غيرهم من آل الرسول (ص) ، وبذلك حصروا الامامة

---

(١١٤) أيضا ، ج٢ ، ص ٣٩٩ .
(١١٥) المرتضى ، الامالي ، ج٢ ، ص ٣٤٧ .
(١١٦) مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٥٦ .

فيهم وأخرجوها من غيرهم بما في ذلك غير المعصومين من بني علي (ع)وبني هاشم •

ثانيا ــ ان الاعتقاد بعصمة الائمة جعل الاحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا ايصال سندها الى النبي (ص) كما هو الحال عند اهل السنة • وقدوضح الامام الباقر (ع) ذلك بقوله : « اذا حدثت في الحديث فلم اسنده ، فسندي فيه ابي عن جدي ، عن أبيه ، عن جده • عن رسول الله ، عن جبرائيل ، عن الله عزوجل »(١١٧) •

وظهر مما سبق أن أحاديث الائمة هي بمثابة احاديث النبي (ص) لان الامام المعصوم لا يروى الا عن امام معصوم وهذا الاخير روى عن النبي (ص) مباشرة وهذا يؤكد ماقلناه سابقا وهو أن الائمة لايأتهم الوحي ، لان الوحي انقطع بعد وفاة النبي (ص) بأجماع الامة بما فيهم الامامية ، بل هم نقلة لآثار النبي •

وترتب على عقيدة الامامية في طرق رواية الحديث ان اصبحت أحاديثهم مروية عن المعصومين • روى الكشي أن أبا مريم الانصاري قال : « قال لي أبو جعفر (ع) [الباقر] قل لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : شرقا أو غربا لن تجدا علما صحيحا الا شيئا خرج من عند أهل البيت » • وروى الكشي أيضا أن أبا بصير قال « سألت أبا جعفر (ع) عن شهدة ولد الزنا أتجوز ؟ قال : لا • فقلت : ان الحكم بن عتيبة يزعم أنها تجوز • فقال : اللهم لاتغفر ذنبه قال : الله للحكم أنه لذكر لك ولقومك، فليذهب الحكم يمينا وشمالا فوالله لايوجد العلم الا في اهل البيت نزل عليهم جبرائيل »(١١٨) •

ونود أن نشير هنا الى أن الامامية ، رغم تأكيدهم على ضرورة الرواية

---

(١١٧) المفيد ، محمد بن النعمان ، الارشاد (طهران ، ١٣٧٧) ص ٢٤٤ •

(١١٨) الرجال ، ص ١٨٣ •

عن المعصوم ، كانوا يروون عمن يثقون به من الصحابة • فالشيخ المفيد روى حديثا رفعه الى عمر بن الحمق الخزاعي[119] • وروى الصدوق مارفعه الى جبر بن عبدالله الانصارى[120] وروى الكليني حديثا رفعه الى سليم ابن قيس الهلالي قال : « قلت لامير المؤمنين (ع) اني سمعت من سلمان والمقداد وابي ذر شيئا من تفسير القرآن ••• » •

ومن الاحاديث عن نبي الله (ص) غير ما في أيدى الناس ، ثم سمعت منك تصديق ماسمعت منهم ••• »[121] ويبدو من الرواية السابقة أن الامام عليا أقر رواية جماعة من الصحبة مباشرة عن النبي (ص) ، واعترف ان أحاديثهم صحيحة رغم خلو سندها من معصوم من الائمة •

ويروى الامامية أحيانا عن عائشة (ر)• فالصدوق كان يروى عنها[122] كما رووا عن غير عائشة وان لم يكونوا من الشيعة • روى الطوسي حديثا رفعه الى أنس بن مالك[123] •

ونختتم حديثنا عن وجهة نظر الشيعة الامامية بصحة الاخبار التي تصدر عن المعصوم برأى الاستاذ كولدزيهر قال فيه : « ومن تعاليم الشيعة أن الاقوال والروايات التي ترجع الى رواية أكيدة عن الائمة ، هي أقوى في الاثبات والتيقن من الادراك المباشر للحواس ، وذلك لعصمة من روى عنهم وتنزههم عن الخطأ ، وهذه الاقوال اهل لان تهب المرأ يقينا صحيحا مطلقا أصح من ذلك اليقين المكتسب بطريق الحواس المعرضة للوهم والخداع »[124] •

---

(١١٩) الاختصاص ، ص ١٥ •

(١٢٠) من لايحضره الفقيه ، ج١ (النجف ، ١٩٥٧) ص ١٥١ •

(١٢١) الكافي ، ج١ ، ص ٦٢ •

(١٢٢) من لايحضره الفقيه ، ج١ ، ص٣٠ •

(١٢٣) الخلاف ، ج٣ (قم لا٠ت) ص ٩٤ •

(١٢٤) العقيدة والشريعة في الاسلام – ترجمة محمد يوسف وعبدالعزيز عبدالحق (القاهرة ، ١٩٤٦) ص ١٨٩ •

الغيبة :

يرى الشيعة الامامية « ان الزمان لا يخلو من حجة لله عقلا وشرعا »[١٢٥] فيترتب على ذلك ان الامام الثاني عشر المهدى صاحب الزمان غاب عن الابصار بعد سنة ٢٦٥هـ بأمر من الله ، وسيخرج في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج .

ويستند الامامية ، فيما يستندون ، على امامة المهدي وغيبته على حديث النبي (ص) الذى يقول فيه « يكون بعدى اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » الذى رواه اهل السنة والشيعة[١٢٦] . ويقول الطوسي بصدد الحديث المذكور « ومما يدل على امامة صاحب الزمان ابن الحسن بن علي بن محمد ابن الرضا (ع) وصحة غيبته ما رواه الطائفتان ... العامة والامامية ان الائمة (ع) بعد النبي (ص) اثنا عشر ... واذا ثبت ذلك فكل من قال بذلك قطع على الائمة الاثني عشر الذين نذهب الى امامتهم وعلى وجود ابن الحسن (ع) وصحة غيبته ... » ثم يورد الطوسي طائفة من الاخبار عن أهل السنة والامامية معا لاثبات الغيبة[١٢٧] .

ويعلل الصدوق سبب الغيبة بحديث رواه الصادق عن رسول الله (ص) قال فيه : (لابد للغلام من غيبة . فقيل له ولم يارسول الله قال يخاف القتل)[١٢٨] .

وأكد المرتضى العلة التي أوردها الصدوق في اعلاه لغيبة الامام الثاني عشر ، وهي أنه غاب خوفا على نفسه ، ولكن المرتضى بين أن غيبته كانت عن الاعداء أولا ، ثم اقتضت ارادة الله أن تكون الغيبة عن الاعداء والأولياء

(١٢٥) الطوسي ، الغيبة ، ص ٥٦ .
(١٢٦) النعماني ، الغيبة ، ص ٤٨ — ٩ .
(١٢٧) الغيبة ، ص ٨٧ — وما بعدها .
(١٢٨) علل الشرائع (النجف ، ١٩٦٣) ص ٢٤٣ .

..عا . قال المرتضى « اما الاستتار والغيبة فسببهما اخافة الظالمين له على نفسه...
ولم تكن الغيبة من ابتدائها على ماهي عليه الآن ، فأنه في ابتداء الامر كان ظاهرا لاوليائه غائبا عن أعدائه ، ولما اشتد الامر وقوى الخوف ، وزاد الطلب استتر عن الولي والعدو »[١٢٩] .

ويعتمد الشيعة الامامية سببا آخر للغيبة ، وهو أنها جرت تطبيقا لسنة الهية كانت قد جرت في الاديان السماوية والاخرى ، فلابد من حدوثها في الاسلام اسوة بتلك الاديان . حدث حنان بن سدير عن أبيه عن أبي عبدالله (ع) قال « ان للقائم منا غيبة يطول امدها فقلت ولم ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال أن الله عزوجل ابى ألا أن يجرى فيه سنن الانبياء عليهم السلام في غيباتهم ، وانه لابد له ياسدير من استيفاء مدد غيباتهم قال الله عزوجل لتركبن طبقا عن طبق أى سننا على سنن من كان قبلكم »[١٣٠] .

ولم تكن غيبة الامام المهدى جارية طبقا لسنن الانبياء وحسب بل أن مايتعلق بها من صغر سن الامام وسبب اختفائه ، ووفرة علمه ، وغير ذلك مما له علاقة بسيرته ، تسير وفق سنن وامثلة وجدت في الاديان السماوية الاخرى بما فيها الاسلام . فالامام المهدى الشيعي حباه الله بالامامة والعلم صبيا ، كما اوتي عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا الكتاب والنبوة والعلم والحكم صبيا ، والدليل على ذلك قول أبي عبدالله (ع) : فيه سنة من أربعة أنبياء أحدهم عيسى بن مريم (ع) لانه أوتي الحكم صبيا ، والنبوة والعلم ، واوتي هذا عليه السلام الامامة »[١٣١] وقال الطوسي « ان في صاحب الزمان (ع) شبها من يونس رجوعه من غيبته بشرخ الشباب »[١٣٢] .

وروى أن الصادق قال : « ان أصحاب موسى ابتلوا بنهر ، وهو قول

---

(١٢٩) تنزيه الانبياء ، ص ٢٢٨ .
(١٣٠) الصدوق ، علل الشرائع ، ص ٢٤٤ ـ ٥ .
(١٣١) ابن أبي زينب ، النعماني ، الغيبة ، ص ٩٧ .
(١٣٢) الغيبة ، ص ٢٥٩ .

الله عزوجل : (ان الله مبتليكم بنهر) وان أصحاب القائم يبتلون بمث
ذلك »[١٣٣] .

ولم يكن في سيرة الامام المهدى شبه بسيرة أنبياء الاديان الاخـرى وحسب ، بل فيها شبه بسيرة بني الاسلام (ع) . روى الطوسي أن أبا جعفر (ع) قال : « يبايع القائم بين الركن والمقام ثلثمائة ونيف ، عدة اهـل بـدر ... »[١٣٤] .

ونستنتج مما سبق : أولا أن الشيعة الاماميـة بتشبيههم غيبة الامام المهدى بسنن انبياء آخرين جعلوا لغيبة امامهم مفهوما يتعدى حدود الاسلام ويشمل الرسالة الالهية بكاملها .

ثانيا ـ مهد المفهوم السابق للغيبة لمهدى الامامية أن يصبح حاميـا للرسالة الآلهية التي قام بها الأنبياء وتحدرت تعاليمها من عهد آدم الى يومنـا هذا . ولهذا قال الامامية ان الامام الباقر (ع) قال انما « سمي المهدي لانه يهدى لأمر خفي ، يستخرج التوارة وسائر كتب الله ... فيحكم بـين أهل التوراة بالتوراة وبين أهل الانجيل بالانجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان ... »[١٣٥] .

وقد عالج فكرة غيبة المهدى عند الامامية عدد من الـكتاب المحـدثين من بينهم طائفة من الامامية . ومن أشهر الكتاب الامامية الذين عالجوا الغيبة:

أولا ـ الاستاذ علي محمد دخيل . وأورد الاستاذ المذكور في كتابه الموسوم بـ « الامام المهدى عليه السلام »[١٣٦] تفصيلات وافية عن الامـام المهدى وأسباب غيبته وغير ذلك مما له علاقة بموضوع المهدى . وقد أورد

(١٣٣) الطوسي ، الغيبة ، ص ٢٨٢ .
(١٣٤) ايضا ، ص ٢٨٤ .
(١٣٥) الصدوق ، علل الشرائع ، ص ١٦١ .
(١٣٦) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف دون ذكر تاريخ الطبع

خمسين آية من القرآن الكريم مؤلة في المهدى ، في فصل عنوانه « المهدى في القرآن الكريم »[137] كما عقد في كتابه المذكور فصلا بعنوان « الرسول الاعظم (ص) يبشر بظهور الامام المهدى (ع) »[138] ثم تناول الكـاتب أقوال الائمة (ع) في المهدى بفصول مماثلة • وأفرد فصلا بأسماء الصحابة الذين رووا أحاديث عن المهدى ، وقرن تلك الاسماء بالـكتب التي وردت فيها تلك الاحاديث[139] • وتلا ذلك بفصل مماثل عن التابعين[140] وختم كتابه المذكور بفصل عنوانه « الامام المهدى عند مؤلفي كتب الحديث مـن اهل السنة »[141] •

وتوصل الاستاذ علي محمد الى نتيجة وهي أن موضـوع « الامـام المهدى (ع) لا يختلف عن ضروريات الاسلام الاخـرى ، وانكاره انكار لضرورة من ضروريات الدين »[142] •

وربما كان الكتاب المذكور يمثل عقيدة الشيعة الامامية في المهدى(ع)•

ثانيا ـ الشيخ محمد رضا المظفر ، احد مجتهدى الشيعة المتأخرين • قال المظفر « ان البشارة بظهور [المهدي] من ولد فاطمة في آخـر الزمان يملأ الارض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا ـ ثابتة عن النبي (ص) بالتواتر وسجلها المسلمون جميعا فيما رووه من الحديث عنه على اختـلاف مشـاربهم •

وليست هي بالفكرة المستحدثة عند « الشيعة » دفع اليها انتشار الظلم والجور ، فحلموا بظهور من يطهر الارض من رجس الظلم ، كما يريد أن

---

(١٣٧) الامام المهدي ، ص ٣١ ، ٦٠ •
(١٣٨) ايضا ، ص ٦١ ـ ٧٨ •
(١٣٩) ايضا ، ص ١١٤ ـ ١١٧ •
(١٤٠) أيضا ، ص ١١٨ ـ ١٢١ •
(١٤١) أيضا ، ص ٣١٩ ـ ٣٢١ •
(١٤٢) أيضا ، ص ٧ •

يصورها بعض المغالطين » . ويستمر المظفر بقوله « ومما يجدر أن نعرفه في هذا الصدد أنه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ « المهدى » أن يقف المسلمون مكتوفي الايدى فيما يعود الى الحق من دينهم ، وما يجب عليهم من نصرته والجهاد في سبيله والاخذ بأحكامه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . بل المسلم أبدا مكلف بالعمل بما أنزل من الاحكام الشرعية[١٤١] .

وممن عالج الغيبة من الكتاب الآخرين ، كولدزيهر واحمد الكسروى و « وات » . قال كولدزيهر : ان العقائد المهدية عند الشرقيين والغربيين ، خاصة بأعادة النظم العادلة في الدين والسياسة تمتاز عليها جميعا عقيدة الشيعة في الامام الخفي الذى لابد من رجعته ، وتنفرد دونها بشدة رسوخها وقوة توكيدها »[١٤٤] .

ويقول أحمد الكسروى عن كيفية ظهور المهدوية : « لا يخفى أن قدماء الايرانيين كانوا يعتقدون بأله خير ويسمونه (يزدن) وبأله شر ويسمونه (اهريمن) وكانوا يزعمون أن هذين الالهين لن يزالا يحكمان على الارض حتى يقوم (ساوشيانت) بن زرادشت النبي فيغلب على اهريمن ويبيده ويصير العالم مهدا للخير لا يحكمه الا يزدان . فكانوا ينتظرون ساوشيانت ، وكان هذا المعتقد قد تأصل في قلوبهم وازداد اغصانا وأورقا بمرور الدهر شأن كل معتقد مثله . فلما ظهر الاسلام وفتح المسلمون العراق وايران واختلطوا بالايرانيين سرى ذلك المعتقد منهم الى المسلمين ونشأ بينهم بسرعة غريبة . ولسنا على بينة من أمر كلمة « المهدى » فلا نعلم من وضعها ومتى وضعها »[١٤٥] .

ويبدو أن رأى كسروى لايخلو من ضعف لان فكرة المهدية عرفت عند الشيعة قبل أن يعتنق الايرانيون التشيع كما بينا في الفصل الاول من

---

(١٤٣) عقائد الشيعة (النجف ، ١٩٥٤) ص ٥٧ ـ ٨ .
(١٤٤) العقيدة والشريعة ، ص ١٩٣ .
(١٤٥) التشيع والشيعة ، ص ٣٥ .

هذا الكتاب ، فمن المستبعد أن يقتبس الشيعة تلك الفكرة من الايرانيين •

أما وات فيقول ، عند بحثه لفكرة المهدى عند الشيعة ، ان عددا من قادة الحركة الشيعية كالمختار ، الذى لم يكن قرشيا ولا هاشميا ، ادعوا بوجود القائد الغائب • وقالوا أن احد أفراد عائلة بني هاشم ، ممن توفرت بهم صفات القائد الروحي « Charismatic Leader » اوكل اليهم قيادة الثورة في مراحلها الاولى • وكثيرا ماكان ادعاء اولئك القادة غير مستند الى الحقيقة ، ولكن الاوضاع التي وجدوا فيها دعت الى قبول الادعاء المذكور • ومكن ذلك الادعاء بدوره القادة الموهوبين من أن يكسبوا اتباعا للحركة الشيعية • وكانت الصفات الروحية ، خلال العصر الاموى وحتى فيما بعد ذلك ، حسب النظرية الرسمية لبني العباس ، متوفرة في جميع افراد بني هاشم ولا يقتصر وجودها على آل الرسول (ص) من أبناء فاطمة • وقد أصبح قبول الافكار التي لها علاقة بعودة مسيح منقذ (Messianic) سهلا بعد أن قبلت فكرة وجود الامام الغائب • وقد ظهر في حالات كثيرة أنه في حالة موت القائد الروحي يدعي أنصاره أنه لم يمت فعلا ، وانه يعيش في الخفاء ، وسيعود يوما كمهدي « أى كشخص يشبه المسيح عند اليهود » وسيعيد الحق والعدالة الى الارض • وقد ساعدت فكرة الامام الغائب الشيعة على قبول الانظمة السياسية والاجتماعية القائمة دون الاعتراف بأنها كاملة »[١٤٦] •

ونختم حديثنا عن الغيبة بالقول بأن تلك القضية من العقائد الاساسية عند الامامية ، وان البحث في التاريخية المطلقة للعقيدة أمر صعب التطبيق لذا يحسن بالمتدينين أن يستمدوا تفسيرهم للعقائد من دليل الوحي بالدرجة الاولى •

---

(١٤٦) Watt,Op. Cit, P. 107.

التقيـــة :

لاتدخل التقية في باب العقائد عند الامامية لانها اذن ورخصة تبـاح في بعض الحالات الخاصة التي حددتها كتب الفقهاء • لذا يعد الشيعة الامامية التقية من الفروع ولا ينزلونها منزلة العقائد لانها رخصة كما أسلفنا •

ويوضح الشيخ الطوسي موقف الامامية من التقية بقوله : « والتقيـة ـ عندنا ـ واجبة عند الخوف على النفس • وقد روى رخصة في جـواز الافصاح بالحق عندها • روى الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله (ص) فقال لاحدهما اتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم • قال : افتشهد اني رسول الله ؟ قال : نعم • ثم دعا بالآخـر فقـال : أتشهد ان محمداً رسول الله ؟ قال نعم • فقـال لـه أفتشهد انـي رسول الله ؟ قال اني أصم ـ قالها ثلاثا كل ذلك تقية ـ فتقول ذلك فضرب عنقه • فبلغ ذلك (يعني رسول الله) فقال أما هذا المقتول فمض على صدقه وتقيته ، واخذ بفضله فهنيئا له • واما الآخر فقبل رخصة الله ، فلا تبعـة عليه • فعلى هذا التقية رخصة والافصاح بالحـق فضيلة • وظاهر اخبارنا يدل على أنها واجبة وخلافها خطأ »[١٤٧] •

وسند الامامية رأيهم بالتقية بالقرآن والسنة معا • روى المفيد أن أبـا عبدالله (ع) لما سئل في قول الله « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة »[١٤٨] •

قال الحسنة التقية والسيئة الأذاعة « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم »[١٤٩] وقوله تعالى : « لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ••• الا أن تتقوا منهم تقاة الآية »[١٥٠]

---

(١٤٧) الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص ٤٣٥ •
(١٤٨) فصلت : آية ـ ٣٤ •
(١٤٩) الأختصاص ، ص ٢٥ •
(١٥٠) آل عمران : آية ـ ٢٨ •

وقوله تعالى « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان الآية »[151] وروى الطوسي أن الآية الاخيرة نزلت في عمار بن ياسر عندما أكرهه المشركون بمكة بأنواع العذاب على أن يلفظ بالكفر ، وكان قلبه مطمئنا بالايمان ، واستثني عمار من حكم الآية لانه كفر بلسانه . كما روى أيضا أن أبا علي قال « هذه معاريض يحسن من الله مثلها ، ولا يحسن من الخلق الا عند التقية [و] قال : الا ان على أهل العقول أن يعلموا أن الله لم يفعل ذلك الا على مايصح ويجوز ، وليس ذلك للانسان الا في حالة التقية ... »[152] أما دليل السنة فقد قال الامام الصادق : « تسعة اعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له ... »[153] وروى الامام موسى الكاظم حديثا عن النبي (ص) أشار فيه الى أن طاعة السلطان للتقية واجبة[154]

ونفيد مما سبق أن التقية مبدأ اسلامي ظهر في عهد الرسول (ص) وأقره ، كما بينا ، في حالتين وهما قضية عمار بن ياسر وقضية الرجلين المسلمين مع مسيلمة الكذاب .

ومما يدل على أن التقية مبدأ اسلامي معروف هو أن جماعات اسلامية أخرى غير الامامية أمثال طوائف من الخوارج والحنابلة اجازت اللجوء الى التقية عند الخوف على النفس . قال ابن الجوزي « فأخبرني ابو العباس وكان من حفاظ أهل الحديث ـ انهم دخلوا على أحمد بن حنبل بالرقة وهو محبوس فجعلوا يذاكرونه مايروى في التقية من الاحاديث ... »[155]

أما الاسباب التي جعلت الشيعة الامامية تستعمل رخصة التقية اكثر من غيرها فتعود الى كثرة الجور والاضطهاد اللذين تعرضت لهما تلك الطائفة

---

(١٥١) النحل : آية ـ ١٠٦ .
(١٥٢) التبيان ، ج ٦ ، ص ٤٢٨ ـ ٩ .
(١٥٣) القمي ، عيون اخبار الرضا ، ج١ ، ص١٤ .
(١٥٤) أيضا ، ص٤٥ .
(١٥٥) مناقب الامام احمد بن حنبل (القاهرة ، ١٣٤٩) ، ص ٣١٦ .

عبر تاريخها . قال الطوسي : « لم تلق فرقة ولا بلي أهل مذهب بما بليت به الشيعة : من التتبع والقصد وظهور كلمة أهل الخلاف ، حتى أنا لا نكاد نعرف زمانا ـ تقدم سلمت فيه الشيعة من الخوف ولزوم التقية ، ولا حالا عريت فيها من قصد السلطان وعصبيته وميله وانحرافه »[١٥٦] .

ونختم حديثنا عن التقية برأيين لمجتهدين معاصرين من مجتهدي الشيعة الامامية وهما المظفر وكاشف الغطاء . قال الشيخ محمد رضا المظفر ان « للتقية أحكاما من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع الضرر مذكورة في أبوابها في كتب العلماء الفقهية . وليست هي واجبة على كل حال ، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الاحوال ، كما اذا كان في اظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للاسلام ، وجهاد في سبيله ، فأنه عند ذلك يستهان بالاموال ولا تعز النفوس . وقد تحرم التقيه في الاعمال التي تستوجب قتل النفوس المحرمة ، أو رواجا لباطل ، أو فسادا في الدين ، أو ضررا بالغا على المسلمين ؟ ضلالهم أو انشاء الظلم والجور فيهم »[١٥٧] .

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء « والعمل بالتقية له أحكامه الثلاثة ، فتارة يجب كما اذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة، وأخرى يكون رخصة كما لو كان في تركها والتظاهر بالحق نوع تقوية له فله أن يضحي بنفسه وله أن يحتفظ عليها ، وثالثة يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجبا لرواج الباطل ، واضلال الحق ، واحياء الظلم والجور »[١٥٨] .

---

(١٥٦) تلخيص الشافي ، ج١ ، ص ٥٩ .
(١٥٧) عقائد الشيعة ، ص ٦٤ .
(١٥٨) أصل الشيعة واصولها (النجف ، ١٣٨١) ص ٦٣ ـ ٤ .

الرجعـــة

تطرق عدد من الكتاب[١٥٩] الى الرجعة بمعناها العام ، وبينوا فيما اذا كانت فكرة الرجعة اسلامية أم أنها مستوردة من الأديان الاخرى .

وسنقصر بحثنا على معنى الرجعة عند الامامية وذكرنا آراء غيرهم في الرجعة بالهامش ، ليسهل على القارىء مقارنة آراء الامامية بالرجعـة بآراء غيرهم فيها والغلاة منهم بخاصة . وربما كان الفارق الرئيس ، كما سنرى ، بين فكرة الرجعة عند الغلاة وفكرة الرجعة عند الامامية هو انها عند الامامية نوع من المعاد الجسماني وعند غيرهم اقرب الى التناسخ . ومن المعلوم أن المعاد الجسماني فكرة اسلامية ، بينما فكرة التناسخ فكرة غير اسلامية .

---

(١٥٩) يرى كولدزيهر (العقيدة والشريعة ، ص ٢١٥) ان « فكـرة الرجعة ذاتها ليست من وضع الشيعة أو من عقائدهم التي اختصوا بها ، ويحتمل أن تكون قد تسربت الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهـــودية والمسـيحية . فعند اليهود والنصارى ان النبي ايليا قد رفع الى السماء ، وانه لابد أن يعود الى الارض في آخر الزمان لاقامة دعائم الحق والعـدل ، ولا شك أن ايليا هو الا نموذج الاول لائمة الشيعة المختفين الغائبين ، الذين يحيون لا يراهم أحد ، والذين سيعودون يوما ما كمهديين منقذين للعالم » .

أما الدكتور الشيبي (الصلة بين التصوف والتشيع ، ج١ ، ص١١٥ ـ ٧) فقد تناول الرجعة من حيث هي عقيدة شيعية عامة . وقـرن الشيبى الرجعة بمحمد ابن الحنفية ، وبين انها اتصلت به ميتا ، كما اتصلت بـه المهدية حيا . ويرى الشيبي أن عددا من فرق الغلاة قال بالرجعـــة ، وان الكيسانية لم تكتف بالقول برجعة رؤسائهم وأنصارهم بل قالوا برجعة علي ابن أبي طالب ، وانه يقتل معاوية بن أبي سفيان وآل ابى ســـفيان ويهدم دمشق ويغرق البصرة .

وأطلق ابن الجوزي (تلبيس ابليس ، ص ٢٢) اسم « الرجعية » على جماعة الغلاة الاخيرة ، ورأى انهم (زعموا ان عليا وأصحابه يرجعون الى الدنيا وينتقمون من أعدائهم) .

يرى الامامية ان الرجوع بعد الموت ، بعد ظهور المهدى (ع) ضرورة من ضروريات مذهبهم • واستند الامامية بقولهم في الرجعة على الكتاب والسنة • ففي القرآن وردت الآية التالية : « قالوا ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل »[١٦٠] • قال الطوسي عند تفسيره للاية المذكورة « وفي الناس من استدل بهذه الآية على صحة الرجعة• والاماتة الثانية بعدها • والاحياء الثاني يوم القيامة •••[١٦١] •

ويبدو من تفسير الطوسي للاية المذكورة أن الله يحيي بقدرته جماعة من الناس لمصلحة قدرتها حكمته ، ويعيد أرواحهم الى أجسامهم الاولى نفسها فتكون لهم والحالة هذه قيامه صغرى • وبعد أن تتم الغاية الدينية التي من أجلها احياهم يميتهم مرة اخرى بقدرته • ثم يحشر اولئك الراجعين مع سائر الناس في يوم القيامة الكبرى حين يحشر جميع الخلق دون تفريق • ولما كانت الارواح تعود الى أجسامها الاولى يترتب على ذلك حصول نوع من المعاد الجسماني الذى أباحه الاسلام •

فالعقيدة الشيعية الامامية تفسر الرجعة على النحو المشار اليه في أعلاه ، بينما الرجعة في نظر الغلاة ، كما يرى الشيعة ، نوع من التناسخ الذى لاتبيحه الشريعة لابتعاده عن فكرة المعاد الجسماني أولا ، ولان الارواح تعود الى أجسام غير أجسامها الاولى ، وهو أمر لاتبيحه الشريعة ثانيا •

وقد وضح الامام الصادق (ع) رأيه في الغلاة وفي التناسخ ، ووصف أصحاب التناسخ بأنهم « قد خلفوا وراءهم منهاج الدين ، وزينوا لانفسهم الضلالات ••• والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه وولوجه في قالب آخر ، فأن كان محسنا في القالب الاول اعيد في قالب أفضل منه حسنا في

---

(١٦٠) سورة غافر ـ ٤٠ ـ ١١ •

(١٦١) التبيان ، ج٩ (النجف ، ١٩٦٣) ص ٦٠ •

أعلى درجة من الدنيا ، وان كان مسيئا أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا ، أو هوام مشوهة الخلقة ... »[١٦٢] .

ويترتب على ذلك أن الغلاة أصحاب التناسخ بنكرانهم القيامة ، وبقولهم بخروج الروح من قالبه (جسمها) السابق الى جسم جديد ، على حد قول الامام الصادق (ع) ، قد خلفوا وراءهم منهاج الدين .

أما الشيعة الامامية الذين يمثل رأيهم الامام الصادق (ع) فأنهم يخالفون الغلاة لان عقيدتهم تجعل الارواح القديمة عند حصول الرجعة تعود الى أجسامها القديمة . وبذا تقرر عقيدتهم أن رجعتهم تنسجم مع تعاليم الاسلام لانها نوع من المعاد الجسماني ، وان رجعة الغلاة أو تناسخ الارواح لاتنسجم مع تلك التعاليم .

ويبحث فكرة الرجعة عند الامامية الشيخ محمد رضا المظفر فقال « ان الذى تذهب اليه الامامية اخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الاموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها ، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر ، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين . وذلك عند قيام مهدي آل محمد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام » .

ويورد الشيخ المظفر ادلة من الكتاب ومن الاخبار الواردة عن آل البيت (ع) ، ثم يفند حجج الطاعنين على الامامية لقولهم بالرجعة . ويخلص الى القول أن من يستغرب الرجعة يكون بمثابة من يستغرب البعث فيقول: « من يحيي العظام وهي رميم » فيقال له : «يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

---

(١٦٢) الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢ (النجف ، ١٩٦٦) ص٨٩ .

وينهي الشيخ المظفر حديثه عن عقيدة الرجعة عند الامامية بقوله « على كل حال فالرجعة ليست من الاصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها ، وانما اعتقادنا بها كان تبعا للاثار الصحيحة الواردة عن آل البيت (ع) الذين ندين بعصمتهم من الكذب وهي من الامور الغيبية التي اخبروا عنها ، ولا يمتنع وقوعها »[١٦٣] .

---

(١٦٣) المظفر الشيخ محمد رضا ، عقائد الشيعة (النجف ، ١٩٥٤) ص‌ص٥٩ ـ ٦٣ .

الملاحق

ملاحق الكتاب

الملحق الاول

الكوفة والتشيع في عهد الائمة المعصومين (ع)

بينا في الفصل الاول من هذا الكتب أن الكوفة كانت أول مركز نمت عقيدة التشيع فيه، وتطورت بين ربوعه • ونتيجة لذلك احتلت الكوفة مركزا مرموقا في الأدب الشيعي الامامي • ورويت أقوال وأحاديث كثيرة للائمة أو لغيرهم يتضمن بعضها فضل الكوفة، بينما يتضمن البعض الآخر صلة أهلها بالشيع • ويصعب أن نجد انسجاما بين مضمون ما سنورده من الاحاديث والاقوال وبين موقف أهل الكوفة الفعلي من آل الرسول (ص) في تلك الفترة، اذ من المعلوم ان جل المصائب التي نزلت بآل البيت، خلال عهد الاوائل من الائمة بخاصة، كانت على يد أناس أغلبهم من الكوفيين، كما أن اكثر تلك المصائب حصل في محيط كوفي •

ويعبر القول الذي أجاب به أحدهم الحسين بن علي (ع) حين سأله عن أهل العراق، وهو « قلوبهم معك وسيوفهم عليك »، عن ولاء غالبية أهل الكوفة في بداية الامر • ولكن الولاء المذكور مالبث أن تحول مع الزمن الى عقيدة شيعية عميقة اتخذت من قلوب غالبية معتنقيها وافكارهم موطنا لها، دون أن تلزم الغالبية المذكورة نفسها بالتضحية بدمائها من أجل تلك العقيدة •

وان تقاعس اهل الكوفة في نصرة آل البيت (ع) بالسلاح في حياتهم فأنهم أصبحوا فيما بعد من الموالين لهم، ومن المخلصين المتمسكين بالعقيدة « الجعفرية » التي عرفت فيما بعد « بالامامية » وكانت بذور العقيدة المذكورة قد رسخت جذورها بين الكوفيين، ثم اينعت واتت ثمارها بين ظهرانيهم •

وكان ذلك نتيجة لجهود مشتركة بذلها الائمة المعصومون (ع) وعلماء الشيعة اسلاف الامامية ، ثم واصلها علماء الامامية بعد انقضاء عهد اولئك الائمة .

وقلما بذل الكوفيون الشيعة اسلاف الامامية دماءهم ، باستثناء عهد علي بن أبي طالب (ع) ، تحت راية ائمتهم من أجل ارجاع حق آل البيت في زعامة المسلمين ، وتركوا تلك المهمة للشيعة الزيدية وغيرهم من فرق الشيعة . ويعود ذلك لاسباب سردناها في صلب الكتاب فلا حاجة لتكرارها .

واليك طائفة من الاقوال والاحاديث التي قيلت في فضل الكوفة وفي توضيح صلة أهلها بالتشيع الذى عرف فيما بعد بالتشيع الامامي .

روى ابن عباس ان رسول الله (ص) قال لعلي (ع) : « ياعلي ان الله عزوجل عرض مودتنا اهل البيت على السموات فأول من اجاب منها السماء السابعة فزينها بالعرش والكرسي ، ثم السماء الدنيا فزينها بالنجوم ، ثم أرض الحجاز فشرفها بالبيت الحرام ، ثم أرض الشام فشرفها ببيت المقدس ثم أرض طيبة فشرفها بقبري ، ثم أرض كوفان فشرفها بقبرك يا علي ... »[1]

ويبدو من الحديث السابق ان الكوفة أصبحت من الاماكن المشرفة لانها قبلت مودة آل البيت . قال البلاذرى أن سلمان الفارسي قال : « الكوفة قبة الاسلام ، يأتي على الناس زمان لايبقى مؤمن الا وهويها أو يهوى قلبه اليها »[2] .

قال ابن طاووس « اشترى أمير المؤمنين علي (ع) مابين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة من الدهاقين بأربعين الف درهم واشهد على شرائه ... فقيل له ياأمير المؤمنين تشترى هذا بهذا المال وليس تنبت قط فقال سمعت من رسول الله (ص) يقول كوفان يرد أولها على آخرها يحشر من ظهرها

---

(١) ابن طاووس ، عبدالكريم ، فرحة الغري (النجف ، ١٣٦٨) ص ٢٧ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٢٨٧ .

سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب واشتهيت أن يحشروا في ملكي[٣] .

روى البلاذري أن العباس النرسي حدثه قال : « بلغني أن المختار ابن أبي عبيد أو غير ، قال : حب أهل الكوفة شرف وبغضهم تلف »[٤] قال البلاذري أخذ الخليفة المنصور « أهل الكوفة بحفر خندقها والزم كل امرىء منهم للنفقة عليه أربعين درهما وكان ذاما لهم لميلهم الى الطالبيين وأرجافهم بالسلطان »[٥] .

وقد أصبح لمسجد الكوفة وللمساجد الشيعية الاخرى حولها قدسية خاصة في نظر الشيعة الامامية . فجاء في الروايات « ان علي بن الحسين (ع) أتى مسجد الكوفة عمدا من المدينة فصلى فيه ركعتين ثم جاء حتى ركب راحلته وأخذ الطريق » . وان الامام الباقر (ع) قال « لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لاعدوا له الزاد والراحلة من مكان بعيد » وقال أيضا « صلاة فريضة فيه تعدل حجة ونافلة فيه تعدل عمرة »[٦] .

وروى ان الامام الصادق (ع) قال « مكة حرم الله وحرم رسول الله وحرم علي الصلاة فيها بمائة ألف صلاة والدرهم فيها بمائة ألف درهم والمدينة حرم الله وحرم رسوله (ص) وحرم علي أمير المؤمنين (ع) الصلاة في مسجدها بعشرة آلاف صلاة والدرهم فيها بعشرة آلاف درهم والكوفة حرم الله وحرم رسول الله (ص) وحرم أمير المؤمنين علي (ع) . الصلاة في مسجدها بألف صلاة »[٧] .

وهكذا نجد منزلة الكوفة ترتفع الى مصاف منزلة الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وذلك بقبولها عقيدة التشيع وحبها لآل البيت .

---

(٣) فرحة الغري ، ص ٢٩ .
(٤) فتوح البلدان ، ص ٢٧٨ .
(٥) أيضا ، ص ٢٨٧ .
(٦) ابن قولويه ، كامل الزيارات ، ص ٢٨ .
(٧) أيضا ، ص ٢٩ .

أما مسجد السهلة الذي يقع على بعـد بضعة كيلومترات من مسـجد الكوفة فهو الآخر كان من بين الامكنة الشريفة عند الشيعة اسلاف الامامية ثم الامامية من أحفادهم .

وعندما سئل الصادق (ع) عن أي بقاع الأرض أفضل بعد حـرم الله عزوجل وحرم رسول الله (ص) قال : « الـكوفة ... هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبين والمرسلين وقبور غير المرسلين والاوصياء الصادقين ، وفيها مسجد سهيل [يقصد السهلة] الذى لم يبعث الله نبيا الا وقد صلى فيه ، ومنها يظهر عدل الله ومنها يكون قائمه والقوام من بعده وهي منازل النبيين والاوصياء والصالحين »[٨] .

ويبدو من الحديث السابق ان القائم أي المهدى يخرج في منطقة الكوفة. وقد جمع السيد حسين البراقي النجفي طائفة كبيرة من الاحاديث والاقوال التي رويت عن الائمة وغيرهم من الشيعة في فضل الكوفة بكتابه الموسوم بـ « تاريخ الكوفة »[٩] .

ونختم حديثنا عن الكوفة بالآراء والملاحظات التالية :ـ

أولا ـ كانت الكوفة تميل في عقيدتها السياسية للالتزام بالحـــق الشرعي أى أنها تشترط توفر الشرعية Legitimateness في حكامها. ونتيجة لذلك نجد أن فكرة النص والتعيين في الامامة الشيعية تجد قبولا كبيرا في الـــكوفة . وكـان للامامين الباقر والصادق وهمـا من أئمـة الشيعة أسلاف الامامية اليد الطولى في تثبيت فكرة الامام المنصوص عليه ونشرهـا بين أسلاف الامامية بعامة ، ومن بينهم أهل الكوفة بخاصة . وكـان لنجـاح الامامين المذكورين في تثبيت فكرة النص على الامام اثر كبير في نشر عقيـدة الشيعة بين معتنقيها من اسلاف الامامية لان القول بالنص ، بنوعيه الجـــلي

---

(٨) أيضا ، ص ٣٠

(٩) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٦٠ .

والخفي ، اس التشيع الامامي وجوهره • وعرف الكتاب الشيعة اسلاف الامامية بأنهم هم الملتزمون بالوصية والسائرون على المنهاج الاول • ويقصدون بذلك أن اولئك الشيعة يلتزمون بنص النبي (ص) على خلافة علي (ع) وامامته ونص علي على من بعده وهكذا ينص المتقدم منهم على من بعده حتى تمت سلسلة الائمة الاثني عشر المعصومين من ولد علي من فاطمة والتي تنتهي بالامام الغائب (ع) •

ويعزى ميل الكوفة الى الشرعية في السياسة الى انتشار العقيدة التي اعتنقها الشيعة اسلاف الامامية فيها بصورة مبكرة أولا ، والى ما ورثته من تقاليد الساسانيين في الحكم ثانيا والى أن معظم سكانها العرب كانوا من اليمانيين الذين ألفوا ذلك النوع من الحكم في وطنهم الاصلي ثالثا •

ثانيا ـ اتخذت الكوفة فكرة « الاجتهاد » واستنباط الاحكام الفقهية من أدلتها الشرعية أساسا لبناء تراثها الفكري في الحقوق • وتجلى الاتجاه المذكور ليس عند الشيعة اسلاف الامامية حسب ، بل ظهر عند غيرهم من المسلمين الكوفيين أمثال ابي حنيفة (ر) •

وقد تكللت جهود الامامين الباقر والصادق (ع) بالنجاح حين كونوا طبقة نيرة من فقهاء الشيعة اسلاف الامامية • وكان للطبقة المذكورة ، وخاصة الكوفيين منهم ، أثر كبير في استنباط الاحكام وفي ترسيخ فكرة الاجتهاد بين الفقهاء وقد اصبح الاجتهاد من أشهر مميزات الشيعة اسلاف الامامية ، ثم ورثوا تلك الفكرة الى الاجيال اللاحقة من الامامية • ولا يزال الاجتهاد وضرورة وجود مجتهد أو مجتهدين في كل عصر ، من الضروريات اللازمة بين أوساط الشيعة الامامية •

وسنضرب أمثلة من فقهاء الشيعة اسلاف الامامية من اصحاب الباقر والصادق (ع) •

قال الكشي « اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الاولين من أصحاب أبي جعفر وأصحاب ابي عبدالله (ع) وانقدوا لهم بالفقه فقالوا : افقه الاولين ستة زرارة ومعروف بن خربوذ وبريد وابو بصير الاسدى والفضيل بن يسار ومحمد بن مسلم الطائفي ... »[١٠] • ثم يقول الكشي « اجمعت العصابة على تصحيح مايصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون واقروا لهم بالفقه من دون اولئك الستة الذين عددناهم وسميناهم ستة نفر جميل بن دراج ، وعبدالله بن مسكان ، وعبدالله بن بكير ، وحماد بن عثمان وحماد ابن عيسى وابان بن عثمان ... »[١١] •

ومن الجدير بالذكر ان الاكثرية العظمى من اولئك الفقهاء كانوا من الكوفة ، وجميعهم من الشيعة اسلاف الامامية ، وقد وردت تراجم اولئك العلماء في الكشي وغيره من كتب الرجال •

ثالثا ـ الجانب الاجتماعي في حركات الغلاة الكوفيين • بينا في الفصل الثالث من هذا الكتاب أن الكوفة كانت المركز الرئيس لغلاة الشيعة • كما بينا اسباب ظهور الغلو وموقف المسلمين ، بما فيهم الشيعة منه • ونضيف هنا ان ظهور الغلو في الكوفة كن دليلا على التقدم الفكرى العميق والوعي الاجتماعي عند أهل الكوفة • لان فى الغلو ، رغم انحراف القائلين به عن الاسلام ، جانبا اجتماعيا ايجابيا وذلك أن القائلين به كانوا بالنسبة لمعاصريهم اكثر شعورا بظلم الانسان لاخيه الانسان • ويبدو ان اكثرية الغلاة ، اتخذت من الغلو وسيلة للثورة الاجتماعية على الطبقية والعشائرية اللتين تبناهما حكام المسلمين حينذاك • ولعل في حركة المختار التي انضم اليها الغلاة ، الذين كانت غالبيتهم من المستضعفين في الارض ، دليلا على وجود الجنب الاجتماعي في حركات الغلو ... ثم ان الغلاة كانوا بمثابة

---

(١٠) الرجال (النجف ، لا٠ت) : ص ٢٠٦ •
(١١) أيضا ، ص ٣٢٢ •

العمود الفقرى للدعوة العباسية لان قادتها قالوا بالدعوة الى الرضا من آل محمد ودعوا الى تطبيق العدل الاجتماعي بين المسلمين كافة .

رابعا ـ ان الانتاج الفكري والأدبي الشيعي الأصيل وضعت بذرته في الكوفة غالبا . فنهج البلاغة الذى يعده الشيعة اسلاف الامامية ثم الامامية من أحفادهم ، كما يعده الكثيرون من غيرهم ، اعظم كتاب اسلامي بعد كتاب الله الشريف ، القى الامام علي بن أبي طالب (ع) معظم مواده من على منبر الكوفة . ثم ان ما أملاه علي (ع) على أبي الاسود في النحو ، فضلا عما أنجزه أبوالاسود بهذا الخصوص ، كان في الكوفة أيضا . يضاف الى ذلك ان الكميت الاسدى صاحب الهاشميات الخالدات كان من الشيعة اسلاف الامامية ، كما كانت الكوفة موطنه أيضا . أما انتاج الشيعة اسلاف الامامية الكوفيين ثم الامامية من بعدهم في الزهد والتصوف فقد تناوله الكاتب المشهور الدكتور كامل مصطفى في كتابه الموسوم بـ « الصلة بين التصوف والتشيع »[١٢] . وليس لدينا هنا ما نضيف الى ما توصل اليه الشيبي بهذا الخصوص .

ونخرج من كل ماسبق بنتيجة وهي أن الكوفة كانت الموطن الرئيس للشيعة والتشيع في الادوار الاولى من حياة الشيعة وذلك في عهد الائمة المعصومين (ع) ، ونعني بالشيعة هنا ماسميناهم بالشيعة اسلاف الامامية ،وهم الذين عرفوا بعد الغيبة بالامامية وهؤلاء واولئك موضوع بحثنا في هذا الكتاب .

---

(١٢) طبع الكتاب المذكور ببغداد سنة ١٩٦٣ .

الملحق الثاني

عدد الائمة المعصومين ونبذ عن احوالهم

يعتقد الامامية بأثني عشر اماما من ولد علي من فاطمة (ع) • وكان تسعة من الائمة من ولد الحسين (ع) • وكن كل اولئك الائمة معصومين كما بينا في الفصل الرابع من هذا الكتاب • والائمة المعصومون مرجع الامامية في الاحكام الشرعية • وهم منصوص عليهم بالامامة ، نص عليهم النبي (ص) جميعا بأسمائهم ، ثم نص المتقدم منهم على من بعده على النحو التالي :ـ

١ ـ أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضى) المتولد سنة ٢٣ قبل الهجرة والمقتول سنة ٤٠ بعدها • ولد بمكة المكرمة وقتل في الكوفة • ومرقده في النجف الاشرف بالعراق • وامه السيدة فاطمة بنت أسد •

٢ ـ أبو محمد الحسن بن علي (الزكي) • ولد في المدينة المنورة سنة ٢هـ وتوفي سنة ٥٠هـ • وقبره في البقيع بالمدينة المنورة • وأمه السيدة فاطمة بنت النبي (ص) •

٣ ـ أبو عبدالله الحسين بن علي (سيد الشهداء) • ولد في المدينة المنورة سنة ٣هـ واستشهد بكربلاء سنة ٦١هـ • ومرقده بكربلاء في العراق وامه السيدة فاطمة (ع) •

٤ ـ أبو محمد علي بن الحسين (زين العابدين) • ولد في المدينة المنورة سنة ٣٨هـ وتوفي فيها سنة ٩٥هـ • وقبره في المدينة المنورة في الحجاز وامه السيدة شهربانويه[1] •

---

(١) السيدة شهربانويه أو شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى • وكانت لشهربانويه أخت نحلها الامام علي (ع) لمحمد بن ابي بكر فولدت له القاسم • فعلي بن الحسين والقاسم بن محمد بن ابي بكر ابنا خالة (المفيد ، الارشاد ، ص ٢٣٧) •

٥ ـ أبو جعفر محمد بن علي (الباقر) ولد سنة ٥٧هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١١٤ ـ ١١٩هـ وقبره في المدينة المنورة • وأمه السيدة فاطمة بنت الحسن •

٦ ـ أبو عبدالله جعفر بن محمد (الصادق) ولد سنة ٨٣هـ في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١٤٨هـ وقبره فى المدينة المنورة • وامه السيدة ام فـــروة •

٧ ـ أبو ابراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) ولد سنة ١٢٨هـ في قرية (الابواء) في الحجاز بين مكة والمدينة • وتوفي سنة ١٨٣هـ في سجن الرشيد ببغداد • ومرقده في الكاظمية على بعد (٨) أميال من بغداد عاصمة العراق وامه السيدة حميدة •

٨ ـ أبو الحسن علي بن موسى (الرضا) ولد سنة ١٤٨هـ في المدينـة المنورة وتوفي سنة ٢٠٣هـ بطوس في خراسان • ومرقده فـي مشهد فـي خراسان من بلاد ايران • وامه السيدة ام البنين •

٩ ـ أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) ولد في المدينة المنورة ١٩٥هـ وتوفي ببغداد سنة ٢٢٠هـ • ومرقده بالكاظمية جوار بغداد • وامه السـيدة سـبيكة •

١٠ ـ أبو الحسن علي بن محمد (الهادى) ولد في المدينة المنورة سنة ٢١٢هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٥٤هـ ومرقده بسامراء في العراق • وأمه السيدة سـمانة •

١١ ـ أبو محمد الحسن بن علي (العسكرى) ولد فى المدينة المنورة سنة ٢٣٢هـ • وتوفي بسامراء سنة٢٦٠هـ ومرقده بسامراء • وامه السـيدة حديثـة •

١٢ ـ أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدى) ولد بسامراء سنة ٢٥٦هـ وامه السيدة نرجس وهو الحجة في العصر الحاضر أى الامام الغئب المنتظر وعند خروجه ، كما يعتقد الامامية يملأ الارض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجـــورا •

اعتمدنا فيما قدمناه من معلومات عن الائمة في هذا الملحق على كتاب المفيد الموسوم بـ «الارشاد»[١] وسيجد القارىء تفصيلات وافية عن حياة الائمة المعصومين (ع) في الكتاب المذكور ، وفي كتاب « مناقب آل ابـــي طالب »[٢] لابن شهراشوب• أما المعلومات التي قدمناها هنا فليس فيها من جديد وكان الهدف من اعدادها تيسير المعلومات الاولية عن الائمة (ع) الـــذين احتلوا اجزاء كبيرة من متن الـكتاب ، وجمعهـا في مكان واحـد لتسهل مراجعتها عند الضرورة •

---

(١) طبع الكتاب المذكور في طهران سنة ١٣٧٧ هـ •

(٢) طبع الكتاب المذكور في النجف الاشرف سنة ١٩٥٦ م •

الفهارس

أولاً

فهرست الآيات القرآنية

(أ)

(ب)

(ف)

● فانبتنا فيها حبا ● وعنبا وقضباً ● وزيتونا ونخلا ● وحدائق غلبا ● وفاكهة وابا ●

(عبس ٨٠ : ٢٧ – ٣١) – ١٣

(ق)

● قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين ...

(غافر ٤٠ – ١١) – ١٧

(ل)

● لا يتخذ المؤمنون الكفرين اولياء من دون المؤمنين ... الا ان تتقوا منهم تقاة ...

(آل عمران ٣ : ٢٨) – ١٦٦

(م)

● ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ...

(آل عمران : ٣ – ٦٧) – ٣٤ .

● من كفر بالله ... الا من أكره وقلبه مطمئن بالأيمان ...

(النحل : ١٦ – ١٠٦) – ١٦٧ .

(و)

● واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ...

(البقرة ٢ : ١٢٤) – ١٣٢

● واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ...

(البقرة : ٢ – ٣٠) – ١٣١

- واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ...
ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ...
(الصف : ٦١ – ٦) – ١٣٥

- واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا
انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ...
(البقرة ٣ : ١٣) – ٤٨

- وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ...
(الزخرف : ٤٣ – ٤٤) – ١٤٤

- وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا ...
(يونس : ١٠ – ٩٠) – ٣٤

- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ...
(فصلت : ٤١ – ٣٤) – ١٦٦ .

- ولقد أوحي اليك ... لئن اشركت ليحبطن عملك ...
(الزمر : ٣٩ : ٦٦) – ١٥٦

- ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ...
(القصص : ٢٨ – ٥) – ٤٩

(هـ)

- هو الذي انزل عليك الكتاب ... وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ...
(آل عمران : ٣ : ٧) – ١٤٣ .

ثانياً :

فهرست الفرق

(أ)

ثالثاً :

فهرست الأعلام

(أ)

(ب)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ك)

(ل)

(ن)

(ی)

المصـــادر

الأمام ، علي بن الحسين ، ت : ٩٥هـ •

الصحيفة السجادية (النجف ، ١٣٥٢هـ) •

أبو مخنف (المنسوب) لوط بن يحيى ، ت ١٥٧ هـ •

في مقتل الأمام ابي عبدالله الحسين (النجف ، ١٩٥٦م)•

المنقري ، نصر بن مزاحم ، ت : ٢١٢هـ •

وقعة صفين (القاهرة ، ١٣٦٥هـ) •

ابن سعد ، محمد ، ت : ٢٣٠هـ •

الطبقات ، ج٥ (ليدن ، ١٣٣٢هـ) •

الجاحظ ، عمرو بن بحر ، ت : ٢٥٥هـ •

الرسائل ـ باعتناء السندوبي (القاهرة ، ١٩٣٣م) •

البرقي ، أحمد بن ابي عبدالله ، ت : ٢٧٤/٢٨٠هـ •

الرجال (طهران ، ١٣٨٣هـ) •

البلاذري ، أحمد بن يحيى ، ت : ٢٧٩هـ •

انساب الأشراف ، ج٢ و ج٦ (القدس ، ١٩٣٦م) •

ـــــــــــ ، فتوح البلدان (القاهرة ، ١٩٠١م) •

المبرد ، محمد بن يزيد ، ت : ٢٨٥هـ •

الكامل ، ج٢ (القاهرة ، ١٣٠٨هـ) •

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، ت : ٢٩٢هـ •

التاريخ ، ج٢ (النجف ، ١٣٥٨هـ) •

النعماني ، محمد بن ابراهيم (من علماء القرن الثالث الهجرى) •

الغيبة (طهران ، ١٣٨٢ هـ) •

النوبختي ، الحسن بن موسى ، ت : ح ـ ٣٠٠ هـ •

فرق الشيعة ـ تح : هـ • ريتر (استانبول ، ١٩٣١م) •

وطبعة أخرى (النجف ، لا • ت) •

الأشعري ، سعد بن عبدالله ، ت : ٣٠١هـ •

المقالات والفرق (طهران ، ١٩٦٣م) •

ابن رستم الطبري ، محمد بن جرير (من علماء القرن الرابع الهجرى) •

المسترشد في امامة علي (ع) (النجف ، لا • ت) •

الطبرى ، محمد بن جرير ، ت : ٣١٠هـ •

تاريخ الرسل والملوك ٨ اجزاء (القاهرة ، ١٣٥٧هـ) •

الكليني ، محمد بن يعقوب ، ت : ٣٢٨/٢٩هـ •

الكافي ٨ أجزاء (طهران ، ١٣٨١هـ) •

وطبعة أخرى ـ حجر (تبريز ، ١٣١٢هـ) •

الأشعرى ، علي بن اسماعيل ، ت : ٣٣٠هـ •

مقالات الأسلاميين (القاهرة ، ١٩٥٠م) •

الكشي ، محمد بن عمر ، ت • ح ـ ٣٤٠هـ •

الرجال (النجف ، ١٣٨٣هـ) •

وطبعة أخرى (بمبي ، ١٣١٧هـ) •

المسعودي ، علي بن الحسين ، ت : ٣٤٦هـ •

التنبيه والأشراف (ليدن ، ١٨٩٣م) •

ـــــــــــ ، مروج الذهب ، ٤ أجزاء (القاهرة ، ١٩٥٨م) •

ـــــــــــ ، الوصية (النجف ، لا • ت) •

الأصفهاني ، ابو الفرج ، ت : ٣٥٦هـ •

مقاتل الطالبين ، ٣ أجزاء (بيروت ، ١٩٦١ م) •

ابن قولويه ، جعفر بن محمد ، ت : ٣٦٧هـ •

كامل الزيارات (النجف ، ١٣٥٦هـ) •

المقدسي ، البشاري ، نبغ ٣٧٥هـ .

احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ، ١٩٠٦م) .

القمي ،حسن بن محمد ، ت : ٣٧٨هـ .

تاريخ قم ـ بالفارسية (طهران ، ١٣٥٣ هـ) .

التوحيدي ، أبو حيان ، ت : ٣٨٠هـ .

البصائر والذخائر ، ج١ (بغداد ، ١٩٥٤م) .

الصدوق ، محمد بن علي القمي ، ت : ٣٨١هـ .

الخصال (طهران ، ١٣٢٠هـ) .

ـــــــــــ ، علل الشرائع (النجف ، ١٩٦٣م) .

ـــــــــــ ، عيون أخبار الرضا ، ج١ (طهران ، ١٣١٨هـ) .

ـــــــــــ ، معاني الأخبار (طهران ، ١٣٧٦هـ) .

ـــــــــــ ، من لا يحضره الفقيه ، ج١ (النجف ، ١٩٥٧م) .

الرضي ، الشريف محمد بن الحسين ، ت : ٤٠٦هـ .

حقائق التأويل في متشابهات التنزيل ، ج٥ (النجف ، ١٩٣٦م) .

العكبري ، الشيخ المفيد ، ت : ٤١٣هـ .

الأختصاص (طهران ، ١٣٧٩هـ) .

ـــــــــــ ، الأرشاد (اصفهان ، ١٣١٢هـ) .

ـــــــــــ ، الأمالي (النجف ، ١٣٥١هـ) .

المرتضى ، الشريف علي بن الحسين ، ت : ٤٣٦هـ .

الأمالي ، ج١ (القاهرة ، ١٩٥٤م) .

ـــــــــــ ، تنزيه الأنبياء (النجف ، ١٩٦٠م) .

ـــــــــــ ، الفصول المختارة ، ج٢ (النجف ، ١٣٦٠هـ) .

ـــــــــــ ، مجموعة في فنون علم الكلام ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ـ (بغداد ، ١٩٥٥م) .

ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، ت : ٤٣٨هـ .
الفهرست (القاهرة ، لا . ت) .

النجاشي ، أحمد بن علي ، ت : ٤٥٠هـ .
الرجال (طهران ، لا . ت) .

ابن حزم ، علي ، ت : ٤٥٦هـ .
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج٢ ، (طبعة الأوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، لا . ت) .

الطوسي ، محمد بن الحسن ، ت : ٤٦٠هـ .
الأمالي (طبعة حجر ، ١٣١٣هـ) .
ـــــــــ ، التبيان في تفسير القرآن (النجف ، ١٩٥٧م) .
ـــــــــ ، تلخيص الشافي (النجف ، ١٩٦٣م) .
ـــــــــ ، الخلاف ، ج٣ (قم ، لا . ت) .
ـــــــــ ، الغيبة (النجف ، ١٣٥٨هـ) .
ـــــــــ ، الفهرست (النجف ، ١٩٦٠م) .

الشهرستاني ، محمد بن عبدالكريم ، ت : ٥٤٨هـ .
الملل والنحل (القاهرة ، ١٩٥٦) .

الطبرسي ، أحمد بن علي ، (من مشايخ ابن شهراشوب المتوفى ٥٨٨هـ) .
الأحتجاج على أهل اللجاج (النجف ، ١٩٦٦م) .

ابن شهراشوب ، محمد بن علي ، ت : ٥٨٨هـ .
مناقب آل ابي طالب ٣ اجزاء (النجف ، ١٩٥٦م) .

ابن الجوزي ، عبدالرحمن ، ت : ٥٩٧هـ .
تلبيس ابليس (القاهرة ، ١٩٢٨م) .
ـــــــــ ، مناقب الأمام أحمد ابن جنبل (القاهرة ، ١٣٤٩هـ) .

الرازي ، فخرالدين ، ت : ٦٠٦هـ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (القاهرة ، ١٩٣٨م).
الحموى ، ياقوت ، ت : ٦٢٦هـ .
معجم البلدان ، ج٧ (القاهرة ، ١٩٠٦م) .
ابن الأثير ، علي بن ابي الكرم ، ت : ٦٣٠هـ .
الكامل ، ج١٠ (القاهرة ، ١٢٩٠ هـ) .
ابن داود ، الحسن بن علي الحلي (من علماء القرن السابع الهجري)
الرجال (طهران ، ١٣٤٢هـ) .
ابن طاووس ، عبدالكريم ، ت : ٦٩٣هـ .
فرحة الغري (النجف ، ١٣٦٨هـ) .
الحلي ، الحسن بن يوسف ، ت : ٧٢٦هـ .
اثبات الوصية (النجف ، لا . ت) .
ـــــــــ ، الألفين في امامة أمير المؤمنين علي (ع) (النجف ، ١٣٧٢هـ) .
ـــــــــ ، الرجال (طهران ، ١٣١١هـ) .
وطبعة اخرى (النجف ، ١٩٦١هـ) .
الديلمي ، محمد (من علماء القرن الثامن الهجرى) .
ارشاد القلوب ، جزءان ، (بيروت ، ١٣٨١ هـ) .
الأندلسي ، محمد بن يحيى ، ت : ٧٤١هـ .
التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ـ تح : محمود زايد (بيروت ، ١٩٦٤) .
المجلسي ، محمد باقر ، ت : ١١١٠هـ .
بحار الأنوار ، ج١١ (طهران ، ١٣١٥هـ) .

المراجـــع

أ ـ المراجـع العربية :

بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج ٣ ـ تر : عبدالحليم النجـــار (القاهرة ١٩٦٢م) •

حسين ، طه ، الفتنة الكبرى ، ج١ (القاهرة ، ١٩٤٧م) •

الحسيني ، محمد باقر ، تطور النقود العربية والاسلامية (بغداد ، ١٩٦٩م) •

دخيل ، محمد علي ، الامام المهدى عليه السلام (النجف ، لا ت) •

الدورى ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام (بغداد ، ١٩٤٩م) •

دونالدسن دوايت ، عقيدة الشيعة ـ تر : ع • م (القاهرة ، ١٩٤٦م) •

الشيبي ، كامل مصطفى ، الصـلة بين التصـــوف والتشيع ، ج١ (بغداد ، ١٩٦٣م) •

ـــــــــــ ، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية (بغداد ، ١٩٦٦م) •

العسكري ، مرتضى ، عبدالله بن سبأ (النجف ، ١٩٥٦م) •

ـــــــــــ ، خمسون ومائة صحابي مختلق (بيروت ، ١٩٦٨م) •

علي ، أمير ، مختصر تاريخ العرب ـ تر : عفيف البعلبكي (بيروت ، ١٩٦١م) •

فلهاوزن ، يوليوس ، الخوارج والشيعة ـ تر : عبدالرحمن بدوي (القاهرة ، ١٩٥٨م) •

ـــــــــــ ، الدولة العربية وسقوطها ـ تر : عبدالهادي ابو ريدة (القاهرة ، لا • ت) •

القمي ، عباس ، الكنى والألقاب ، (النجف ، ١٩٥٦) .
كاشف الغطاء ، محمد حسين ، أصل الشيعة وأصولها (بيروت ، لا . ت) .
كسروي ، أحمد ، التشيع والشيعة (طهران ، ١٣٦٤هـ) .
كولد زيهر ، أجناس ، العقيدة والشريعة في الاسلام ـ تر : محمد يوسف (القاهرة ١٩٤٦م) .
ماسنيون ، لويس ، خطط الكوفة ـ تر : تقي المصعبي(صيدا ، ١٩٣٩م).
المظفر ، محمد رضا ، عقائد الشيعة (النجف ، ١٩٥٤م) .
الوردي ، علي ، مهزلة العقل البشري (بغداد ، ١٩٥٥م) .
ـــــــــــ ، وعاظ السلاطين (بغداد ، ١٩٥٤م) .

ب ـ المراجع الاجنبية :

Browne, E.G., *A Literary History of Persia*, I, Cambridge, 1951.

Houtsma, M.TH. "Ibn Sab'a" *Ency. of Islam*, I,

Watt, W.M., *Islam and the Integration of Society*, London, 1961.

للمؤلف

١ ــ تاريخ البرامكة (نفد) .
٢ ــ تاريخ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ (نفد) .
٣ ــ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع أحد الزملاء .
٤ ــ الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع لجنة .
٥ ــ مرشد طالب البكالوريا الى الجغرافية المتوسطة الفه بالاشتراك مع أحد الزملاء .
٦ ــ مشاهداتي في تركية .
٧ ــ مشاهداتي في ايران .
٨ ــ تاريخ العرب الفه بالاشتراك مع لجنة .
٩ ــ الأجازات العلمية عند المسلمين .
١٠ ــ مشكلة الأراضي في لواء المنتفك (الناصرية) .
١١ ــ محاضرات في تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية .
١٢ ــ تاريخ الأمامية وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري .

من كتب المؤلف المعدة للطبع

١٣ ــ تاريخ التربية عند الأمامية بين عصري الأمام الصادق والشيخ الطوسي (اطروحة للدكتوراه قدمت للجامعة الأمريكية ببيروت) .
١٤ ــ الحركة الفدائية في الاسلام قديماً وحديثاً .
١٥ ــ تدوين التاريخ عند المسلمين .
١٦ ــ الحالة الثقافية في الحجاز في عصر الرسالة .
١٧ ــ السلطة بين الخلفاء والأمراء في عهد الخلافة العباسية .

دراسات في المجلات

١ ـ « تدوين التاريخ عند المسلمين » مجلة الاستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد • المجلد الرابع ١٩٥٥م •

٢ ـ أ ـ « تدوين التاريخ عند المسلمين » مجلة الأستاذ تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد • المجلد الخامس ١٩٥٦م •

ب ـ نقد وتعليق على كتاب « محاضرات في تاريخ العرب » للدكتور صالح أحمد العلي •

٣ ـ « الحالة الثقافية في الحجاز قبيل الاسلام » مجلة الاستاذ • تصدرها كلية التربية ـ جامعة بغداد • المجلد العاشر ١٩٦٢م •

٤ ـ « الزراعة والتجارة في العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر » مجلة الأستاذ • العدد الحادي عشر ، ١٩٦٣م •

٥ ـ « التعليم في عهد الرسول والخلفاء الراشدين » مجلة الأستاذ العدد الثاني عشر ١٩٦٤م •

٦ ـ أضواء على مشكلات الأصلاح الزراعي في لواء الناصرية • من الأبحاث المقدمة الى المؤتمر الشعبي لمناقشة مشاكل الاصلاح الزراعي ومعالجتها ١٥ ـ ١٧ آب ١٩٦٣م •

٧ ـ « العقل عند الغزالي » مجلة رسالة الاسلام ـ تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العدد الثالث ١٩٦٦م •

٨ ـ « دور الأمام الصادق في التربيـة والتعليم عند الأمامية » رسـالة الاسـلام ـ تصدرها كلية أصـول الدين ببغداد العددان الخامس والسادس ١٩٦٦م •

٩ ـ « كتب الأمالي عند الشيعة الامامية » بحث القي في المؤتمر الثقافي لجمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف • نشر ملخصه بكراس اصدرته الجمعية المذكورة (النجف ، ١٩٦٦) •

١٠ ـ « الخلافة العباسية في العهد البويهي » مجلة رسالة الاسلام • تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العددان الأول والثاني ١٩٦٧م •

١١ ـ « الخلافة العباسية في عهد السلاجقة » مجلة رسالة الاسلام • تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العددان الثالث والرابع ١٩٦٧م •

١٢ ـ دور الأمامين الكاظم والرضا في التربية والتعليم عند الأمامية » • مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العددان السابع والثامن ١٩٦٨م •

١٣ ـ « التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس » القسم الاول ، مجلة رسالة الاسلام تصدرها كلية أصول الدين ببغداد العددان الثالث والرابع ١٩٦٩م •

١٤ ـ « التعليم في المساجد عند الشيعة قبل ظهور المدارس » القسم الثاني ، مجلة رسالة الاسلام • تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العددان الخامس والسادس ١٩٦٩م •

١٥ ـ « الفدائيون من أهل الثغور وواجبنا نحوهم » مجلة رسالة الاسلام • تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العددان التاسع والعاشر ١٩٦٩م •

١٦ ـ « الغلو والغلاة وموقف الشيعة الامامية منهما » مجلة رسالة الاسلام • تصدرها كلية أصول الدين ببغداد • العددان الثالث والرابع ١٩٧٠م •

الفهرست

الصفحة

جدول الخطأ والصواب

الخطـــأ	الصواب	الســـطر	الصفحة
حجرة	حجره	١٦	١٨
الله	لله	٤	٢٦
طبعة	طبيعة	١٧	٢٨
بكتابه	بكتابة	٦	٣٠
المعلو	المعلوم	٣	٣٧
اوليا	اولياء	١٩	٣٧
المسلون	المسلمون	٥	٤٤
آنا مهم	آنامهم	٤	٦١
Slam	Islam	٢١	٩٣
أيا	يا	١١	١٠٣
فأصلة	فأصله	١٢	١٤٥
ذنباً في الخير لك	ذنباً في الخير خير لك	١٣	١٤٨
٨٩	٧٩	٧	١٤٩
هؤلأ	لهؤلاء	١٢	١٥١
المق م	المقام	٥	١٦٢
علي ابن	علي بن	٢١	١٦٩

الرموز المستعملة في الكتاب :

تر : ترجمة

تح : تحرير او نشر

لا • ت : تاريخ الطبع غير موجود

ح : حوالي

ت : توفي

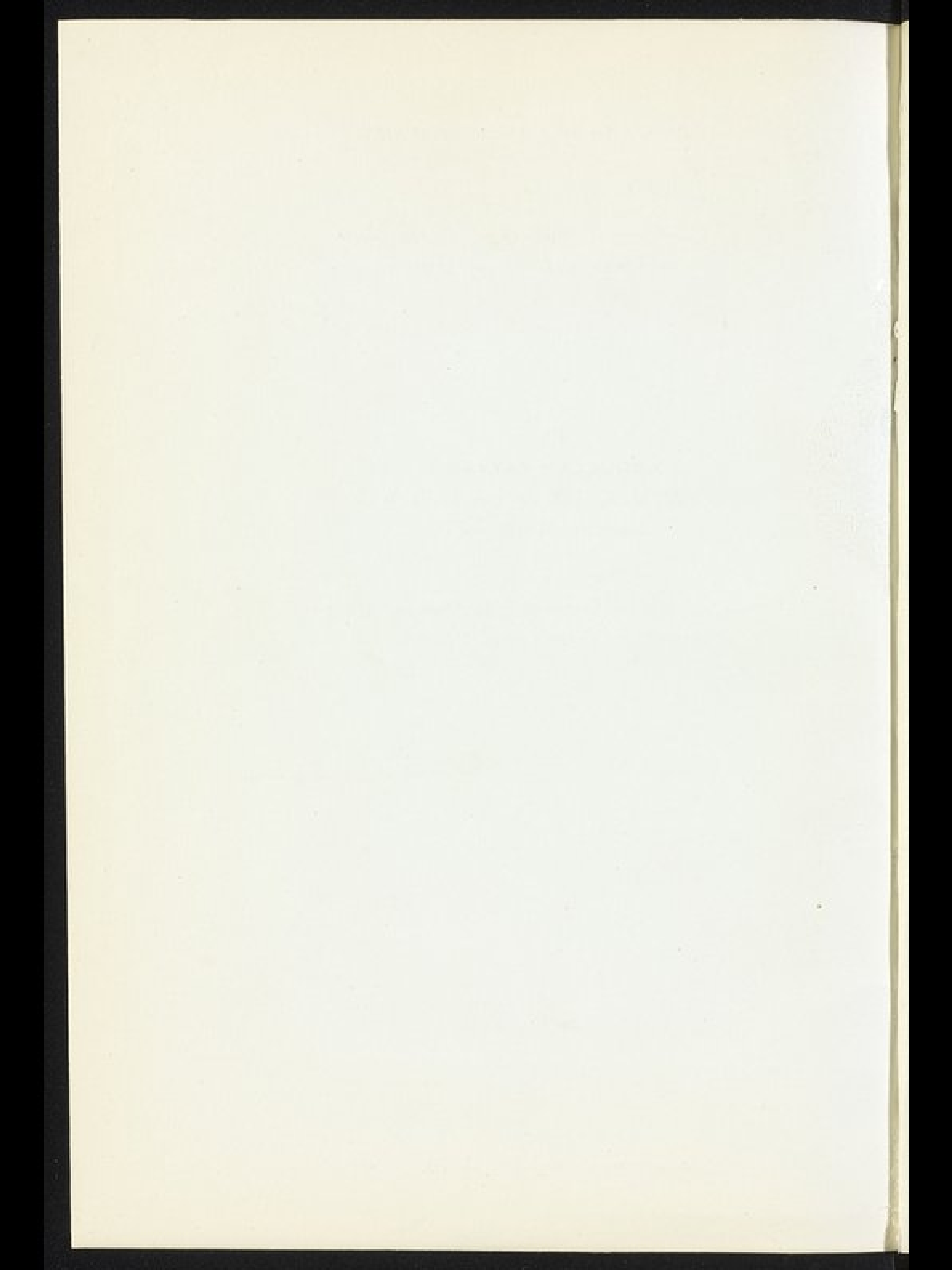
TARIKH al-IMAMIYAH WA ASLAFIHM MIN al-SHI'A

Mundhu Nash,at al-Tashayyu' Hatta Matla'
al-Qarn al-Rabi' al-Hijri

By
ABDULLAH FAYYAD
B. A., M. A., PH. D. (A. U. B.)
Assistant Professor

Faculty of Arts of the University of Baghdad and Acting
Dean of Usul al-Din Colleqe, Baqhdad.

As'ad press, Baghdad, 1970.



TARIKH al-IMAMIYAH WA ASLAFIHIM MIN al-SHI'A

Mundhu Nash,at al-Tashayyu' Hatta Matla'
al-Qarn al-Rabi' al-Hijri

By
ABDULLAH FAYYAD
B. A., M. A., PH. D. (A. U. B.)
Assistant Professor

Faculty of Arts of the University of Baghdad and Acting
Dean of Usul al-Din College, Baghdad.

As'ad Press, Baghdad, 1970.

